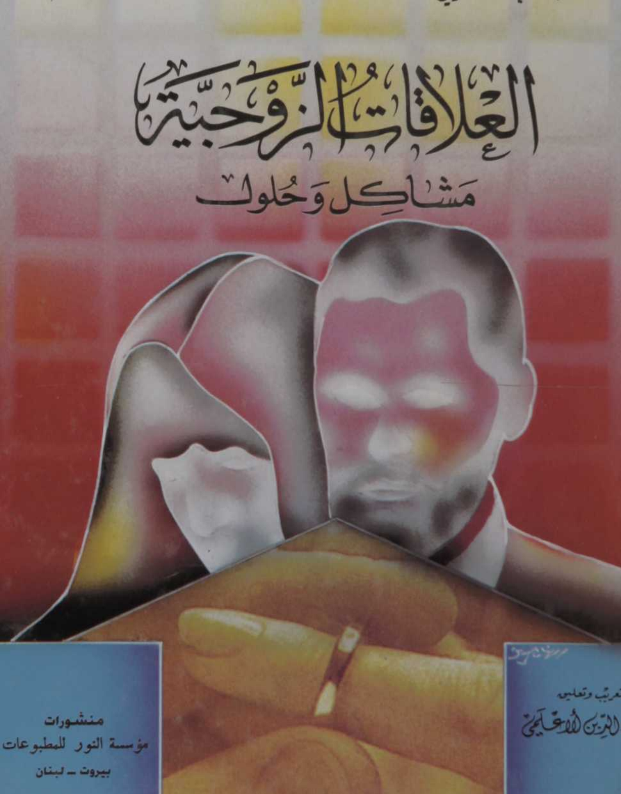
السيد علي اكبر الحسيني

العلاقات الزوجية

مشاكل وحلول



تعريب وتعليق
الدين الأعلمي

منشورات
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت ـ لبنان


مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم: (٧١)


العلاقات الزوجية
مشاكل وحلول

العلاقات الزوجية

مشاكل وحلول

تأليف

السيد علي أكبر الحسيني

تعريب وتعليق

علاء الدين الأعلمي

منشورات

مؤسسة النور للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطَّبعَة الثانيَة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة النور للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة ص.ب - ١١/٨٦٤٥



المقدمة

في البداية أقدم لكم سلامي، سلامي الذي ملؤه الود والمعرفة.

حبذا لو كنت أعلم، كم لك من العمر أنت أيها القارىء الكريم الذي تطالع الآن هذا الكتاب؟ وفي أية حال أنت؟ وفي أية مرحلة من مراحل الحياة تمرّ؟

هل أنت متزوج أم لا؟ ما هي القضايا التي تشغل تفكيرك؟ وما هي المشاكل التي تواجهها في حياتك؟ حبذا لو كنت أعرف ذلك! وحبذا لو كنت ألتقي بكم عن قُرب وأتحدث معكم حول قضايا الحياة اليومية! أستمع إلى ما لديكم من معلومات وأستفيد من تجاربكم. وأضع تحت تصرفكم بعض المعلومات والتجارب وأحدّ من مشاكلكم وأزيد من أفراحكم ومسرّاتكم في هذه الحياة. «لأن العلم والمعرفة هما دائماً مصدر الخير والجهل وعدم المعرفة هما أساس كل شرّ وسوء».

على أية حال إذا كنتم ممن تزوجتم حديثاً أو إذا كنتم عازمين على الزواج في القريب العاجل ـ فعليكم أن تنتبهوا بأنكم بدأتم أو ستبدأون حياةً جديدة وعقدتم معاهدة مقدّسة مع شريك حياتكم وأنكم أخذتم على عاتقكم واجبات ووظائف جديدة، وبدأتم حياة مشتركة لها مبادئها وقوانينها وأن كلاً من الزوج والزوجة يتحمل مسؤولية معينة. فهل تعرفون هذه الواجبات والمسؤوليات؟ وهل أنتم على علم بتلك المبادىء والقوانين؟ وتعرفونها وتلتزمون وتعملون بها؟ إذا كان الرد

إيجابياً، فبشرى لكم! لأن حياتكم ستصبح حلوة جداً وجميلة وممتعة. وإذا لم تكونوا على اطلاع وإلمام كامل بأصول وقوانين الحياة الزوجية المشتركة فعليكم أن تشربوا وتنهلوا من ينبوع المعرفة العذب قبل أن تسود حياتكم الفوضى والاضطراب. وبادروا إلى إضاءة فانوس العلم والمعرفة في بيوتكم قبل أن تسير الأمور نحو الظلام والتأزم لأن الخلافات أكثر ما تشب والآلام والنزاعات أكثر ما تبرز في البيوت المظلمة. إن المقالات التي يتضمنها هذا الكتاب والمستمدة من تجارب الناس التي حصلنا عليها في مختلف المناسبات على مدى أيام السنة، وبالاستعانة بالمعارف القرآنية الوضاءة المشرقة والأحاديث الشريفة لنبي الإسلام الكريم والأئمة المعصومين عليهم السلام، تقودكم إلى منهل النور والسرور. ولدى مطالعتكم هذا الكتاب، انظروا في المرآة ودققوا النظر في وجوهكم، فالتجارب الكثيرة التي وردت على صفحات هذا الكتاب هي بمثابة مرآة جليّة ومشرقة أمامكم، فانظروا في هذه المرآة وشاهدوا وجوهكم فيها وابحثوا عن القبيح والجميل من أخلاقكم وتصرفاتكم وأزيلوا الغبار والأوساخ عن وجوهكم وقلوبكم بمطر مواعظ وتوجيهات المعلمين العظام، أزيلوا الأوساخ وأضيفوا على المحاسن والجماليات واجعلوا حياتكم مليئة بالفرح والنشاط والكرامة. وكلّي أمل بأن يؤدي وجود هذا الكتاب في بيوتكم وبين أفراد أُسركم إلى تسهيل الكثير من مشاكل الحياة وإزالة العقبات والصعوبات من أمامكم ـ قبل أن تواجهكم ـ وأن يجعل حياتكم مفعمة بمزيد من السعادة والعزة والنجاح. وحتى يتحقق هذا الأمل نوصي جميع الأُسر الكريمة وجميع الأزواج والزوجات وجميع الشباب ولا سيما الأخوات الشابات، بمطالعة وقراءة مقالات وموضوعات هذا الكتاب مرّات ومرّات.

أسأله تعالى أن يمن عليكم بسلامة أجسامكم وأنفسكم وأن يمنح حياتكم المزيد من الصفاء ويجعل إيمانكم متجدداً.

١٥/ أيار/ ١٩٩٠

مع فائق التقدير ـ السيد علي أكبر الحسيني

توضيح

بحوث هذا الكتاب مقسّمة إلى أربعة أبواب:

١ ـ اختيار الزوجة، الخطوبة، الزواج.

٢ ـ العلاقة بين الزوج والزوجة وأسلوب تعامل كل منهما مع الآخر.

٣ ـ علاقات الزوج والزوجة وأسلوب تعامل كل منهما مع والد ووالدة وأقرباء الآخر.

٤ ـ واجبات الوالدين تجاه أبنائهم وأسلوب تعاملهم مع الأبناء وكيفية تربيتهم لأبنائهم.

وقد أُدرج فهرست مفصّل لتلك البحوث في نهاية الكتاب.

الباب الأول
الإختيار والخطوبة والزواج

الفصل (١)

الزواج ضرورة الحياة
ويجب تحقيق هذه الضرورة

الشعور بالوحدة هو شعور أو إحساس مؤلم جداً وإن المرأة والرجل كليهما يعانيان قبل الزواج من هذا الإحساس المرهق لكن الله سبحانه وتعالى جعل في وجود كل منهما جاذبية بالنسبة للآخر لكي يكونا معاً ويتخلصا من هذه الوحدة القاتلة وهذا الألم المرير وهذا النكد المتزايد ويعيشا إلى جانب بعضهما البعض باستقرار وصفاء وسلامة ويساعد أحدهما الآخر من الناحية النفسية والعاطفية والجسدية ويكملا بعضهما البعض وينجبا الأبناء وينشغلا في مشاهدة بكائهم وضحكهم وقعودهم ومشيهم وتكلمهم ويلمسا بالتالي عجيب قدرة الباري تعالى في خلق الطفل ـ الذي هو ثمرة وجودهما ويجدا المفهوم والمعنى الحقيقي للحب ويجسدا ما بينهما من شوق بمحبة لطفلهما فلذة كبدهما، فينهمكا في السعي والعمل ويتحركا بكل سرعة ونشاط نحو الهدف السامي في الحياة والذي يتمثل في الوصول إلى الكمال المطلق ولقاء الباري تعالى.

إذن فإن الزواج يعتبر ضرورة من ضروريات الحياة ويجب تلبية هذه الضرورة

والاستجابة لها وتجب مساعدة الشبان على الزواج من الفتيات الكفوءات والقنوعات وإنقاذهم من الوحدة ويجب أن لا نتشدد في موضوع الزواج ولا نضع العراقيل أمام الشباب ونتأخر في تزويجهم دون ما داع أو مبرر لذلك، لاحظوا ما جاء في هذه الرسالة التي وصلتنا من إحدى الأخوات:

الرسالة: . . . في هذا العالم المليء بالصخب والضجيج أعيش وحيدة لا مؤنس ولا ملجأ لي إلا الله، أعرف أن عليّ أن لا أُضايقكم ولكن ماذا أفعل؟ إذ ليس أمامي طريق آخر . . . لقد أمضيت من عمري اثنين وعشرين ربيعاً والدي رجل صالح، ومتدين وطيب القلب ولكن والدتي في المقابل نقيض والدي، فهي امرأة فظة عنيفة تكلمني بالكثير من الكلام الجارح والمؤلم واللاذع حيث تجرح بكلامها هذا أحاسيسي ومشاعري. فهي تنتقد وتستهين بكل من يأتي لخطبتي وتتكلم بكلام تمنع بواسطته إتمام عملية الزواج، كما أن إخوتي يتدخلون أيضاً ويضعون العقبات في طريق الصهر ويتذرعون بمختلف الحجج والذرائع ليحولوا دون زواجي منه. فهم يقولون على سبيل المثال: إن هذا الشاب الذي جاء يطلب يدك ليست لديه وظيفة حكومية وبالتالي فإن مستقبله ليس واضحاً ولا يستطيع إدارة شؤون حياته.

وقبل فترة من الوقت جاء لخطبتي شاب لطيف ومؤمن ومن أسرة متديّنة، والدي وافق عليه ولكن والدتي وأحد إخوتي لم يوافقا عليه قائلين: إنه لا يناسبنا، لا يمتلك منزلاً سكنياً ولا دخلاً محترماً . . . إنه لا يصلح لك.

والآن أنا جليسة الدار وكلّي أمل في أن أحظى بزوج صالح من ذوي التقوى والإيمان وأرجو من الله أن يشركني ويدخلني في جهاد المرأة العظيم ألا وهو حسن التبعّل وتربية الأبناء لكي لا أبقى وحيدة في هذه الحياة ولكن والدتي لا تدرك مشاعري وأحاسيسي وهي تقول لي: لا تقلقي فإذا لم يكن هذا الشاب من نصيبك فقد يكون نصيبك من شاب آخر . . .

الأمر الآخر الذي يؤلمني ويحزّ في نفسي هو أن كل من يأتي إلى بيتنا يسمعني كلاماً مؤلماً فمثلاً يقولون لي: إن الفتاة الفلانية قد تزوجت فلماذا لا يأتي شاب يتزوجك؟ وبهذا الكلام يبدأون بتحقيري أمام الجميع.

فبالله عليكم! ساعدوني من أجل مرضاة الله، وانصحوا إخوتي ووالدتي بالطريقة التي ترونها مناسبة لكي يكفوا عن اختلاق الذرائع والحجج ويتخلوا عن التشدد والعناد ويوافقوا على زواجي، يعلم الله أني لا أهتم لا بمظهر الشاب ولا بثروته ولا بعمره وسنّه، لا أهتم بأي من هذه الأمور إلا بتديّن الشاب الذي يتقدم لطلب يدي وأخلاقه الحسنة... أريد أن تساعدوني كما تساعدون ابنتكم.

ابنتكم التي تعاني من الوحدة...

أيتها الأم العزيزة!

يتضح جلياً أن ابنتك قد بلغت مرحلة كافية من النضج وهي مؤهّلة للقيام بمسؤولية الحياة الزوجية كما أنها تشعر بالحاجة للزواج، لذلك عليكم أن تلبّوا حاجتها الغريزية هذه وتمهّدوا لها سبيل الزواج وأن تكفوا عن طرح الحجج والأعذار الواهية، لأن الفتاة إذا تقدمت في السن فإن الزواج بعد ذلك سيفقد طراوته ونضارته ويمرّ ربيعه وعندها ستستغرق عملية التفاهم والوئام الخلقي بين الزوج والزوجة فترة زمنية أطول وسيكون تحقيق التقارب الروحي والمحبة بينهما أكثر صعوبة وأكثر بطئاً. كتب عليّ بن أسباط إلى أبي جعفر عليه السلام في أمر بناته وأنه لا يجد أحداً مثله، فكتب إليه أبو جعفر عليه السلام: فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وأنك لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله. فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: [إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير][1].

ليس صواباً أن تقولوا للفتاة: «لا تقلقي إذا لم تتزوجي هذا الشاب فسوف يتقدم لخطبتك شاب غيره» فقد لا يأتي شاب آخر لخطبتها. أو قد يأتي لخطبتها شاب لا تتوفر فيه المقوّمات الأخلاقية والإيمانية أو لا يكون صادقاً وملتزماً من الناحية الدينية ولا إنساناً متفكراً.

ماذا يعني قولكم، إن هذا الشاب لا يليق بنا؟

---

(١) الوسائل، ج١٤، ص ٥١، باب ٢٨ ح٢.

«إنه لا يليق بنا» لا يناسبنا وليس كفواً لنا وليس مثلنا وبالطبع فإن المقصود الأساسي في هذا التماثل، هو الكفاءة واللياقة من حيث الإيمان والاعتقاد الديني وأيضاً من حيث السلوك الخلقي. حيث يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: [الكفو أن يكون عفيفاً وعنده يسار][1].

واستناداً إلى هذا التفسير لكلمة «كفء» فقد بعث النبي صلى الله عليه وآله - جويبر - الذي لم يكن يملك مالاً ولا يحظى بجمال الشكل ولكنه كان مسلماً جديراً وصالحاً بعثه ليطلب يد «الدلفاء» ابنة زياد بن الوليد الذي كان رجلاً من الأشراف، وعندما أراد «زياد» أن يرفض تزويج هذا الشاب قال له النبي صلى الله عليه وآله: [يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفو المؤمنة، والمسلم كفو المسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه][2] (اقرأوا تفاصيل هذه القصة الطويلة والمعبّرة في كتاب «قصص الأبرار» للمرحوم الشهيد مطهري لكي تفهموا بشكل أفضل، معنى كلمة «كفء» والمقصود بـ«التماثل»). وفي ختام هذا البحث أُريد أن أُنبهكم وأُنبّه أبناءكم الأعزاء إلى هذه النقطة وهي أن ما هو لازم وضروري من الناحية الحقوقية لصحة عقد الزواج، موافقة البنت وإذن الوالد[3]. طبعاً من الأفضل أن يتم تزويج الفتاة بموافقة وقبول جميع أفراد العائلة، شريطة أن يدرك إخوة الفتاة المتزوجون الذين تخلصوا من الوحدة، مشاعر أُختهم العفيفة ويقبلوا بالشاب العفيف والكفؤ ذي الخلق الحسن ليكون صهراً لهم وليعلموا أن الزواج يزيد من نشاط وإرادة وفعالية الرجل كما أن الله سبحانه وتعالى يؤمّن الرزق لهذين الزوجين ويبارك في حياتهما المشتركة.

---

(١) الوسائل، ج١٤، ص ٥٢، باب ٢٨ ح٧، وعنده يسار أي يكون وضعه المادي بشكل يستطيع معه أن يدير شؤون حياة بسيطة.

(٢) الوسائل، ج١٤، ص ٤٣، باب ٢٥ ح١، وللحديث صدر.

(٣) القانون المدني، المادة ١٠٤٣.

الفصل (٢)

اختاروا المرأة الكفؤة اللائقة ولا تتأخروا في ذلك

الرسالة: . . . أكتب رسالتي هذه بشكل مختصر، فأنا شاب أتجاوز العشرين من العمر . . . حبذا لو لفتّم انتباه الآباء والأمهات وطلبتم منهم أن يزيلوا تلك القيود التافهة والعقبات التي لا طائل من ورائها ويحرروا أنفسهم وأبناءهم منها ويكفوا عن كل هذا التشدّد ويبادروا بأسرع ما يمكن إلى تزويج أبنائهم لكي لا يقعوا في براثن وكمائن الفساد، قولوا للآباء والأمهات واطلبوا منهم أن يصدّقوا بأن أبناءهم لديهم الغريزة الجنسية وهم بحاجة للجنس الآخر . . . فلماذا إذن لا يقدمون على تزويج أبنائهم؟

والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يحثّ الشباب ويشجعهم على الزواج ويقول: [تزوجوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أحبّ أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج][١]. وقال صلى الله عليه وآله: [الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني]. وقال صلوات الله وسلامه عليه: [من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة][٢] ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث آخر: [ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله][٣].

ولكن كما يظهر من خلال الرسالة القصيرة ـ المقتضبة والحساسة جداً في آن

(١) الوسائل، ج١٤، ص ٦. باب ١ ح١٤.
(٢) الوسائل، ج١٤، ص ٦. باب ١ ح١٥.
(٣) الوسائل، ج١٤، ص ٢٣. باب ٩ ح١٠.

معاً ـ التي بعث بها هذا الشاب، فإن عملية اختيار الزوجة الصالحة وتحضير مستلزمات الزواج والإعداد له لا يمكن أن يقوم بها شاب لوحده فهو في هذه الحالة يحتاج إلى المساعدة والتوجيه وفي هذا المجال فإن الواجب الأساسي والشرعي يقع على عاتق الأب كما جاء في مضمون حديث لأمير المؤمنين عليه السلام.

فالأب والأم هما اللذان عليهما أن يساعدا ابنهما ليختار الزوجة العاقلة الواعية البشوشة التي تتمتع بالحياء وحسن الخلق، وعليهما أن لا يتشددا في أمر الزواج ويضعا العقبات في طريقه ولا يؤخرا أو يؤجّلا هذا الأمر الضروري ونعني به أمر الزواج (سواء بالنسبة للفتاة أو الشاب) لكي لا يقع ابنهما (أو ابنتهما) في فخ البلاء والابتلاء ولكي لا يفوت الوقت وتذهب الفرصة المتاحة للزواج.

الرسالة: ... كل فتاة كانت تراها والدتي، وكل مكان كانت تذهب إليه لخطبة فتاةٍ ما، فإنها كانت تقول: كلا!! إنها لا تصلح لتكون عروسة لابني، إنني أريد تلك العروس التي... لقد ذهبت والدتي لخطبة كثير من الفتيات ولكنها لم توافق على أي منهن، حتى توفيت والدتي ـ رحمها الله ـ وبقيت أنا عازباً وقد تقدّمت بي السن...

وحالياً فإني مريض وأعاني من الوسواس وأشك في كل شيء وأسيء الظن بكل شيء وإني أعرف بأن تصرفي هذا خاطىء ولكني لا أستطيع، لا أستطيع أن أتخلى عن هذه التصرفات وأطرد عني هذه الأفكار. الأطباء يقولون بأن سبب هذا الوسواس هو مرض الأعصاب الذي أعاني منه، وإذا تزوجت فإن صحتك سوف تتحسن... ولكن من يزوجني وأنا في هذه السن المتقدمة؟

... وخلاصة القول فإني أعيش حالة نفسية سيئة، بالله عليكم أرجوكم أن تتحدثوا قليلاً حول هذا الموضوع، لعل ذلك يهدىء من روعي، هل تعرفون من تتزوجني...؟

نعم، إن التشدد الذي لا داعي ولا مبرر له ووضع الشروط الصعبة

والتعجيزية في قضية الزواج، جعل من هذا الشاب اليانع النشط، إنساناً وحيداً ومريضاً وكئيباً ومصاباً بالوسواس، كما جعل من تلك الفتاة التي كان من المفروض أن تصبح الآن أماً تشعر باللذة والارتياح والسعادة لدى مشاهدتها البسمة على شفاه أطفالها ومظاهر النشاط والفرح والابتهاج على وجوههم، جعل منها أختاً تعيش في وحدة وقلق واضطراب.

الرسالة: . . . أرجوكم أن تفكروا قليلاً بالفتيات العازبات في المجتمع ولا سيما اللواتي تقدّم بهن السنّ حيث إن بعض هؤلاء الفتيات تجاوزت أعمارهن الثلاثين عاماً ولا زلن دون زواج. النساء والفتيات في مجتمعنا لا يعلنّ حاجتهن إلى الزواج بسبب المستوى العالي من العفة والحياء الذي يتمتعن به. . . ولكن أقسم بالله إن بقاء الفتيات دون زواج وهنّ في سن متقدمة يشكل أكبر مشكلة لهن ولذويهن. . . إن حاجتنا نحن الفتيات إلى الزواج ليست بدافع مادي ولا بدافع من الغريزة الحيوانية بل إن الزواج هو بالدرجة الأولى مبعث ومصدر استقرار واطمئنان روحي ونفسي بالنسبة لنا وليس بإمكان أي شيء آخر ـ حتى الدراسة الجامعية العليا ـ أن يحلّ محل الزواج ويعوّض عنه في تأمين مثل هذا الاستقرار النفسي للفتاة. كما أن كلام الناس ولا سيما الأقارب والأصدقاء وانتقاداتهم اللاذعة تجرح مشاعرنا وتؤذينا نحن الفتيات. صدقوني إذا قلت بأني لا أحضر أي حفل زواج أُدعى إليه، لأن الناس يتعاملون معي بطريقة أشعر معها بالحقارة والإهانة. . .

إن الكثير من الفتيات اللواتي يظهرن متبرجات أمام الناس وفي الأماكن العامة يرفضن في أعماقهن مثل هذا العمل وبالتالي فهنّ غير راضيات بهذا التبرج ولكن ما العمل!! فهن يعتقدن بأن طريق نجاتهن يكمن في الظهور بالمظهر الجميل والتبرج لاصطياد الرجال.

. . . فأنا شخصياً طالبة جامعية وأرى نفسي لا أقدر على الدراسة في مثل هذا الوضع الذي أنا فيه، أحياناً أتمنى الموت. وبالطبع فإني أعرف أنّ هذه المشكلة ليست هي مشكلتي وحدي بل هناك الكثيرات مثلي يواجهن

هذه المشكلة. إنني أرجو منكم أن تطرحوا موضوع تعدد الزوجات بالنسبة للرجال المؤمنين الملتزمين والمتدينين في المجتمع. وأقسم بالله إن معظم الفتيات يقبلن بذلك (بتعدد الزوجات) رغم معارضة البعض منهن لهذا الأمر. على أية حال إذا ما استمرت رغبتي في الحياة فسأعيش على أمل أن تعثروا لمن هن على شاكلتي على حل وتضعوه موضع التنفيذ.

أختكم

ترون أن الزواج وخاصة للمرأة ضروري وبنسبة عالية، وهؤلاء بحاجة إلى من يأمنّه ويتّكلن عليه، فعلى أولياء الأمور والشخصيات النافذة في المجتمع أن يدركوا أهمية هذه المسؤولية الإلهية وهي الزواج، وأن يشجعوا أرباب العوائل لترفع القيود والشروط والعادات المتبعة والسنن الصعبة وخاصة في وقتنا الحاضر، وعلى هؤلاء الذين يعشقون المقام المقدس لأمير المؤمنين أن يهتموا بأمر الزواج لشبابنا وفتياتنا وأن يحشدوا كل طاقاتهم لهذا الأمر الخيّر، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: [أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما][1].

وأنتم الذين تمتلكون الفهم والإدراك وتحظون بمحبة الناس عليكم أن تدفعوا زكاة هذه المكانة الاجتماعية وهذه المحبة التي تحظون بها في المجتمع عليكم أن تدفعوا زكاة ذلك في هذا السبيل وتوظفوا أموالكم ومكانتكم وعلاقاتكم الاجتماعية لتزويج الشباب والفتيات وكونوا على ثقة بأن عملكم هذا يدخل الفرح والسرور على قلب أمير المؤمنين عليه السلام ويمسك بيدكم يوم القيامة. وفقكم الله.

(١) الوسائل، ج١٤، ص ٢٧. باب ١٢ ح٢.

الفصل (٣)

التقاليد الجيدة والمحببة في الخطوبة

لا تذهبوا إلى خطبة فتاة إلا إذا كنتم تريدون الزواج حقاً

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسِكُم أزواجاً لتسكنوا إليها وجَعَل بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرون**﴾[١].

لقد خلقت المرأة للرجل كما خلق الرجل للمرأة وإن الحياة الزوجية والحياة العائلية المشتركة هي مطلب طبيعي وحاجة إنسانية ملحّة كما أنها من النعم والآيات الإلهية الكبرى.

والنبي الأكرم ﷺ يصف المرأة والرجل المحرومين من هذه النعمة الكبرى، ويعيشان وحيدين دون معين ولا مؤنس، يصفهما بالقول: «الرجل العازب مسكين وإن كان ثرياً والمرأة العزباء مسكينة وإن كانت ثرية»[٢]. ويقول ﷺ أيضاً: «ما بني في الإسلام بناء أحب إلى الله عز وجل وأعز من التزويج»[٣].

هذا البناء المقدس يبدأ بالخطوبة، أي أن الحكمة الإلهية شاءت أن يكون الرجل هو الذي يسعى إلى المرأة ويطلب يدها ويخطبها من أهلها وهو الذي يعشق

---

(١) سورة الروم، آية: ١٩.

(٢) مجمع الزوائد، ج٤، ص ٢٥٢.

(٣) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص ٢٢٢ باب ٥٩ ح٤٠.

المرأة ويتمناها كما أنه سبحانه وتعالى خلق المرأة كمظهر للجمال تتقبّل عشق الرجل لها.

وهذه الحكمة الإلهية لا تقتصر على الإنسان بل تنطبق على الحيوانات أيضاً، إذ إن الذكر يظهر نفسه وكأنه مولع ومتيّم بأنثاه وبالتالي فهو يسعى إلى طلبها ويقتفي أثرها مظهراً رغبته فيها.

والأنثى بدورها تبدأ بالدلال والغنج حيث تعرض جمالها ورقتها أمام الذكر. واستناداً إلى هذه الغريزة الطبيعية فإن الرجل عادة هو الذي يتقدم لخطبة الفتاة ويظهر رغبته فيها ويتمناها وعلى مرّ التاريخ فإن الرجل هو الذي كان يذهب إلى المرأة يطلب يدها ويدعوها لتكون زوجة له وبهذه الطريقة فهو يجلّ كرامة المرأة وحياءها كما أن المرأة بتمنعها تحافظ على كرامتها وشخصيتها وتبقى بعيدة عن الابتذال والتهتك. إذن فإن القاعدة والأصل الطبيعي والغريزي في الخطوبة هو أن يأتي طلب الزواج من جانب الرجل وأن تتم الموافقة على هذا الطلب والقبول به من جانب المرأة. رغم أننا قد نلاحظ أحياناً حالات خروج عن هذه القاعدة، فقد قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وقالت له: يا رسول الله زوجني. فقال النبي لأصحابه: من يتزوج هذه المرأة؟ فقام إليه رجل وقال: أنا يا رسول الله أتزوجها»[1].

ولكن في الحالات الطبيعية من الأفضل أن يتقدم الرجل لطلب يد المرأة ويدعوها لتكون زوجة له ويتمنى عليها التعاون والتآلف ضمن حياة مشتركة وبهذه الطريقة يكون الرجل قد أعطى كرامة المرأة وشخصيتها مزيداً من التقدير والاحترام. ولهذا السبب يجب على أهل الشاب بشكل خاص أن ينتبهوا إلى هذه النقطة المهمة جداً بأن الهدف من وضع سنّة الخطوبة هو الحفاظ على كرامة ومكانة وحرمة وحياء وسمعة البنت أو الفتاة لكي لا تؤدي تصرفات الرجل أو الخطيب إلى حدوث أية إساءة إلى حرمة وسمعة الفتاة وبشكل خاص في مراسم الخطوبة. هناك نقاط وأمور مهمة جداً يجب على أهل الشاب أن ينتبهوا لها ويضعوها نصب أعينهم حيث أُشير إلى تلك النقاط والأمور المهمة من خلال

---

(١) مستدرك ـ أبواب المقدمات ـ باب ٣ ـ هذه القصة ترجمت عن الفارسية.

مضمون الرسالة التالية التي تتحدث عن تصرفات خاطئة تصدر عن بعض الذين يذهبون لخطبة الفتيات.

الرسالة: سلام عليكم

. . . أرجو أن تكونوا بصحة جيدة إن شاء الله. ألتمس منكم عذراً لأني آخذ من وقتكم الثمين، أردت أن أعرض عليكم ـ باعتباركم تشجعون الشباب على الزواج وتشكيل الأسرة ـ هذا الموضوع الذي تشكو منه آلاف الفتيات وأريد أن أطلب منكم ـ نيابة عنا نحن الفتيات وعن أسرنا وذوينا ـ أن تقولوا لجميع الرجال والشباب وذويهم، هؤلاء الرجال الذين يرغبون في الزواج. أرجو أن تسألوهم لماذا يتظاهرون في البداية بالنجابة والعفة والإيمان والتديّن، ولكن عندما يحين وقت العمل والتنفيذ ينسون كل شيء ولا يتطرقون إلا للقضايا والأمور المادية، اسألوا هؤلاء الشباب وذويهم لماذا يكثرون في التردد على الأسر التي لديها فتيات في سن الزواج وتتمتع بسمعة طيبة في المجتمع ولماذا يسببون الإزعاج والمضايقات لتلك الأسر، هل هذا العمل صحيح من وجهة نظركم؟

أهل الشاب يترددون مرات عديدة على أهل الفتاة لغرض الخطوبة والإزعاج وبعد ذلك يرسل الشاب عمته إلى أهل الفتاة وتارةً أخرى يبعث خالته ومرة ثالثة يبعث جدته إلى منزل الفتاة لطلب يدها وبعد كثير من الكلام والأخذ والرد والضجيج والقلق والاضطراب لدى أهل الفتاة يغادر أهل الشاب منزل أهل الفتاة ويتركونهم في حالة انتظار وترقّب قد تدوم عدة أشهر دون أن يطلعوا أهل الفتاة يغادر أهل الشاب منزل أهل الفتاة، على القرار الذي اتخذوه وكثيراً ما يوجه أهل الشاب انتقادات لا مبرر لها للفتاة وأهلها وينعتونهم بمختلف النعوت، أرجوكم أن تتكلموا في هذا المجال، فهذا ليس ما أطالب به وحدي بل تطالب به الكثير من الفتيات.

مع جزيل الشكر.. كانون الأول ١٩٨٩

١ ـ لو أن أهل الشاب كانوا يفهمون معنى الخطوبة لما قاموا بهذا الأسلوب القبيح وغير الصحيح، بمضايقة وإيذاء الفتاة وأهلها. فالخطوبة تعني أوج الطلب وشدّة الحاجة. وإن أهل الشاب (الذين يذهبون لخطبة الفتاة من أهلها) يجب أن يكونوا راغبين حقاً في زواج ابنهم من تلك الفتاة وأن يظهروا ويعلنوا من خلال تصرفاتهم وأسلوب تعاملهم (مع أهل الفتاة) هذه الرغبة وهذا التمني في تحقق أمر الزواج وأن يقدروا حرمة وعفّة وكرامة الفتاة وأهلها من خلال زيارة أهل الفتاة ومجالستهم وإظهار التواضع والمحبة لهم.

٢ ـ إذن فإن من آداب الخطوبة أن يذهب أهل الشاب إلى منزل أهل الفتاة وهم يحملون معهم باقة ورد لإظهار محبتهم ورغبتهم في تحقق أمر الزواج وحذار أن يحمل أهل الشاب معهم أشواك الأذى والمضايقة ويهدوا أهل الفتاة زهرة الغمّ والأسى ويزيدوهم عذاباً ومعاناة وقلقاً واضطراباً وهلعاً لأن رسول الله ﷺ قال: [من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه][١].

كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: [لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً][٢].

٣ ـ لا بأس أن يقوم أهل الشاب ـ وقبل أن يقوموا بالخطوبة بشكل رسمي ـ بإجراء التحقيقات والدراسات بصورة غير مباشرة والتشاور مع الآخرين وذلك لتجنب إحداث المضايقات والقلق والاضطراب للعائلات التي لديها فتيات في سن الزواج. وبعد أن يعثروا على الفتاة المطلوبة التي تحظى بقبولهم وفقاً للمعايير والمواصفات التي يريدونها، يقدمون على خطبة الفتاة لابنهم ويطلبون يدها من أهلها.

٤ ـ إياكم أن تطرقوا باب أحد لخطبة فتاة دون معرفة سابقة مع أهل الفتاة ودون إطلاعهم مسبقاً على موضوع الخطوبة ودون أن يرافقكم صديق مشترك (صديق لعائلة الشاب ولعائلة الفتاة أيضاً) ووسيط يتمتع بالفهم والدراية والأمانة والصدق.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ١٥٠ باب ٥٧ ح١٣.
(٢) الوسائل، ج٨، ص ٥٩٢ باب ١٤٧ ح٧.

٥ ـ بإمكان الشاب والفتاة اللذين يريدان الزواج حقاً أن يلتقيا ويتحدثا مع بعضهما البعض مرة أو أكثر عند الضرورة في المرحلة النهائية من الخطوبة وذلك لكي يتعرف كل منهما على الآخر بصورة أفضل ويكونا بالتالي على بصيرة من أمرهما. كل هذا بشرط أن لا تكون نظرات كل منهما إلى الآخر وحديث أحدهما مع الآخر نابع من الشهوة والتلذذ كما أن تحدث الشاب مع الفتاة أثناء الخطوبة يجب أن لا يسبب الأذى والضغوط والاضطراب والقلق وأن لا يكون للحديث طابع التحقيق بحيث يحاول كل منهما البحث والكشف عن أسرار الآخر. كما يجب أن لا يحاول كل منهما التقدم بطلبات غير ممكنة ووضع شروط تعجيزية صعبة التحقيق.

٦ ـ وآخر نقطة أريد أن أنبّه إليها هي تجنب الانتظار الطويل بالنسبة للشاب وللفتاة والبت بموضوع الزواج بأسرع وقت ممكن. فأهل الفتاة عليهم أن يجروا المشاورات النهائية والتحقيق الكامل وبعد ذلك يعلنون قرارهم بالموافقة أو عدم الموافقة على الزواج وإذا تقرر أن يعطي أهل الشاب الجواب لأهل الفتاة فيجب أن يفعلوا ذلك دون تأخير ويطلعوا أهل الفتاة على موافقتهم على الزواج أو عدمها ويجب على أهل الشاب أن لا يتركوا أهل الفتاة في حيرة وترقُّب وانتظار وعليهم أن لا يضحوا بالعفة والكرامة والإيمان والحياء التي هي جوهرة نادرة وثمينة، من أجل الثروة والمال وزخارف الحياة وأن لا يتركوا أهل الفتاة ويحقروهم من أجل القضايا التافهة، لأن رسول الله ﷺ يقول: «من استذل مؤمناً واحتقره لقلّة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»[١].

نسأله تعالى أن ينوّر قلوبنا بنور الإيمان والأدب الإلهي وأن يحفظ كرامتنا وإيماننا ولا يفضحنا في الدنيا والآخرة ويجعل حياتنا تسودها المودّة والرحمة ويملأها البهجة والاستقرار.

---

(١) الوسائل، ج٨، ص ٥٩١ باب ١٤٧ ح٤.

الفصل (٤)

كيف تريدون أن يكون شريك الحياة الذي تبحثون عنه؟

وما هي الصفات التي يجب أن يتمتع بها؟

هل العثور على شريك الحياة والزوجة الصالحة هو أمر صعب وعسير جداً؟

لعلكم تعرفون بعض الأشخاص الذين يضعون شروطاً صعبة لاختيار شريك (شريكة) الحياة. ولعلكم تعرفون كيف أن هؤلاء الشباب يطلبون من أهلهم وذويهم الذهاب لخطبة الفتاة الفلانية وكيف أنهم يضعون قائمة من الصفات والشروط التي يجب أن تتوفر في زوجة المستقبل؟...؟ فهم يريدونها جميلة الوجه، رشيقة الجسم، جميلة الهندام من أسرة معروفة وعريقة. وشروطاً أُخرى تتعلق بطبيعة عمل والد الفتاة ودرجة ثرائه ومدى ما يملكه من عقارات وإمكانات معيشية والموقع الاجتماعي لعائلة الفتاة والمستوى العلمي للفتاة وما إذا كانت تجيد أياً من الفنون والمهن المختلفة كالخياطة وفن الطبخ وو... وهذه هي أقل الشروط والصفات التي يبحثون عنها في عروسهم ولكنهم مع الأسف لا يعرفون أهم الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر في الفتاة وعائلتها ولا يريدون تلك الشروط. لذلك نراهم يوصون هذا وذاك ويذهبون هنا وهناك بحثاً عن الفتاة المطلوبة ولكنهم بعد كل مرة يعودون فيها من خطبة فتاة ما نراهم ينعتون الفتاة وأهلها بمختلف العيوب وينسبون لها ولأهلها مختلف الصفات الذميمة وفي اليوم التالي يذهبون إلى عائلة أُخرى ليخطبوا فتاة لابنهم وبهذا فهم يسببون المتاعب والصعوبات لأنفسهم وللكثير من الأسر التي لديها فتيات في سن الزواج. كما أنهم يجعلون عائلات كثيرة تعيش حالة الانتظار والترقُّب ويسببون الأذى والاضطراب للكثير من الفتيات وفي نهاية المطاف نراهم وعلى ضوء تصوراتهم ومعاييرهم غير

الصحيحة يختارون لابنهم تلك الزوجة التي لا تتفق معه بالشكل المطلوب ولا تتلاءم معه، وهذا الأمر ربما يجعل الشاب يواجه المتاعب والمصائب.

الرسالة: . . . أعرض فيما يلي معاناتي ومشكلتي دون مقدمات، كنت متزوجاً من امرأة سيئة الخلق عديمة الحياء بذيئة اللسان من عائلة ثرية ولكنها شديدة البخل وغير مثقفة. . . أتعبتني كثيراً، الجميع كانوا يضيقون ذرعاً من بذاءة كلامها وسوء تصرفاتها وكانت توجه التهم للجميع وتفتري على الجميع وتوجه لهم الكلام البذيء والسباب وتكيل لهم الشتائم وكانت باستمرار تتبجح أمامي بثروة أبيها وأمها وكانت تقول لي: لقد دمّرت حياتي ومستقبلي! . . . ولكني كنت أسايرها وأتحملها وفي نفس الوقت كنت أعاني في أعماقي أشدّ المعاناة وألتزم الصمت لقد جلبت لي هذه المرأة مصائب كثيرة بحيث لم أتمكن بعد ذلك من مواصلة العيش معها وقد طلقتها في نهاية الأمر بعد كثير من الأذى والمعاناة وأعطيتها الجهاز وأثاث البيت إضافة إلى مهرها ومبلغاً إضافياً من المال لكي أتخلص منها وتذهب عني وتتركني وشأني. .

إذا افترضنا أن ما قلته صحيحاً أريد أن أسألك هذا السؤال: كيف اخترت هذه المرأة ولماذا؟ هل اخترتها من أجل جمالها؟ أم من أجل ثروة أبيها؟ ألم تكن تعلم أن [من تزوج امرأة لا يتزوجها إلاّ لجمالها لم ير فيها ما يحب، ومن تزوجها لمالها لا يتزوجها إلاّ وكله الله إليه][1] ولا يلقى إلا الفشل والذل؟ ألم تكن تعلم بأن المرأة التي لا ثقافة لها تتبجح بثروة أبيها وتستخدمها كوسيلة للتحقير والإذلال؟ ألم تكن تعلم بأن الثروة إذا لم يرافقها الفهم والإدراك تؤدي إلى التمرد والطغيان؟ حبذا لو نبّهك الآخرون بقول رسول الله ﷺ: «من تزوج امرأة لجمالها، جعل الله جمالها وبالاً عليه»[2].

إنني لا أعلم! قد يكون زواجك من تلك المرأة، بهدف أن يقول عنك الناس بأنك صهر فلان، حبذا لو سمعت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ حيث يقول:

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص ٢٣٥ باب ٣ ح١٩ والحديث عن الرسول ﷺ.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٣٢ باب ١٤ ح١١.

«من نكح امرأة حلالاً بمال حلال غير أنه أراد به فخراً ورياء وسمعة لم يزده الله بذلك إلاّ ذلاً وهواناً، وأقامه بقدر ما استمتع منها على شفير جهنم، ثم يهوى به فيها سبعين خريفاً»[1].

وقد يكون هذا الأمر لم يخطر على بالك أبداً، وأن زواجك من تلك المرأة لم يكن عن بصيرة ووعي واطلاع وبدون تحقيق واستقصاء ومعرفة وأن الزواج تم عن جهل وعدم معرفة وكانت نتيجته تلك المصيبة التي وقعت فيها. وبالطبع فإن أي عمل يقوم به الإنسان دون معرفة ووعي واطلاع لن تكون نهايته سوى اليأس والضياع.

والآن وقد تخلصت من تلك الزوجة، فماذا تنوي أن تفعل؟ وما الذي تريده؟

الرسالة: ... **منذ مدة وأنا أبحث عن امرأة صالحة حسنة الخلق وطيبة القلب وخطر على ذهني بأنني وبالتشاور معكم أستطيع الحصول على مثل هذه المرأة الصالحة ورجائي منكم أن تسيروا بي خطوة إلى الأمام وتدلوني على فتاة من أسرة نجيبة ومحافظة ذات سمعة طيبة تفهم وتدرك معنى الحياة... يقال إن الفتيات ال... صالحات عاقلات يدركن ويقدّرن الحياة الزوجية وأنا أيضاً أصبحت الآن أفهم، أية امرأة يجب أن أختار لتكون شريكة حياتي. فأنا أريد امرأة واعية عاقلة ذات شخصية قوية لا تهتم بزخارف الحياة، تفكر بشكل منطقي تسعى ليكون يومها هذا أفضل من أمسها. أريدها شابة مرحة خلوقة حسنة الكلام طيبة الخلق ربة بيت وفنانة مبدعة تستطيع إعادة بناء حياتي المدمّرة...**

أيها الأخ العزيز! إن الصفات والسجايا التي أشرت إليها هل هي متوفرة فيك؟

إذن، فمن الأفضل أن تقلل من شروطك وتتنازل قليلاً عن مطاليبك وابحث عن الصفات والسجايا الأساسية في شريكة حياتك وفتش عن زوجة تتمتع بشكل مؤكد بالفهم والإدراك والحياء والخلق السامي وأن تكون قد نشأت وترعرعت في

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٣٢ باب ١٤ ح٨.

أسرة فاضلة مؤمنة ذات خلق رفيع. وإذا ما توفرت هذه الصفات في المرأة فإن عليك أن تؤقلم نفسك مع هذه المرأة وتتنازل إلى حد ما عن باقي الصفات والشروط التي طرحتها. لأن الشخص الذي يتمتع بالفهم والإدراك والحياء يكون مؤمناً بالله وهذا الإيمان بالله هو مصدر كل خير وصلاح ومنبع جميع الكمالات والصفات الجمالية وإياك أن تضحّي بجمال الباطن لجمال الظاهر إذا قلّلت من متطلباتك وشروطك بإمكانك أن تتزوج امرأة تتفق معك في العيش والحياة المشتركة وبالتالي تخلص نفسك وتخلصها هي من الوحدة. عندها تستطيعان بالتعاون مع بعضكما البعض أن تعيدا البهجة والهناء لحياتكما الضائعة وتعززان إيمانكما ومعنوياتكما وأن تجعلا يومكما هذا أفضل من أمسكما وذلك من خلال التعاون والتفاهم فيما بينكما. مع تمنياتنا لك بالتوفيق والنجاح.

الفصل (٥)

اختاروا الزوجة التي تمتلك أفضل الثروات

هل تعلمون ما هي أفضل وأثمن هدية قدمها رسول الله ﷺ إلى البشر؟ هذه الهدية الثمينة والتحفة القيمة التي قدمها رسول الله ﷺ هي عبارة عن الحياة الفردوسية الأُخروية النظيفة السامية والرائعة والهادئة. فقد بعث رسول الله ﷺ من قبل الله سبحانه وتعالى ليعلم الناس كيفية الوصول إلى تلك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة وليضيء البيوت المظلمة وينير القلوب الكئيبة الخامدة وليمنح الناس الحركة والسعي من أجل مرضاة الله، وكخطوة أولى لتحقيق هذا الهدف قام النبي ﷺ في بداية الأمر بتعريف الناس على القيم الإنسانية السامية وجوهر الكرامة الإنسانية حيث قال ﷺ: «قوام المرء عقله»[1] وأنت أيها الإنسان! ولكي تصل إلى قمة الكرامة والنبل والشرف وتتخلص من العذاب والظلام وتنجو من المشاكل والصعوبات وتتجنب السقوط في المستنقع عليك أن تهتدي بنور العقل الذي يمنحك الهداية والضياء والسعادة.

والنبي ﷺ يشير إلى قوة وعظمة هذه الجوهرة جوهرة العقل والإدراك فيقول: «رأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حرم من العقل حرمهما جميعاً»[2].

لقد كان ﷺ يسمو بمقام العقل والإدراك إلى درجة أنه عندما كانوا

---

(١) بحار الأنوار، ج١، ص ٩٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٨، ص ١١١ باب ١٧ ح٦ من كلام الحسن بن علي عليه السلام.

يشيدون بشخص ما أمامه ويثنون على جهوده وأعماله وتعبّده، كان ﷺ يسأل: «وكيف هو عقله»[١]؟... وكان ﷺ يقول: «إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»[٢] وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له»[٣].

إذن فمن أجل الوصول إلى تلك الحياة الطيبة وتلك الحياة الهانئة الهادئة السعيدة فإن جميع أعمالنا وكلامنا ورغباتنا وعلاقاتنا يجب أن تكون على أساس العقل والتفكير ولا سيما في مجال وضع أسس الحياة الأسرية وتشكيل العائلة واختيار الزوجة، فإننا يجب أن نبحث عن الفهم والإدراك وأن نختار تلك الزوجة التي تتمتع قبل أي شيء آخر بالفهم والعقل والشعور والإدراك لأن الذي يمتلك العقل والإدراك يمتلك في الحقيقة أفضل الثروات وأحسنها وأروع الصفات الجمالية وبالتالي فهو يمتلك كل شيء. أما الذي ليس لديه عقل وشعور وإدراك فهو لا يملك شيئاً سوى العذاب والمعاناة والمآسي والمصائب، ولا تستقيم ممارساته وتصرفاته ولا تنتظم أقواله ونمط حياته وسلوكه.

الرسالة: ... **هناك موضوع يشغل بالي، وهو موضوع تربية الأبناء، وعلى سبيل المثال، هناك أم شابة تعيش في مجاورتنا وهذه الأم لم تفهم أبداً نفسية طفلها ولا يهمها تفكير ابنها ومستقبله وتقوم بتربيته بطريقة خاطئة وقد تكلمت معها كثيراً وأعطيتها أشرطة تسجيل حول تربية الأطفال لكي تستمع إليها وتستفيد منها ولكن دون جدوى. فهذه الأم تقوم بتعذيب ابنها البالغ من العمر أربعة أعوام، تكوي جسده بملعقة ساخنة وتكيل له السباب والشتائم وتصرخ في وجهه وتحبسه في غرفة مظلمة وتنهال عليه بالضرب المبرح حيث إن أنين هذا الطفل واستغاثته كان يحرق قلوبنا... ولم ينفع النصح والإرشاد مع هذه المرأة وكأن هذه الأم لا تفهم الكلام وبالتالي لا عقل ولا شعور لديها..**

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص ٣٢٤.
(٢) الكافي، ج١، ص ٥٩ كتاب العقل ح٧ وفيه عن أبي جعفر عليه السلام.
(٣) بحار الأنوار، ج١، ص ٩٤. كتاب العقل ح١٩.

لماذا لا تقولون للشباب من خلال هذا البرنامج بأنهم عندما يريدون اختيار فتاة للزواج منها فعليهم أن يهتموا بعقلها وشعورها وإدراكها قبل أن يهتموا بجمال وجهها. لماذا يهتم الرجال فقط بالجمال الظاهري للمرأة؟ لماذا يفكرون فقط في الزواج من الفتاة الفلانية؟...؟ وبعد الزواج يكتشفون بأن تلك الفتاة ساذجة مغفلة عديمة الفهم والإدراك وعنيدة تعاني من مرض نفسي أو مرض آخر...

لذلك فإني أرجو منكم أن تطلعوا الأمهات أكثر فأكثر على موضوع تربية الأبناء وتقولوا لهن كيف يجب عليهن القيام بوظيفة الأمومة التي هي وظيفة مهمة حتى لا يصبحن مسؤولات أمام الله ولا يتسببن في ضياع أبنائهن وتدمير حياتهم بهذا الشكل، هؤلاء الأبناء الذين هم ثمرة الحياة...

أختكم...

من مدينة مشهد

نعم! ومن أجل التخلص من هذا العذاب والعناء. نقل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ هذا الحديث حيث قال: [إياكم وتزويج الحمقاء، فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع][1].

* * *

حسناً! أود هنا أن أُعرب عن شكري وتقديري لتوجيهات هذه الأخت الكريمة وإن شاء الله سوف أتطرق أكثر في المستقبل في أحاديثي وكتاباتي إلى موضوع تربية الأبناء.

وفي الختام أؤكد ضرورة أن نستوعب ونطبق بكل قوة وعزم وتصميم ما جاء في أحاديث النبي ﷺ في هذا المجال وأن نمتنع عما نهى عنه ﷺ لنعيش حياة نظيفة هادئة وهانئة وأن نصل بالتالي إلى العزّة والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٥٦، باب ٣٣ ح١ وميزان الحكمة ج٤، ص ٢٨٢.

الفصل (٦)

اختاروا زوجة من أسرة صالحة

الكذب والخداع هما آفة الحياة الزوجية والدودة التي تنخر شجرة الحياة اليانعة وتجعل الحياة هشة فارغة تفتقر إلى الثقة المتبادلة، والشجرة المنخورة المتآكلة سرعان ما تتكسّر وتسقط على الأرض وتجف بمجرد أن تواجه ريحاً عاصفة. إذن فالكذب والنفاق يدمّران ويزعزعان أسس الحياة المشتركة ولهذا يجب تجنبهما في جميع شؤون الحياة ولا سيما في الحياة العائلية والزوجية وفي الفترة التي تسبق الزواج وعندما يتردد أهل الشاب على أهل الفتاة لغرض الخطوبة وإعداد مقدمات الزواج. وهنا يجب أن نتجنّب الكذب والخداع أي أن نظهر أنفسنا على خلاف حقيقتنا، لأن الاحتيال والخداع في الحياة الزوجية لن يبقى طي الكتمان ومخفياً لفترة طويلة بل إن هذا الكذب سرعان ما ينكشف ويفتضح أمره وعندها يصاب الطرف المخدوع بالفتور والبرود ويفقد محبته للطرف الآخر بل ويشعر بالكراهية تجاهه ويعتبر بالتالي نفسه متضرراً والطرف الآخر (الذي كذب عليه وخدعه) شخصاً حقيراً ورذيلاً ويبدأ بالابتعاد عنه والتهرُّب منه. حقاً من يستطيع العيش بمحبة وصفاء وهناء مع زوجة أو عائلة استخدمت معه أسلوب الكذب والخداع؟! يجب على الزوج والزوجة منذ بداية حياتهما الزوجية أن يقيما أساس حياتهما المشتركة على مبدأ الصدق والصراحة لأن. . . «الصدق والصراحة هما أساس جميع الخيرات والحسنات وإن الذي ينتهج سبيل الصدق يحظى بجميع أزهار الجنة العطرة» وذلك استناداً إلى قول رسول الله ﷺ. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة. فقال ﷺ: [الصدق، إذا صدق

العبد برّ وإذا برّ آمن وإذا آمن دخل الجنة][1]. وكل من يريد أن يشعر بلذة وسعادة الحياة فعليه أن يتزوج من عائلة صالحة وأصيلة، عائلة تمتاز بالصدق وتعيش في ود وصفاء. يقول علي عليه السلام: [الصدق صلاح كل شيء والكذب فساد كل شيء][2]. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: [الصدق ينجيك وإن خفته والكذب يرديك وإن أمنته][3].

وهذه مقتطفات من رسالة وصلتنا من أحد الإخوة:

الرسالة: ... كنت أؤمن منذ البداية بأن عليّ أن أتزوج فتاة مهذبة خلوقة وصالحة ومن أسرة معروفة بالصدق والأخلاق الفاضلة لأنني أكره الكذب والاحتيال والغيبة وعندما قررت التقدم لخطوبة زوجتي الحالية، سمعت من هنا وهناك ومن أقاربي من يقول لي: ألا تعلم أن والدها يعمل في المهنة (الفلانية)؟! ألم تشاهد بعينيك حالتهم المعيشية الصعبة؟! أنت يجب أن تتزوج من فتاة تنتمي إلى عائلة أصيلة! من المؤسف أن تكون صهراً لهذه العائلة. علماً بأني كنت أعرف ماذا يعنون بعبارة الأصالة العائلية. فهم يقصدون بذلك الثراء والثروة المادية والعقارات والسيارات وزخارف الحياة الأُخرى. وأخيراً وبإصرار مني وإلحاح وإصرار من والدتي ـ التي هي والحق يقال امرأة واعية فاهمة ذكية وطيبة ـ تزوجت من تلك الفتاة نفسها. والتي كنت أعرف أهلها وأسرتها بالوجاهة والصدق وذلك من خلال علاقة الدراسة والزمالة التي كانت تربطني بشقيقها. وإني أشكر الله وأحمده لأن زوجتي امرأة صالحة وطيبة وذات أخلاق عالية جداً وإني أعيش معها منذ ثلاث سنوات ولي منها طفل واحد. إنها طيبة وخلوقة إلى أقصى حد بحيث إن الجميع يكنّون لها المحبة والاحترام، حتى أولئك الذين انتقدوني في البداية على الزواج منها أدركوا الآن بأن هذه الفتاة لا تشكو من أي نقص وأنها فتاة طيبة وصالحة جداً تتمتع بالفهم والأخلاق

(١) ميزان الحكمة، ج٨، من الترغيب، ج٣، ص ٥٩٢.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
(٣) ميزان الحكمة، المجلد الخامس، ص ٢٨٥.

العالية والأكثر من ذلك فهي امرأة بسيطة لا تعرف أبداً الغش والخداع والكذب والنفاق كما أنها ليست مغرورة بنفسها ولا تحب الفخفخة والتفاخر والمباهاة.

أيها الأخ العزيز! إننا نبارك لك حسن اختيارك هذا فاشكر الله الذي أعطاك مثل هذا الفهم والإدراك وقوة البصيرة هذه. إن سر نجاحك وقناعتك بهذه الحياة التي تعيشها يكمن في الأمور التالية:

١ ـ إنك لم تعر أهمية للوضع المادي لأهل الزوجة ولا لموقعهم الاجتماعي ولا لمجال العمل الذي تعمل فيه أسرة الزوجة ووالدها (حيث إن هذه من الأمور المهمة من وجهة نظر الآخرين).

٢ ـ لقد تعرفت على أخلاق هذه الأسرة من خلال صداقتك الحميمة والطويلة لأحد أفراد هذه الأسرة (وهو شقيق الزوجة).

٣ ـ إن المعيار الأساسي الذي استندت إليه لدى اختيارك هذه الفتاة هو مدى صدق وطيبة ونزاهة أهل العروس وأنت أيضاً إنسان صادق ونزيه وطيب.

حقاً إن المعيار الذي أخذته بعين الاعتبار في هذا المجال هو جوهرة ثمينة ونادرة! إنه معيار الصدق والإخلاص! الصدق هو عامل ثمين جداً ونادر. فهناك كثيرون ينظرون إلى ظاهر الأسر بل إنهم ينظرون فقط إلى جانب الصلاة والصوم والحج وزيارة العتبات المقدسة وسائر الأعمال الصالحة التي تقوم بها أسرة الفتاة. ولكن بعد أسابيع قليلة من الزواج يكتشف هؤلاء الخطأ الكبير الذي وقعوا فيه! لأنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار المعيار الأساسي لاختيار شريكة الحياة ولم يسمعوا قول رسول الله ﷺ حيث يقول: [لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة](١).

وصيتان مهمتان لاختيار الزوجة:

لقد كنت أيها الأخ الكريم ولفترة من الوقت صديقاً حميماً لشقيق زوجتك

---

(١) بحار الأنوار ج٧١ ص ٩ وميزان الحكمة، المجلد الأول، ص ٣٤٤.

حيث كنت تعاشره وتجالسه عن قرب، الأمر الذي مكّنك من اكتشاف هذه الجوهرة والتعرف عليها وبالتأكيد فإن المعاشرة والمجالسة التي تتكرر أياماً وأسابيع وتستمر لفترة من الوقت تمهّد الأرضية لتعرف أحدهما على الآخر بشكل أفضل وقد قدّم رسول الله ﷺ وصية في هذا المجال حيث قال ﷺ: [تخيّروا لنطفكم فإن النساء يَلِدن أشباه إخوانهن وأخواتهن][1].

كما قدم النبي ﷺ وصية أُخرى للذين هم على عتبة الزواج حيث قال ﷺ: [تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس][2].

أي أن الأبناء يرثون عن الآباء والأمهات والأجداد الصفات والسجايا الحسنة والصالحة وأن هذه الصفات والسجايا الخلقية تصبح هي القاعدة والأساس الذي يستند إليه سلوك الأبناء وتصرفاتهم. وأنت أيها الأخ الكريم قد عملت بهاتين الوصيتين، وإنّا إذ نبارك لك ذلك، نتمنى أن تعيش حياة رغدة دون معاناة ومفعمة بالمحبة والوئام وأن تكون دائماً مرفوع الرأس أمام الله وأمام خلقه.

ويواصل هذا الأخ الكريم رسالته فيقول:

الرسالة: ... ولكن القضية الوحيدة التي تؤذيني أحياناً فهي أن زوجتي تتأثر كثيراً عندما أبتعد أو أغيب عنها ولذلك فإني لا أستطيع أن أسافر لوحدي وأذهب لزيارة أقربائي، لأنها أحياناً يساورها الشك من أنني قد أتزوج بامرأة أُخرى ومتى ما قلت لها بأنني أحبك تقول لي: أعرف ذلك ولكن قلقي في هذا المجال لا إرادي حيث أشعر بالقلق والاضطراب بصورة لا إرادية.

أرجوكم أرشدوني في هذا الخصوص.

إن هذا العشق وهذه المحبة التي باتت تميل إلى القلق والاضطراب هما أمر ضروري تماماً من الناحية العاطفية ولكن الأمر ليس كذلك في الواقع العملي.

---

(١) كنز العمال، حديث رقم ٤٤٥٥٩، مضمون حديث الرسول ﷺ، لمزيد من الاطلاع راجع كتاب الطفل بين الوراثة والتربية.

(٢) كنز العمال، حديث رقم ٤٤٥٥٧.

فزوجتك يجب أن تفهم بأنك مسؤول عن عائلة وعليك أن توفر لها سبل العيش وإلى جانب مسؤوليتك العائلية فهناك واجبات أُخرى تقع على عاتقك وأن عليك أن تقرر وتعمل لأداء كل تلك الواجبات والمسؤوليات وفقاً لما تقتضيه مصالح أسرتك. حاول أن تظهر لها حبك المتبادل وأن تجعلها تزداد ثقة بك وحاول أن لا تثور أو تغضب لقلقها أو لبعض الأفكار الخاطئة التي تجول في خاطرها، لأنه كما قالت هي نفسها فإن هذا القلق وتلك الأفكار والتصورات تراودها بصورة لا إرادية، إن ما تقوله زوجتك صحيح فهذه الأمور خارجة عن إرادتها وهي نتيجة حبّها وتعلّقها الشديد بك. ولكن عليك أن تفهمها برفق وحنان وبشكل تدريجي بأن العمل ومسؤولية زيارة الأقرباء والانشغال بالقضايا المعيشية والحياتية هي قضية جدّية وملحّة وأنك (كمسؤول عن إعالة الأسرة) لا تستطيع أن تغض النظر عن القضايا المعيشية ومتطلبات الحياة اليومية وأن الزوجة يجب أن لا تتدخل في أمورك ووظائفك ومسؤولياتك.

تمنياتنا أن يسود المحبة والوئام بينكما وأن تقوم حياتكما المشتركة على أساس الصدق والإخلاص وأن تكون مليئة بالفرح والنشاط والوئام، ودمتما في توفيق ونجاح.

الفصل (٧)

مكنوا أبناءكم من الزواج

إن للأبناء حقوقاً على الوالد وأهم تلك الحقوق أشار إليها محمد المصطفى ﷺ في ثلاث جمل إحداها «تزويج الأبناء»[١] أي: إن من واجب الأب تجاه أبنائه: «أن يزوجهم إذا ما وصلوا إلى سن البلوغ». وإذا ما قصّر الأب في هذا الواجب ولم يؤدِ هذا الحق فسوف يكون مسؤولاً أمام الله الذي سيعاقبه على هذا التقصير وإذا ما وقع الابن في المعصية وارتكب إثماً (نتيجة عدم تزويجه) فإن هذه المعصية سوف تسجل في صحيفة أعمال الأب.

والآن وبعد أن اطلعنا على هذا الواجب المهم، ماذا يجب أن يكون ردنا على الأسئلة التي وردت في الرسالة التالية:

الرسالة: . . . السلام عليكم، أيّدكم الله، الهدف من كتابة هذه الرسالة هو أن أوجّه إليكم بعض الأسئلة حيث أرجو الحصول على ردود واضحة وصحيحة لكي أعرضها على والدي فيهتم بأمر زواجي . .

١ ـ هل يستطيع الأب والأم التدخل في حياة أولادهما ولا سيما التدخل في أمر زواجهم.

هل يستطيعون التدخل؟ أم لا؟ ولماذا؟

٢ ـ إنني شاب أبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً وحتى الآن فإن والدي يصرّ على عدم تزويجي ويقول لي: حتى لو أصبحت طاعناً في السن فإنك

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٤، ص ٨.

يجب أن تتزوج ابنة فلان. ولكنني لا أرغب بتلك الفتاة، فهل لا يحق لي أن أتزوج الفتاة التي أريدها؟ لماذا لا يسمحون لي بالزواج منها؟ ماذا عليّ أن أفعل؟

٣ ـ اسألوا أهل مدينتنا. . . لماذا يصعبون أمر الزواج إلى هذا الحد بحيث تبقى بناتهم دون زواج حتى يبلغن الثالثة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين من العمر وبعد ذلك لا يتقدم أي شاب لخطبتهن؟

٤ ـ . . . اسألوا أهل مدينتي لماذا يضعون كل هذه الإجراءات والمراسم المعقدة في طريق الزواج بحيث لم يعد معها الشباب قادرين على تحمل أعباء الزواج ونفقاته وتكاليفه؟

بالله عليكم. أقسم عليكم بضمائركم أن تجيبوا على رسالتي وأسئلتي هذه بطريقة يتمكن والدي من قراءة ردودكم وبالتالي يكفّ عن عناده وتعنته ولا يؤخر أمر زواجي أكثر من هذا. وحبذا لو قمتم بزيارة لمدينتي. . .

سلام عليك أيها الأخ الكريم، رداً على تساؤلاتك أقول: الابن هو فلذة كبد الأب والأم وثمرة الحياة الحلوة، فالأب والأم يعتبران الابن منهما بل كل وجودهما، فهما يحبانه كحبهما لنفسهما بل أكثر.

ولكن هناك نقطة مهمة يجب الانتباه إليها وهي أن حبّنا لأولادنا يجب أن لا يؤدي إلى اعتمادهم علينا بشكل كامل الأمر الذي من شأنه أن يحول دون تمتعهم بالتفكير المستقل والشخصية المستقلة، كما أن حب الوالدين للأولاد يجب أن لا يجعلهما يتدخلان في كافة شؤون أولادهما الشباب كما يجب أن لا يجعل الوالدين يطلبان من أولادهما الرضوخ والاستسلام لهما بشكل كامل دون أي اعتراض. إن مسؤولية الأب والأم في تزويج أبنائهما وفي جميع الأمور التي تخص هؤلاء الأبناء تنحصر في إطار التوجيه وتقديم الإرشادات لهم والتشاور معهم وتقديم العون لهم كما أن مسؤولية الأبناء تتمثل في احترام الوالدين وتقديم الشكر لهما والدعوة لهما بالخير. الأب والأم يجب أن لا يطلبا من أبنائهما الشباب إطاعتهما طاعة عمياء وعليهما بشكل خاص أن لا يجبرا أبناءهما في مجال الزواج. عليكم أن تقتدوا بسيرة الرسول ﷺ في هذا المجال، فهو ﷺ سأل ابنته (فاطمة عليها السلام) ما

إذا كانت ترغب في الزواج وأخذ موافقتها على هذا الأمر. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول وذكر حديث تزويج فاطمة عليها السلام وأنه طلبها من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي إنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل عليها فأخبرها وقال: إن علياً قد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها (الحديث)[1].

إذن فالأب والأم يجب أن لا يجبرا ابنتهما الشابة على الزواج من شاب معين إلاّ إذا وافقت هي على ذلك وقبلت به ونفس الشيء بالنسبة للشاب الذي هو في سن الزواج يجب أن لا يرغمه أبواه على الزواج من فتاة معينة. فقد جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: «إني أريد أن أتزوج امرأة وإن أبوي أرادا أن يزوجاني غيرها، فقال: تزوج التي هويت، ودع التي يهوى أبواك»[2].

وعلى هذا الأساس فيجب عليك أن تراعي احترام والدك وتطلعه على هذه الأمور وتحصل على موافقته وإذا لم تتمكن من إقناعه فتزوج الفتاة التي تريدها وتخلص من الوحدة وحياة العزوبية. أما فيما يتعلق بموضوع التشدّد في أمر الزواج ووضع العراقيل في طريقه والقيام بإجراءات ومراسم معقدة وغير ضرورية فإني سوف أُحدث أهالي مدينتك بهذا الخصوص إن شاء الله.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٢٠٦، باب ٥ ح٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٢٢٠، باب ١٣ ح١.

الفصل (٨)

عندما تريد تزويج ابنتك

فخذ بعين الاعتبار مصلحتها ورضاها

إن الإنسان قد يطغى أحياناً ويصاب بالغرور فيرى نفسه أفضل من الجميع ومتفوقاً على الجميع. حيث لا يعترف بأي حق ولا يرى أية قيمة لأي إنسان فيعتبر الجميع حقيرين أذلاء ويرى نفسه الوحيد الذي يتحكم بمصائر الآخرين فيتكلم باسم الآخرين ويتخذ القرارات باسمهم ويفرض عليهم رأيه وقراراته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. هذه الصفات القبيحة هي صفات الإنسان المتكبّر والإنسان المتكبّر هو من أبغض الأشخاص بين الناس ومكانه يوم القيامة في جهنم.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار عبد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان قلت: جعلت فداك. إن الرجل ليلبس الثوب أو يركب الدابة فيكاد يعرف منه الكبر؟ قال: ليس بذاك، إنما الكبر إنكار الحق. والإيمان الإقرار بالحق[١].

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من هو المتكبر؟ فقال: إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق[٢] قيل: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٣، ص ٢٣٥ باب ١٣٠ ح٣٧.
(٢) ميزان الحكمة، ج٨، ص ٣٠٥، ح ١٦٩٤١.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٣، ص ٢١٨ باب ١٣٠ ح٩.

وأنتم بإمكانكم مشاهدة اللون القاتم والرائحة النتنة للتكبّر وهي تظهر على ملامح هذا الأب ومن خلال كلامه المرّ اللاذع، تمعنوا في مضمون الرسالة التالية:

الرسالة: ... **إنك بمثابة والدي وأرجو أن تسامحني لأني أتطرق في رسالتي إلى هذا الموضوع..**

لقد نشأت في أسرة غنية مرفهة وملتزمة دينياً بشكل ظاهري. والدي ليس له إدراك ديني صحيح رغم تردده على المساجد وهو يفتخر بماله وثروته كما أنه إنسان متعنت وعنيد متشبّث برأيه ولا يقبل بآراء الآخرين ويحاول مهما كلّف الثمن أن ينفذ كلامه وهو يعتبر الآخرين أغبياء جهلة، وأنه وحده إنسان عاقل وصاحب تجربة ويمتلك كل شيء..

وقد عانيت أنا وسائر إخوتي وأخواتي ووالدتي المسكينة الأمرّين في هذا البيت!! الله وحده يعلم ماذا عانينا ونعاني... ولكن الذي أريد أن أقوله هو...

إن الإستبداد في الرأي هو علامة التكبر وإن الذي يتشبّث برأيه ولا يعير أهمية لآراء وأفكار الآخرين، يتعرض للهلاك وتزل قدمه عن طريق الصواب ويسقط. نستجير بالله إذا كان أحد الآباء ـ كهذا الأب ـ له مثل هذا التفكير الذي يعتقد بأن الأبناء لا يحق لهم أن يتنفسوا لأنه والدهم وأن عليهم إطاعته والخضوع له في كل الأمور الصحيحة منها وغير الصحيحة. صحيح أن الفتاة يجب أن تختار الزوج بموافقة والدها[1] ولكن الأب يجب عليه أيضاً أن يأخذ بعين الاعتبار مصلحة ابنته ورضاها وموافقتها وأن لا يجبرها على الزواج من شخص معين لأن الفتاة إذا لم تكن راضية فإن عقد النكاح يكون باطلاً[2].

الرسالة: ... **رغم أن الكثيرين تقدموا ولا زالوا يتقدمون لخطبتي ولكن والدي يريد أن يجبرني على الزواج من فلان... الذي هو أحد أقربائنا ولكنني لا أريده أبداً ولا أستطيع أن أعيش معه ولا أستطيع أن أحبّه لأني أعرف**

---

(١) القانون المدني، المادة ١٠٤٣.

(٢) القانون المدني، المادة ١٠٧٠.

أخلاقه السيئة... كما أنني أشعر بأن عليّ القيام بدور إيجابي في النشاطات والأعمال الاجتماعية وبالتالي فإني أرغب بالزواج من شخص أقوم معه بنشاطات اجتماعية. لقد رفض والدي كل الذين تقدموا لطلب يدي وهو يقول بأن عليّ أن أتزوج من ذلك الشخص دون غيره لأن مكانتنا الاجتماعية والعائلية لا تتلاءم مع المكانة الاجتماعية والعائلية لهؤلاء الذين يتقدمون لخطبتي. وهو يقول لي: إنك لا تفهمين، تريدين أن تتزوجي من شخص فقير لا يملك لقمة العيش... والآن فإني على وشك أن يفوتني سن الزواج وأصبح عانساً وهذا ما يقلقني وأخشى أن أفقد الأمل في الزواج إلى الأبد.

إن كرامة الإنسان أو الفرد وشخصيته ـ خلافاً للتصور والاعتقاد الخاطىء لوالدك ـ ترتبطان بإيمانه بالله ومدى تمسكه بالقيم الخلقية السامية ودرجة تقواه والتزامه الديني وإن الذي يتصور ويعتقد بأن شخصية الفرد تكمن في ثروته وكثرة معارفه وأقربائه وعشيرته، إنما يؤمن ويتمسك بنفس القيم والمفاهيم التي كانت سائدة في زمن الجاهلية والتي نهى عنها النبي ﷺ وقال: [لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى]. ويقول تعالى في القرآن الكريم: **﴿يا أيّها الناسُ إنا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** [1].

ولكي ينبذ رسول الله ﷺ بشكل عملي ويفند تلك التصورات الجاهلية السخيفة فقد أرسل ﷺ «جويبر» لخطبة فتاة من الأشراف[2]. كما أن النبي ﷺ زوّج ابنة عمّه «للمقداد» وذلك لكي يعرف الجميع بأن الشرف هو بالإسلام والإيمان وليس (بالثروة والجاه والأولاد والعشيرة)[3]. ويا حبّذا لو أن والدك اقتدى برسول الله ووافق على شخص على شاكلة «المقداد» ليكون صهراً له ويحترم بذلك رأي ابنته الصالحة الواعية وينقذها من الوحدة والقلق وحبذا لو سمع والدك كلام رسول الله ﷺ حيث قال: [إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير][4]. وقال

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٤ باب ٢٥ و٢٦.

الإمام الرضا عليه السلام: [إذا خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوّجه ولا يمنعك فقره وفاقته. قال الله تعالى: **﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾** وقال: **﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾**][1].

وتواصل هذه الأخت الكريمة رسالتها فتقول:

الرسالة: قبل فترة جاء إلينا شاب من أسرة على درجة عالية من الإيمان والتديُّن والخلق الحسن يطلب يدي للزواج حيث تتوفر في هذا الشاب نفس الشروط والصفات التي كنت أريدها. وهذه المرة لم يرفض والدي هذا الشاب نتيجة إصراري الشديد عليه وتوسّلي إليه وبعد أن صرت أبكي جزعاً وتأثراً وأندب حظي المتعثّر أمامه. ولكن في المقابل وضع أمام أهل الشاب شروطاً كثيرة وتقدم بطلبات مرهقة تثقل كاهل هذا الشاب، ومن جملة هذه الشروط أن يمتلك الشاب منزلاً في مدينة... كما حدّد مهراً عالياً واشترط عليه أن يشتري لي خاتماً وملابس ومجوهرات وو.... الأمر الذي جعل أهل الشاب يندمون على فعلتهم ويغادرون منزلنا دون عودة... هل بإمكانكم أن تنقذوني من هذا الوضع؟ هل تستطيعون المجيء إلى بيتنا للتحدث مع والدي في هذا المجال؟...؟

حبذا لو كنت أستطيع المجيء إلى بيتكم لكي أتحدث مع والدك وأقول له، بأن الذهاب إلى المساجد والتظاهر بالدين لا يكفي، بل يجب أن تزيل عن قلبك وبيتك ظلمات الجهل والجاهلية وأن تنير روحك وقلبك بنور سنن رسول الله. ونحن نأمل أن يقرأ أقرباؤك المتفكرون الواعون هذه السطور ويتحدثوا مع والدك ويزيلوا عنه هذا التصور الخاطىء وينقذوه من هذا الظلام والعتمة. وإذا ما أصر والدك على رأيه واختار سبيل التعنت والعناد فإن المحكمة المدنية الخاصة بإمكانها مساعدتك في هذا المجال[2]. قوّي أملك بالله... وتكلمي مع والدك مرة أُخرى.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص ٣٧٢. باب ٧٨ ح٧.

(٢) القانون المدني الإيراني، المادة ١٠٤٣.

ملاحظة:

١ ـ لقد قمنا بتغيير بعض العبارات والجمل التي تتضمنها الرسائل الواردة إلينا وذلك لكي لا ينطبق مضمونها على شخص معين أو أسرة معينة.

٢ ـ إن الاهتمام بأمور الناس وحل مشاكلهم هو واجب إنساني وإسلامي، وأنتم أيضاً قد تستطيعون من خلال توجيهاتكم أن ترشدوا شاباً ما إلى الطريق الصحيح للزواج وتنقذوه من القلق والاضطراب.

الفصل (٩)

الاستخارة في الزواج

لماذا؟ كيف؟ بأية طريقة؟

قال علي عليه السلام: [العقل أفضل مرجوّ، الجهل أنكى عدو][(١)].

لقد وهب الله سبحانه وتعالى الإنسان أعزّ وأثمن جوهرة في هذا الوجود، كما أعطاه مع هذه الجوهرة كل الكرامة والعزة وهذه الجوهرة هي جوهرة العقل الذي هو كالشمس تضيء ليل الفكر الدامس، كما أن العقل ينير القلب ويوضح معالم طريق الحياة. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: [مثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت][(٢)] وفي ظل هذه الجوهرة ومن خلال الاستفادة منها بشكل صحيح يمكننا أن نميز بين الخير والشر والنفع والضرر وبالتالي نختار أكثر السبل فائدة وأوفرها خيراً، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: [استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا][(٣)]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: [إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلاّ به، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم. فبالعقل عرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وأنه المدبر لهم وأنهم المدبرون وأنه الباقي وأنهم الفانون][(٤)].

وكل من يريد أن يستشير الله سبحانه وتعالى عليه أن يتشاور مع عقله ومع عقل المتفكرين الأمناء. قال الإمام الكاظم عليه السلام: [إن لله على الناس حجتين:

---

(١) غرر الحكم ص ٢٩ رقم ٥٣٤ ط الأعلمي.
(٢) بحار الأنوار، ج١، ص ٩٩، كتاب العقل باب ٢ ح١٤.
(٣) بحار الأنوار، ج١، ص ٩٦ كتاب العقل باب ١ ح٤١.
(٤) الكافي، ج١، ص ٧٧ كتاب العقل ح٣٤.

حجة ظاهرة وحجة باطنة. فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء عليهم السلام. وأما الباطنة فالعقول][1]. وقال الصادق عليه السلام: [دعامة الإنسان العقل ومن العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذكياً فطناً فهماً وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره][2].

فالإنسان بعقله يرى ويسمع ويحلّل ويقيّم ما يسمعه ويراه ويقارنه مع المعايير والمقاييس الباطنية ويفكر ويطلع ويصل إلى مرحلة الوثوق واليقين وعلى أساس هذا الاطلاع واليقين يمارس إرادته ويتخذ القرار وأخيراً ينفذ ويعمل بما قرره.

لماذا عدم التقدير وعدم الاكتراث والتجاهل؟!

البعض لا يكترث بهذه الجوهرة الأغلى والأثمن ويضعون على هذا المصباح الوضّاء غشاءاً من الدخان والغبار والمساوىء والقبائح وتكون نتيجة ذلك أن يحرم هؤلاء بصورة تدريجية من وضوح الرؤية والوعي ومن الوثوق واليقين اللذين هما نتاج جوهرة العقل. فالذي لا يملك في بيته مصباحاً أو فانوساً لا يملك البصيرة والرؤية والقدرة على الاختيار وبالتالي يقع في وادي الحيرة ويغوص في مستنقع ظلام الشك والتردد ومع كل تأمل وتوقف يغوص أكثر فأكثر في هذا المستنقع ويواجه مزيداً من الضياع ويزداد ضلالاً وذلاً ومسكنة. وفي بعض الأحيان نرى مثل هذا الإنسان يجعل من المقدسات الإلهية مبرراً لشكّه وتردّده حيث يغطي شكّه وتردّده هذين بغطاء مخادع من التديّن الظاهري المزيف... فهو يرى بأن الأبواب والجدران نجسة ويقوم بغسلها، ويتوضأ عشرات المرات ويمضي ساعات طويلة في الحمام يصب الماء على نفسه ولكنه يسقط في النهاية منهوك القوى دون أن يغتسل. يلجأ إلى الاستخارة لكل عمل يريد القيام به حتى إنه يستخير الله ليعرف هل يستخير أم لا؟!... دققوا في هذه الرسالة:

الرسالة: السلام عليكم،

... لدي مشكلة، أردت أن أطرحها عليكم لتكونوا مرشدين وموجهين لأشخاص مثلي ومثل والدي...

---

(١) الكافي، ج١، ص ٦٤، كتاب العقل ح١٢ في حديث هشام بن الحكم.

(٢) الكافي، ج١، ص ٧٣ كتاب العقل ح٢٣.

لقد ضقت ذرعاً لأن والدي يستخير الله (بالقرآن والمسبحة) لكل أمر يريد القيام به حتى عندما يريد أن يضرب زوجته فإنه يستخير الله، فهل تؤخذ الاستخارة للضرب أيضاً؟؟ وهل الاستخارة ضرورية لزواجي؟! قبل فترة جاء شباب صالحون كثيرون يطلبون يدي للزواج ولكن كلما كان يأتي شاب لخطبتي وأوافق عليه ونسأل ونتحقق عنه وعندما كانت الأمور تصل إلى مراحلها النهائية، فإن والدي يلجأ إلى الاستخارة، ويبدأ بأخذ استخارات عديدة حتى تأتي واحدة من هذه الاستخارات غير جيدة. وهنا أريد أن أسألكم: هل إن أخذ الاستخارة يعتبر ضرورياً في أمر الزواج؟! الذي هو عمل خير قال عنه رسول الله ﷺ: «من تزوج فقد أحيا سنتي» كما قال ﷺ: «من تزوج فقد حفظ نصف دينه» هل إن الرسول ﷺ قال، الاستخارة أولاً ثم الزواج؟! لماذا نصعّب حياتنا ونضع العقبات والمشاكل في طريقها ونحرق البعض بنيران جهلنا وتطرّفنا؟! ألا يحق لي أن أتزوج؟ إذن متى يكون ذلك؟ هل أتزوج عندما يبيضّ شعري؟ أوضحوا هذه النقطة وهي أن الاستخارة تؤخذ في حالات معينة، إني أعتقد بأن الاستخارة تؤخذ عندما يكون الشخص متحيراً أمام أمرين أو سبيلين لا يدري أيهما يختار ويسلك وعليه أن يختار أحد الأمرين أو السبيلين في هذه الحالة يأخذ الاستخارة. أرجوكم أن تتحدثوا حول هذا الموضوع. لأن هناك كثيرين مثلي، جزاكم الله خير الجزاء...

وشكراً لكم، أختكم...

أفضل استخارة:

الاستخارة تعني طلب الخير من الله وأفضل استخارة هي أن يستفيد الإنسان من جوهرة العقل ومن قبسات أنوار التشاور مع العقلاء الأمينين. وأن يتحقق ويتصل بأصدقاء وأقرباء الشاب الذي جاء يطلب يدك ويدرس ماضيه... وبعد الانتهاء من هذه المراحل حبذا لو صلّى والدك ركعتين (كصلاة الصبح) بنيّة صلاة الاستخارة وبعد الانتهاء من الصلاة يقول مائة مرة: «أستخيرُ الله برحمته» وبعد ذلك لينظر ماذا يقول له قلبه فيعمل بما يميل إليه قلبه ويوحي له

به[1] وعند ذلك ينزّل الله تعالى عليه الخير الذي قدّره له.

أيتها الأخت الكريمة! بإمكانك أن تتبعي هذه الطريقة وتعلّميها لوالدك، عسى أن تحل مشكلتك وأن ينفض والدك بدوره غبار الغفلة عن مصباح عقله وأن يخرج من مستنقع الشك والتردد وأن يقدم عن وعي وإدراك على تزويجك ولا يتأخر أكثر من ذلك في القيام بعمل الخير هذا.

الحل الأخير!

ولكن إذا أراد والدك مرة أُخرى بتردده ووساوسه أن يؤخّر زواجك فإن المحكمة المدنية الخاصة وبالنيابة عن والدك تستطيع إصدار إذن بزواجك، وأنت بدورك اطلبي من الله سبحانه وتعالى أن يفعل ما فيه الخير والصلاح فهو بكل تأكيد سيقدّر لك الأفضل والأنسب واعلمي بأن الله جل وعلا خير ناصر ومعين.

---

(١) للتفصيل راجع كتاب وسائل الشيعة، ج٥، ص ٢٠٥، باب صلاة الاستخارة.

الفصل (١٠)

من بيده حق الاختيار النهائي

الزواج هو أحد أفضل السنن التي وضعها رسول الله ﷺ وأحد حقوق الابن على والده هو أن يبادر الأب إلى تزويج أبنائه عندما يصلون إلى سن الرشد ومرحلة النضوج والبلوغ وعلى الأب أن يقدم كل ما يستطيع في هذا السبيل. على أن أهم قضية في هذا المجال هي كيفية اختيار الزوجة أو الزوج المناسب ومن بيده حق الاختيار النهائي للزوج المناسب للبنت أو الزوجة المناسبة للابن. صحيح أن الأب والأم هما أفضل من يستطيع الأبناء التشاور معه والاستفادة من توجيهاته وإرشاداته لكي لا يقعوا تحت تأثير الأحاسيس والمشاعر المؤقتة العابرة ولا يتورطوا بالتالي مع زوجة غير مناسبة أو زوج غير مناسب ويعيشوا مدى العمر في عناء ومشاكل ولكن لا يجب على الوالدين أبداً أن يرغما الشاب أو الفتاة على زواج لا يرغبان به أو أن يتمنعا ويماطلا في تزويج الشاب أو الفتاة في حال العثور على شريك الحياة المناسب ـ وذلك لأسباب ودلائل ليست صحيحة أو مقنعة ـ ويقولا للابن أو البنت: اذهب وافعل ما تريد وإياك أن تعود ثانية إلى البيت. نعم إن الوالدين لا يحق لهما أن يقولا مثل هذا الكلام لأبنائهما الذين يرغبون في الزواج وذلك لأن الأبناء بحاجة دائماً ومدى العمر إلى دعاء الوالدين وإلى مساعداتهما الفكرية الاستشارية والعملية أيضاً.

الرسالة: الهدف من كتابة هذه الرسالة هو أن تقولوا لوالدي ووالدتي بأن لا يذلا ابنهما ويحطما شخصيته بهذا الشكل، تفاصيل القضية كالتالي: قبل عام قبلت في جامعة... وفي هذا العام حيث أدرس السنة الثانية في الجامعة تعرفت على فتاة تتمتع بالحياء وعفيفة ومؤمنة كفؤة وذكية... من أسرة

محافظة ومعروفة (هذه الصفات اكتشفتها من خلال علاقتي الطويلة بهذه الفتاة) وقد شعرت أنها ـ بهذه الصفات التي تحظى بها ـ مناسبة لي. وبعد فترة من الوقت صارحت أهلي بالموضوع. فغضبوا لهذا الأمر أشد الغضب وكأني أريد الزواج من إحدى الجنّيات. إن الحالة التي انتابت أهلي لحظة إطلاعهم على موضوع علاقتي بهذه الفتاة تستحق المشاهدة حقاً. لقد حاولت بكل الطرق الممكنة ـ والتي لا تخطر على بالكم ـ الحصول على موافقة والدي ووالدتي للزواج من هذه الفتاة ولكن دون جدوى. فأهلي يصرّون على أن:

١ ـ هذه الفتاة لا يمكن العيش معها وهي ليست مؤهلة للحياة الزوجية فهي ليست ربة بيت ولم تتعلم سوى الدراسة. ٢ ـ إن سنّ هذه الفتاة يقارب سنّك، الأمر الذي يجعلنا نواجه اللّوم والانتقاد من قبل الأقارب. ٣ ـ عائلة الفتاة عائلة فقيرة لا تناسبنا. ٤ ـ لقد خطبنا لك من قبل إحدى بنات خالك. ٥ ـ والأهم من كل ذلك أن الولد الذي يختار زوجته بنفسه لا مكان له بيننا.

١ ـ إنني لا أدري هل أن والدك ووالدتك قد زارا أهل الفتاة والتقيا بهم أم لا؟ فالصفات التي ذكرتها هي من أهم الصفات التي يجب توفرها في الزوجة المناسبة ومثل هذه الفتاة حتى إذا لم تكن ربة بيت ولا تعرف شيئاً عن إدارة شؤون البيت فإنها يمكن أن تتعلم ذلك خلال فترة قصيرة جداً وبإمكانها من خلال التفاهم والمودة أن تعيش مع زوجها وأهل زوجها.

٢ ـ طبعاً من الأفضل أن تكون الفتاة أصغر سناً من الشاب بخمس أو ست سنوات. ولكن هذا الأمر ليس ضرورياً ويمكن غض النظر عن هذا الأمر على ضوء الصفات الحسنة الأُخرى التي تتمتع بها الفتاة.

٣ ـ هناك الكثير من الأُسر الفقيرة التي عاشت بشرف وكرامة قامت بتربية أبناء شرفاء يتمتعون بالأخلاق الكريمة الحسنة وعلى العكس من ذلك هناك الكثير من الأُسر الثرية والمرفهة التي تعاني من الفقر الأخلاقي والمعنوي وتفوح قلوبهم بالروائح النتنة للأعمال القبيحة والمعاصي وسوء الخلق.

النفس قبل أن يبحثا عن الثروة والمال والتمكن المادي. وحري بهما أن يقيما العلاقات مع هذه الفتاة وأهلها ليتأكدا بنفسيهما من وجود تلك الصفات التي ذكرتها أنت في الفتاة وأسرتها. فإذا تأكدا من وجود تلك المزايا يجب عليهما أن يغضا النظر عن الأمور الأخرى ويساعدا ابنهما بكل صدق وإخلاص ومحبة لإقامة مراسم زواج مبارك وميمون مع تلك الفتاة.

ويستطرد هذا الشاب في رسالته فيقول:

الرسالة: حبذا لو كان هناك شخص خيّر ومخلص يفهمني ويدرك نفسيتي ومشاعري ليتدخل في هذه القضية ويحل المشكلة. وقد اتصلت بكل خجل واستحياء، بأهل الفتاة وطلبت منهم أن يسمحوا لي بأن أقدم على خطبة ابنتهم لوحدي ولكنهم رفضوا ذلك وبالطبع فهم على حق في هذا الرفض... هذه هي خلاصة قصتي، ورجائي منكم أن تطرحوا هذه القضية في برنامجكم «أسس التعامل بين أفراد الأسرة» لعل والدي ووالدتي يسمعون ذلك و...

رغم كل ما ذكرت. رجاؤنا منك أيها الأخ الكريم هو أن تقدم رضى والديك على رضاك وأن تسعى كما كنت حتى الآن لكسب رضاهم باحترام وحسن خلق وتعامل طيب معهما وليكن في ذهنك دائماً بأن الأب والأم ـ ولا سيما الأم ـ لهما أكبر الحقوق وأعظمها على الأبناء. وعلى الأبناء أن لا يقوموا على الإطلاق بأي عمل أو تصرف يؤذي الوالدين ويسيء إليهما ويجرح مشاعرهما. وفقك الله لكل خير. ونحن نأمل ونرجو أن يدرك والداك مشاعرك ويتعاملا بشكل أفضل مع هذا الموضوع المهم.

الفصل (١١)

الزواج من أجل المال يعني الوقوف على شفير جهنم

إنكم تعرفون بكل تأكيد بأن للوالد والوالدة حقوقاً كثيرة على الأبناء، كما أنكم تعلمون أيضاً بأن للأبناء حقوقاً على الوالدين وإذا لم يؤدِّ الوالدان تلك الحقوق فسيكونون مسؤولين أمام الله؟

حقوق الأبناء على الآباء كثيرة أهمها تلك التي أشار إليها رسول الله ﷺ حيث قال: [من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلّمه الكتابة، ويزوّجه إذا بلغ][1]. وقال ﷺ أيضاً: [من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثاً فالإثم عليه][2].

الرسالة: . . . أنهيت لتوي الخدمة العسكرية وأريد أن أتزوج، ولكن والدي ليس فقط لا يساعدني على الزواج! بل إنه يضع العقبات في هذا المجال ويقول لي: يجب عليّ أن أتزوج أنا أولاً وبعد ذلك أزوجك أنت. . طبعاً كل هذه القضايا تعود إلى الخلافات الموجودة بين والدي ووالدتي حيث إن العلاقة بينهما ليست ودية.

. . . والدي يريد تزويج شقيقتي من رجل غير ملتزم دينياً وهو يقول: إنه عريس جيد وثري. وطالما يملك الثروة والمال فهو يملك كل شيء. . . وبالطبع فإن شقيقتي ليست راضية ولا تريد الزواج من هذا الرجل ولكنها تقول: ماذا أفعل؟ لقد تقدم بي العمر ويجب أن أتزوج. . . وهي طلبت مني أن أسألكم ماذا تفعل؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٤، ص ٨٠ باب ٢ ح ٨٢.
(٢) كنز العمال، ح ٤٥٣٣٧.

هل صحيح هذا الكلام؟ صحيح أن من يملك المال يملك كل شيء؟! صحيح أن التمكن المالي والثراء يحققان للإنسان معيشة جيدة ومرفهة ولكن الثروة ليست هي كل شيء وإن من يملك المال لا يملك كل شيء وإن الثراء وحده لا يحقق السعادة للإنسان، فمثلاً يكون الشخص ثرياً ولكنه مريض أو يكون ثرياً ولكنه بخيل، فمثل هذا الشخص كيف يمكنه أن يكون سعيداً ومحظوظاً ويُسعد زوجته؟. . .؟

الرسالة: . . . زوجي رجل غني وشديد الثراء ولكنه يصعب عليه أن يأتي برغيف من الخبز إلى البيت، فلا هو ينفق على نفسه ولا هو ينفق على زوجته وأبنائه، ويقول: إن هذا المال والثراء أحتفظ به للأيام الصعبة والظروف العصيبة. . .

وعندما أمرض أنا أو أحد أولادي يجب علينا أن نذرف الدموع ونتوسل إليه ونرجوه لكي يعطينا نفقات الطبيب والدواء. أقول له: إذا لم أعرض الطفل على الطبيب فسوف يموت فيقول لي: من الأفضل أن تموتي أنت أيضاً. . . إنه رجل ليس في قلبه محبة! ولا عاطفة! لا يفكر سوى بتحصيل المال وجمعه وتكديسه.

انظروا كيف أن الشخص الذي لا يتمتع بالصفات الإنسانية الحسنة فإنه يزداد شقاءً كلما ازدادت ثروته وأمواله. قل لشقيقتك أن تتزوج من رجل وفيّ يتمتع بالفهم والإدراك وحسن التدبير ويمتاز بالأدب والحياء وحسن الخلق، يستطيع أن يدير حياة عائلية بكل شهامة ومروءة. إن الزواج من شخص ثري لمجرد أنه ثري يعني الوقوف على شفير جهنم والسقوط فيها وتحمل العذاب والشقاء بسبب جفاء الزوج وعدم حيائه وسوء خلقه، قل لها أن لا تقبل بالزواج من شخص كهذا أبداً. وقل لوالدك أيضاً بأن يعرف قدر أبنائه ولا يلقي بنفسه وبهم في جهنم وعليه أن يعرف واجباته ومسؤولياته تجاههم وأن يعمل بها وليعلم بأن الله الذي أعطاه هؤلاء الأبناء والأولاد سوف يحاسبه يوم القيامة على تلك الواجبات والوظائف التي ألقاها على عاتقه وكلّفه بها وإذا ما قصّر الأب في أدائها فإن الله سيعاقبه على ذلك حيث إن عقابه شديد.

الفصل (١٢)

استطلعوا وتحققوا أولاً لا تقدموا على الزواج أبداً دون معرفة بالطرف الآخر

بمن تثقون؟ وفي ظل أية ظروف؟ هل يمكن الاطمئنان إلى ما يقوله الآخرون والوثوق بادعاءاتهم؟ أبداً! لأن هناك هوة سحيقة بين القول والعمل وهناك كثيرون ممن يعجبك كلامهم ويتحدثون عن التسامح والصفح والحلم والتضحية والإيثار ولكنهم يرتكبون الأعمال القبيحة ويمارسون الخيانة، مثل هؤلاء عطر كلامهم يسحر القلوب ويبعث على الدهشة والإعجاب ولكن أعمالهم تفوح منها رائحة الميتة النتنة، إذن فيجب أن لا نثق بأي كلام وأن لا ننخدع بأي مظهر جميل وكلام لطيف لأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «الطمأنينة إلى كل أحد قبل الإختبار عجز»[1].

ومن أجل التعرف على الشخص واختباره يجب دراسة ماضيه ومستقبله ومعرفة أصدقائه ومعارفه لأن الأصدقاء الحميمين هم بمثابة المرآة التي تعكس أخلاق وتصرفات الفرد، كما يجب التحدث والتحقيق مع الأفراد الذين عاشروا هذا الشخص وعاشوا وتعاملوا معه ولا سيما الذين سافروا معه وذلك من أجل معرفة مدى أمانة وصدق ووفاء وإيمان هذا الشخص الذي نحن بصدده وبعد ذلك يمكننا وبصورة تدريجية أن نثق به ونتعرف عليه وأن نزيد من هذه الثقة قليلاً بعد كل لقاء يتم بيننا وبينه. وإذا ما وثقنا بشخص دون أن نختبره ونتعرف عليه مسبقاً فكأننا

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣ ص ٨٦ باب ١٧ ح٢١.

مشينا في طريق مظلمة وخطونا باتجاه المستنقع والمجهول وألقينا بأنفسنا إلى التهلكة والضلال وسرنا نحو الضياع. وفي هذا المجال نلفت انتباهكم إلى مقتطفات من رسالة طويلة وصلتنا من أحد الإخوة وقد أجرينا عليها بعض التغييرات:

الرسالة: أ ـ . . . في اليوم الأول الذي ذهبنا فيه إلى منزلهم لخطبة ابنتهم أعجبتنا أخلاق أهل الفتاة وأسلوب تعاملهم وتصرفاتهم. فقد كان كلامهم جميلاً وجيداً ولكثرة ما تكلموا عن التسامح والتضحية والإيثار والأخلاق الحميدة فقد تصورنا بأننا عثرنا على ضالتنا وعلى الفتاة التي نتمناها. وعندما تكلمنا عن المهر والعُرف والتقاليد المتبعة في هذا المجال قالوا لنا: إن الزواج ليس بيعاً أو شراءً فالمهر الذي تطلبونه لابنتكم أنتم قدموا مثله لابنتنا هذه. . .

. . . بعدها اتفقنا على إقامة حفل عقد القران وأقيم هذا الحفل بالفعل بالشكل المطلوب وبكل خير وهناء وكان حفلاً كبيراً يبعث على الفخر والاعتزاز. . . وجلس والد العروس إلى جانبي وقال لي: أنت أصبحت من الآن ابني وإن رقيّك وتقدمك هو مبعث فخر واعتزاز لي وهؤلاء (يقصد أقاربه الذين كانوا موجودين في حفل عقد القران) يقولون لي: إن تعيين مهر العروس بثلاثين ليرة ذهبية هو مبلغ قليل يسيء إلى سمعتنا بين الأقارب فلا تجعلني خجلاً مطأطئ الرأس أمامهم فهم يقولون لي: إما أن لا تطلب مهراً لابنتك أو أن تطلب المهر الذي يرفع من شأنك ويليق بمكانتك. وأنا لا أريد أن أطلب مهراً وقررت أن يكون مهر ابنتي نسخة من القرآن الكريم وحسب فقال والدي لوالد العروس: كلا لا يمكن أن يتم الزواج بدون مهر. فقال والد العروس: إذن اسمح لي أن أضيف صفراً واحداً إلى المبلغ المذكور وبعد انتهاء العقد مباشرة أهب لكم المبلغ بأكمله ليعيش الزوجان الشابان مدى العمر بسعادة وهناء وعزة، وأساساً فإن المهر ليس أمراً مهماً؟!

والدي لم يكن موافقاً على هذا الأمر (زيادة المهر) ولكنني قبلت وقلت

سمعاً وطاعة! أقبل بكل ما تطلبونه، فإني أريد أن أعيش، إني مستعد للقيام بأي عمل تطلبونه،. . . نعم، لقد قبلت لأنني لو لم أقبل بذلك لحدثت فضيحة ولحصلت مشكلة وكان من الممكن أن يتوتر الوضع. وعلى هذا الأساس فقد حدد المهر بثلاثمائة ليرة ذهبية ووقعتُ وثيقة العقد بعد أن قرأت صيغة العقد وانتهى الحفل بسعادة وفرح وسرور. . . وأنا المسكين لم أكن أعلم بما كان يدور من حولي.

ولكن ليتك كنت تعلم ما كان يجري من حولك، ليتك كنت تعلم بأن المهر هو مبلغ من المال يهديه العريس للعروس ليثبت بذلك صدقه ووفاءه في تنفيذ التعهدات التي التزم بها في عقد الزواج وبالطبع هناك أسباب أخرى لوجوب تحديد المهر. صحيح أن المهر يحدد بموافقة الزوجين ورضاهما وأنهما يستطيعان الاتفاق على أي مبلغ (أو أي شيء كالعقار أو السيارة أو أثاث المنزل أو أي شيء آخر)[1] كمهر يقدمه الشاب للفتاة، ولكن كان عليك أن تنتبه إلى هذه النقطة المهمة وهي أن الاتفاق على مهر (صداق) باهظ وغالٍ ـ والوثوق بكلام شخص لم تكن قد اختبرت صدقه وأمانته ـ يلقي على عاتقك عبئاً ثقيلاً ومرهقاً. إلى جانب ذلك فإن غلاء المهر يسبب في أغلب الأحيان الشؤم للحياة الزوجية وللزوجين. يقول الرسول ﷺ: [خير الصداق أيسره][2]. ويقول الصادق عليه السلام: [. . . أما شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقوق زوجها][3]. فالمهر ليس مجرد شيء شكلي يسجل فقط في وثيقة الزواج، من دون أن تكون له أهمية، بل إنه بمجرد إجراء العقد ـ عقد الزواج بين الشاب والفتاة ـ فإن مبلغ المهر يصبح ملكاً للزوجة تستطيع التصرف فيه كيفما شاءت ومتى شاءت. . . المهر هو دين بذمة الزوج (العريس) ولذلك فإن العريس يجب أن يوافق ويوقع على مبلغ المهر الذي يستطيع أن يدفعه لزوجته. ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: [لا

---

(١) المترجم.

(٢) كنز العمال، حديث ٤٤٧٠٧.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٦، ص ١٥٠ باب ٢٦ ح٦.

تغالوا بمهور النساء فتكون عداوة][1].

ب ـ . . . ولكن بعد فترة انقلبت الأمور رأساً على عقب وبدأت التصرفات القبيحة الشائنة والأحقاد تلقي بظلالها السوداء القاتمة على حياتي وإني الآن أتمنى من الله الموت، وليس لدي أمل آخر. وخلافاً لما كان عليه الوضع في الأيام الأولى (لزواجنا) لم يعد هناك كلام عن الصفح والتضحية والإيثار والإيمان بالله والاعتقاد بالقبر ويوم القيامة بل حلّ محله العداء والكذب والسباب والشتائم والتحلل الخلقي وو. . والآن وبعد نكثهم لكل ما تعهدوا والتزموا به فإن (أهل زوجتي) قدّموا شكوى ضدي يطالبون بمهر ابنتهم. . . يا للأسف فإني وثقت بهم وأردت أن أحقق السعادة لابنتهم ولكنهم كانوا قد خططوا لشقائي وتدمير حياتي. فهل يجدر بهم أن يتعاملوا بهذا الشكل مع شخص وثق بهم بكل صدق وإخلاص؟! وقد علمت فيما بعد أنهم فعلوا نفس الشيء مع خطيب ابنتهم السابق وأنا المسكين لم أكن أعلم بذلك. . . فأي قانون هذا الذي يفرض على شاب بأن يدفع ثلاثمائة ليرة ذهبية (الليرة الذهبية الواحدة حوالي عشرة غرامات من الذهب) كمهر لامرأة لم يتزوجها سوى لمدة شهر واحد؟! فقد كنت أتصور بأن المهر لا يدفع إلا إذا أراد الرجل أن يطلّق زوجته؟! كنت أتصور بأنهم صادقون في كلامهم وأنهم سيهبون ويتنازلون لي عن مبلغ المهر بأكمله! إني لم أتزوج من هذه المرأة لكي أطلقها! من أين آتي بثلاثمائة ليرة ذهبية؟، ما هذه المصيبة التي حلّت بي؟. . . ؟ لعل بإمكانكم أن تساعدوني. . . هل من الممكن أن. . . ؟

أخانا العزيز! يجب أن نبني أعمالنا وتصرفاتنا في هذه الحياة على أساس العلم والمعرفة وليس على أساس الخيال وسراب التمنيات، فالنبي ﷺ يؤكد على هذه النقطة ويقول في وصية له لابن مسعود: «يا ابن مسعود إذا عملت عملاً فاعمل بعلم وعقل وإياك وأن تعمل عملاً بغير تدبير وعلم» يقول الله تبارك وتعالى

---

(١) وسائل الشيعة، طبعة بيروت، ج٢١، ص ٢٥٣.

في القرآن الكريم: ﴿**ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزلها من بعدِ قوةٍ أنكاثاً**﴾[1] أي أن عملكم إذا لم يكن مستنداً إلى الوعي والدقة والتفكير فإنه يكون هشاً وضعيفاً سرعان ما تنفصم عراه وينهار وينتشر منه غبار الندم والأسف وليتك لو تحققت وتدبرت أكثر في أمر هذا الزواج وليتك لو احترمت رأي والدك بعدم الموافقة على تعديل المهر، ولو أنك فعلت ذلك لما كنت قد وقعت في هذه المصيدة وهذا الفخ الخطر، حيث إن «التدبير قبل الفعل يؤمن العثار»[2] ولعل من الممكن. . . .

(١) بحار الأنوار، ج٧٧، ص ١١٠ باب ٥ والآية من سورة النحل، رقم ٩٢.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي. ص ٧٣ رقم ١٥١٩ ط الأعلمي.

الفصل (١٣)

المهر (الصداق) في عقد الزواج

لماذا؟ وكم مقداره؟

هل تعلمون لماذا يعين المهر في عقد الزواج؟ هل إعطاء المهر للزوجة هو للتعويض عن الجهود التي بذلها والد ووالدة الفتاة من أجل تربيتها وإعدادها للزواج؟ هل الهدف من تعيين المهر هو تحديد وتقييم المكانة الاجتماعية والعائلية للعروس؟ هل المهر هو وسيلة لتوثيق وتعزيز العلاقة الزوجية والحيلولة دون حدوث خلافات بين الزوجة والزوج تؤدي في النهاية إلى الطلاق؟ وقد يقول البعض بأن المهر هو التزام يمكن عند الضرورة استخدامه كلجام للسيطرة على الزوج المتمرد؟

في الرسالة التالية التي بعثت بها إلينا هذه الأخت الواعية تلاحظون نموذجاً من هذا التصور أو الاعتقاد (الخاطىء):

الرسالة: . . . السلام عليكم، أتمنى لكم التوفيق.

لقد حدثت لي مشكلة، وإني بحاجة إلى التشاور والتداول معكم بشأنها. إني امرأة أبلغ . . . من العمر، عندي صبي في . . . من العمر واسمه . . .، وبنت اسمها . . . .

لقد جاءني كثيرون يطلبون الزواج مني ولكن والدي كان يرفض كل واحد منهم بحجة معينة ويقول: إن الذي يصبح صهري يجب أن يكون في مستواي من حيث الثراء والمال، وأحياناً كانت الأمور تصل إلى مرحلة

الكلام عن عقد القران ولكن سرعان ما كان ينهار كل شيء لأن والدي كان يتشدد في قضية تعيين مبلغ المهر ويضع شروطاً وطلبات أخرى أمام العريس. قلت لوالدي: والدي العزيز! إذا لم يتمكن الرجل والمرأة من العيش معاً فإن المهر الغالي لا يجدي نفعاً في هذه الحالة. ولكن والدي لم يكن يقبل بهذا الكلام وكان يقول لي: إنك لا تفهمين ولم تواجهي حلو الحياة ومرها، إن المهر الغالي يا ابنتي يكبح جماح الزوج ويحول دون تمرّده عليك.

أحد الذين تقدموا لخطبتي كنت أعرفه جيداً وهو من أسرة طيبة وكريمة ولكن هذا الخطيب غادر منزلنا دون عودة لكثرة ما تحدث معه والدي حول المهر والحلي والمجوهرات والملابس ومراسم حفل الزواج وغيرها من الأمور الثانوية التي تثقل كاهل الشاب الذي يريد الزواج. وأخيراً وبعد انتظار دام عدة سنوات تقدم شاب لخطبتي وطلب منه والدي المهر الذي يريده حيث وقع الشاب وثيقة الزواج ومبلغ المهر المدوّن فيها. ورغم أن قلبي لم يكن راضياً للزواج من هذا الشخص إلاّ أنني وافقت في النهاية نتيجة لإصرار والدي..

بدأت مع هذا الشخص حياة زوجية جيدة فقد كنا نحب بعضنا بعضاً ولم نواجه مشكلة معينة. ولكن عندما بدأت بنقل جهازي وأثاثي المنزلي إلى بيت الزوجية أخذت شقيقة زوجي توجّه لي الانتقادات وبدأت تعيّرني وتتبجّح أمامي بأن جهازها وأثاثها المنزلي أفضل من أثاثي وهنا تدخلت والدة زوجي وأخذت تنصح ابنتها. حيث إن والدة زوجي هي حقاً امرأة واعية تتمتع بالفهم والإدراك، وبهذا فقد انتهى هذا الخلاف...

توضيح ورد: سلام وتحية لك أيتها الأخت الفاضلة وبعد:

بالطبع حيثما كان هناك فهم وإدراك وقبول لمنطق الحق فإن نار الخلافات والحسد تنطفىء وتزول وتصبح الحياة حلوة ذات بهجة وصفاء. والحقيقة أن أسباب وفلسفة تعيين المهر في عقد الزواج ليست هي كلّها التي أشرت إليها في رسالتك ولا هي تلك التي كان يتصورها والدك في ذهنه، فغلاء مهر الفتاة ليس

فقط لا يؤدي إلى الألفة وتعزيز عرى الحياة الزوجية بين الشاب والفتاة بل إنه في أغلب الأحيان يكون سبباً في حدوث خلافات وعداوات وتأجيج نار الحسد والضغينة الخفيّة وغير الظاهرة، لأن الأمر لا يخرج عن هاتين الحالتين:

أ ـ إذا التزم الزوج بما تعهّد به وقبل بالمهر الغالي، فإنه ـ نتيجة لهذا الالتزام والدين الذي بذمته ـ يشعر بالتعب من هذا المهر الغالي الذي يثقل كاهله، وبالتالي يشعر بعدم الارتياح تجاه أولئك الذين سببوا له هذا الإرهاق وهذه الضغوط. وحالة عدم الارتياح والانزعاج هذه تقلل من مشاعر المحبة والود التي يكنّها الزوج تجاه زوجته. حيث إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [لا تغالوا بمهور النساء فتكون عداوة][1].

ب ـ أما إذا كان العريس من النوع الذي لا يلتزم بما تعهّد به فإنه يبحث عن أية حجة أو ذريعة لكي ينقض عهده ويتملّص ممّا تعهّد به فيحرق بنار حقده وانتقامه كل ما التزم وتعهّد به ويدمّر بالتالي حياته. فالمهم إذن هو إيمان الشاب ومدى التزامه بتعهداته حيث يجب على والد الفتاة أن يحقق أولاً حول هذه الأمور وينتبه إليها ويؤكد ويصر عليها. وبالطبع فإن عريساً كهذا صاحب عزيمة وإرادة ويلتزم بعهوده، إذا ما قدّم هدية لزوجته تحت عنوان المهر أو «الصداق» فإنه بذلك:

أ ـ يعبّر عن صدقه ومحبته لزوجته.

ب ـ يوفّر لها دعماً مالياً يمكنها أن تطمئن إليه لدى مواجهتها أحداثاً غير متوقعة ومشاكل مادية بحيث تستطيع في ظل هذا الدعم المالي أن تواصل العيش بشرف وكرامة وعفّة ريثما تزول تلك الأحداث الطارئة وتحل مشاكلها. وحبذا لو أن والدك كان يعرف هذه الحكمة السامية ولم يفكر في ترويض صهره وكبح جماحه (على حد زعمه) من خلال إثقال كاهله بمهر غالٍ مرتفع لأن الشخص الذي لا إيمان له ولا يلتزم بعهوده لا يقبل بالحق والعدل ولا ينفذ ما تعهّد به حيث «لا عهد لمن لا دين له». وليتك لم تقبلي بإصرار والدك على الزواج من هذا الشخص لأن الله سبحانه وتعالى منحك أنتِ بالدرجة الأولى حق قبول أو رفض عقد

(١) غرر الحكم للآمدي.

الزواج. إن الزواج الذي يقوم على أساس الثروة والمال يؤدي في النهاية إلى الانفصال (الطلاق) والبغضاء والعداوة. كما تلاحظون ذلك في بقية الرسالة التي بعثت بها هذه الأخت الكريمة.

الرسالة: ... لقد عشنا على مدى ثلاث سنوات حياة زوجية جيدة سادها المحبة والوئام إلى حدٍ ما... أما الآن فإن حياتي أصبحت كساحة صراع، لا بد وأنكم تسألون لماذا؟

... عندما تزوج شقيقي ذهبت إلى بيته برفقة زوجي، ولم تمضِ سوى دقائق على وجودنا في بيت شقيقي لاحظت أن حالة زوجي قد انقلبت وبدا عليه الامتعاض والتأثر والتألم إذ لم يعد يقرّ له قرار، وكان يرفض تناول الشاي والمرطبات والحلويات ويقول: إني لا أشتهي الأكل، صحتي ليست على ما يرام، يجب أن أعود إلى البيت... وصلنا إلى البيت في البداية كان يقول: إني مريض، ولكن ليس شيئاً مهماً، سوف تتحسن حالتي...

ولكنه انفجر فجأة وهو يصرخ ويقول: لقد اشترى والدك الأحمق هذا البيت لشقيقك لكي يحقرني ويستهين بي، إن أباك شخص كذّاب فهو يقول باستمرار إني أحب صهري كما أحب ولدي، فأين إذن هذه المحبة؟! هل تسمينه أثاث وجهاز ذلك الذي أعطاه لكِ أهلكِ! إن شقيقتي كانت على حق عندما قالت بأن أهلك قد أهانونا واستصغروا شأننا...

إني لا أحبك أبداً، وقد تزوجتك من أجل ثروة والدك والآن فإني أرى بأن والدك يبدد ثروته. إن أبوك ليس إنساناً مدركاً. فلو كان كذلك لاشترى منزلاً لصهره أيضاً.

أخي السيد حسيني! ماذا أقول؟! فبعد أن كنا زوجين متحابين نعيش حياة سعيدة، وصل بنا الأمر أن أحدنا صار يقف بوجه الآخر بحيث لا يمر علينا يوم إلا ونتنازع فيه وينهال عليّ بالضرب وأخذ زوجي يكيل لي ولشقيقي ولوالدي الشتائم والإهانات بحيث لم أعد أطيق ذلك... وقررت الذهاب إلى بيت والدي حيث أعيش الآن...

لقد أرسل زوجي إليّ مرات عديدة يقول لي: إن والدك عليه أن يشتري لي بيتاً ثمنه ضعف ثمن البيت الذي سبق أن اشتراه لشقيقك أو أن تهبي لي صداقك وتطلبي الطلاق وإذا لم تفعلي ذلك فعليك البقاء في بيت أبيك حتى يغزو البياض شعر رأسك.

إني أحب زوجي وابنتي وابني وأريد أن أعيش وأرغب في العودة إلى بيت زوجي أقول لوالدي: يا أبي! افعل شيئاً، فيقول لي: اصبري!!! فلو كان زوجك فيلاً لصرعته... إني لا أدري ماذا أفعل، ساعدوني بالله عليكم.

أيتها الأخت الكريمة! يظهر من خلال رسالتك بأنك امرأة لائقة تتمتعين بالفهم والوعي ولهذا، فبعد وقوع الأحداث التي أشرت إليها أوصيك بالصبر والاستقامة ولا تفقدي الأمل ولا تسمحي للأحداث بأن تؤثر على نفسيتك وتحطم معنوياتك، قوي ثقتك بالله واطلبي العون منه واختاري أفضل الحلول.

... لعل زوجك يسمع نصيحة أحد ويقتنع وتنساق نفسه الحريصة الجشعة لنداء المنطق والعقل. لأن نصيحة بسيطة قد تؤثر فيه وتروض طباعه المتمردة الناكثة للعهود، وتطفىء نار الحسد في قلبه وتوقظ شعوره النائم، لأن نار الحسد تشلّ الفهم والإدراك وتحرق كل ما هو طيب وحسن وجميل وتحول الحياة إلى رماد. ولعل زوجك يقرأ هذه السطور ويفكر في عذاب الله ويكبح بالتالي جماح الحسد في نفسه ويعود إليك وإلى سعادة الحياة الزوجية. لأن الحسد تكون نتيجته شقاء الدنيا والآخرة.

... قوّي ثقتك بالله ولطفه ورحمته.

الفصل (١٤)

المهر وتجهيز العروس

ومراسم زواج فاطمة الزهراء سلام الله عليها

لقد كانت فاطمة الزهراء نور عين النبي ﷺ وبضعته وثمرة فؤاده الطاهر الرحوم، فسلام الله وسلام جميع ملائكته وعباده الصالحين عليها. لقد تربّت فاطمة الزهراء ونشأت في حجر أبيها رسول الله الذي هو من تربية الله سبحانه وتعالى والنبي ﷺ نفسه قال: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي»[1]. وعلى هذا الأساس فإن رسول الله ﷺ علّم ابنته أفضل وأروع آداب الحياة الإلهية وأودع في قلب ابنته الطاهر المطهّر أغلى وأثمن العادات والأخلاق السماوية الحسنة لكي يستلهم منها الجميع ـ ولا سيما النساء العفيفات ـ ويسيروا على نهجها ويقتدوا بسيرتها ويأخذوا العبر والدروس من فضلها وتقواها ومكانتها الرفيعة ويشمّوا من بستان حياتها اليانعة المباركة، رائحة الجنة الزكية ويتعلموا بساطة العيش والقناعة ويقطفوا منه الزهور الجميلة.

انظروا إلى مراسم زواج فاطمة سلام الله عليها:

... بعد أن حصل رسول الله ﷺ على موافقة ابنته على الزواج من ابن عمه علي بن أبي طالب التفت إلى علي عليه السلام وقال له: «يا علي، اذهب إلى السوق وبع درعك».

يقول علي عليه السلام ما مضمونه: «بعت الدرع بخمسمائة درهم وجئت إلى النبي وأعطيته الدراهم، فلا أنا أخبرته بعدد الدراهم ولا هو سألني كم عددها».

(١) وهج الفصاحة في أدب النبي ﷺ ص ٣٠٥ برقم ١٢١.

وكان هذا المبلغ مهر فاطمة الزهراء عليها السلام، فمدّ النبي يده وأخذ حفنة من تلك الدراهم وأعطاها لبلال ليشتري بها عطراً لفاطمة ومد صلى الله عليه وآله يده مرة أُخرى وأخذ عدداً أكبر من الدراهم وأعطاها لأبي بكر ليشتري بها ملابس وأثاثاً لمنزل فاطمة. ورافق عمار بن ياسر واثنان آخران من الصحابة، أبا بكر لمساعدته في شراء تلك المستلزمات واحتفظ النبي صلى الله عليه وآله بما تبقى من تلك الدراهم لفاطمة[1].

وبهذه البساطة والصفاء ـ وبعيداً عن التكلف والبذخ ـ جرت المراسم التمهيدية لزواج فاطمة عليها السلام حيث قام الرسول صلى الله عليه وآله وبحضور عدد من الصحابة بعقد قران ابنته فاطمة الزهراء عَلى ابن عمه علي عليه السلام.

. . . وبعد شهر أو شهرين جرت مَرَاسم الزواج، وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لصهره ما مضمونه: «يا علي هيىء طعاماً جيداً تكريماً لزوجتك وأنا أتكفّل باللّحم والخبز وأنت حضّر التمر والسّمن». لقد خبزوا خبزاً كثيراً وأرسل النبي صلى الله عليه وآله شاةً سمينة وشمّر صلى الله عليه وآله عن ساعديه وأخذ يشارك في إعداد الطعام. وأقيمت مراسم العرس بفرح وسرور وجاء الضيوف الذين دعاهم علي بن أبي طالب لتناول الطعام فتناول الجميع طعاماً لذيذاً، وكان عدد المدعوين كبيراً وكان يخشى أن لا يكفي الطعام لجميع المدعوين ولكن ببركة دعاء النبي أصبح الطعام كافياً حيث تناول الجميع طعامهم، وأخذ النبي وعاءً خاصاً ووضع فيه من ذلك الطعام لكي تأكل منه فاطمة وزوجها. وعندما حان وقت الغروب جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى زوجته أم سلمة وطلب منها أن تستدعي له فاطمة، تقول أم سلمة: ذهبت وناديت فاطمة وإذا بها تتصبّب عرقاً من شدة الحياء والخجل وهي تجرّ أذيال ثوبها، فتعثّرت بثوبها فقال لها رسول الله: وقاك الله يا ابنتي من عثرات الدنيا والآخرة، ثم أمسك بيدها ووضعها في يد علي الذي كان يقف إلى جانبه وقال له، بارك الله لك فيها، مباركة عليك ابنة رسول الله. ثم توجه إلى ابنته وقال لها: يا فاطمة إنه خير بعل لك، يا ابنتي، يا فاطمتي!

نعم الزوج زوجك، فلا تخالفي له أمراً أبداً. ثم التفت إلى علي وقال له: يا

---

(١) هذه القصة نقلت بمضمونها. النص الأصلي موجود في كتب التاريخ وفي كتاب بيت الأحزان للشيخ عباس القمي وفاطمة من المهد إلى اللحد للقزويني.

علي! عاشر زوجتك وعاملها بلطف وإحسان ومحبة، إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويفرحني ما يفرحها، أستودعكما الله، وفي رعاية الله وحفظه.

... الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يشير إلى حياته الزوجية ومعاشرته لفاطمة وحسن تعامله معها فيقول، «والله لم أُغضب فاطمة أبداً ولم أُجبرها على أي عمل كما أن فاطمة لم تعص لي أمراً ولم تغضبني أبداً»[1].

إن الزواج الذي يكون على غرار زواج فاطمة الزهراء وحياتها الزوجية قائماً على سنة رسول الله ويستند إلى التوجيهات والوصايا النورانية القيمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بها، مثل هذا الزواج يكون ثابتاً وراسخاً ورائعاً ومستحكماً حيث يعيش الزوج والزوجة بكل ودّ ومحبة وطاعة وعيشة ممتعة مليئة بالنشاط والفرح والسرور حيث يقومان بتربية أطفال صالحين وسعداء في إطار من العفة والوفاء. يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿الَّذين يتَّبعون الرَّسول النبيّ الأُمّي الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾**[2].

إن العادات والتقاليد المرهقة والمضنية المتبعة في مراسم الزواج تشكل عبئاً يثقل كاهل الناس وقيوداً تكبل أيديهم وترهق أجسامهم وتجرح قلوبهم وتؤذي نفوسهم. إن سبيل الخلاص من هذا الوضع يتمثل في العمل بشكل واقعي وجدّي بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسنن والتعاليم الربانية التي جاء بها وبهذه الطريقة نتخلص من العناء والأذى الذي تسببه هذه الأشواك وهذه القيود والأغلال ونصل إلى قمة الفلاح حيث إن اتّباع التعاليم والسنن النبويّة الربّانية يؤدي إلى الخلاص من كل الظلمات والخبائث والقبائح والتحرر من العبودية والأسر ويمنح القلب صفاءً والحياة إشراقاً وجمالاً. لاحظوا هذه الرسالة التي بعثتها إحدى الأخوات بكل صدق وصراحة.

---

(١) راجع النص الكامل في كتاب بيت الأحزان، للمحدث القمي.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

الرسالة: . . . تزوجنا قبل خمس سنوات وفي يوم ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام، واتفقنا على أن نعيش حياة سعيدة في ظل التعاليم الإلهية وبناءً على طلبي لم يتشدد والدي ولا والدتي في موضوع تعيين المهر وأقيمت مراسم حفل الزواج بكل بساطة وبفرح وسرور. وخلافاً لكل البدع والعادات والتقاليد التي كانت سائدة في مدينتنا والأعباء التي تثقل كاهل الشباب الحديثي العهد بالزواج هم وأسرهم، فإني رفضت أن آخذ إلا أثاثاً بسيطاً إلى بيت زوجي. إني لا أعرف تلك العادات والتقاليد الموجودة في المدن الأخرى! ولكن جرت العادة في مدينتنا أن تأخذ العروس إلى بيت زوجها كافة المستلزمات والمتطلبات المعيشية صغيرها وكبيرها والويل كل الويل لتلك الفتاة التي لا تملك جهازاً أو إذا كان جهازها قليلاً وبسيطاً فعند ذلك تتعرض الزوجة مدى العمر للانتقادات اللاذعة من قبل أهل زوجها. . .

ولكني أشكر الله لأن زوجي شاب مؤمن ومتديّن جداً يتمتع بأخلاق عالية ويحظى بتربية إسلامية وهو شاب طيّب ومحنّك وصبور يتحلّى بالصفح والتسامح ولم يحدث خلال هذه الأعوام التي عشت فيها معه أن احتدّ عليّ أو قال لي شيئاً يزعجني كما لم يحدث أن احتج أو اعترض على عمل قمت به أو شيء اشتريته. وإن والدته وشقيقته تتمتعان بالفهم والشعور والإدراك فهما لا تتدخلان أبداً في حياتنا الزوجية إلا نادراً ومن أجل تقديم النصح والإرشاد فقط وذلك بأسلوب متين جداً وبكل هدوء وطيبة خاطر بحيث إني أشعر حقاً بالفرح والسعادة وأعرب عن شكري لهما. . .

حبذا لو أن جميع الأُسر كانت كأُسرة زوجي وليتهم كانوا كزوجي مسامحين وطيبين يتمتعون بأخلاق طيبة هادئة وحبذا لو كان جميع الأزواج وجميع الزوجات مثلنا يتفقون على العيش كما عاشت فاطمة الزهراء وعلي عليهما السلام ويقومون بتربية أبنائهم بهدوء أعصاب وراحة فكر ويسلّمون هؤلاء الأبناء إلى المجتمع بكل فخر واعتزاز.

ولكنك تعرفين جيداً بأن اتباع نور الهداية الذي يشع من سيدة الإسلام العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام يحتاج إلى بصيرة ومعرفة ونرجو من الله سبحانه

وتعالى أن يجعل في قلوبنا مثل هذه البصيرة لكي نتوصل إلى منبع النور وننفض عن أجسامنا وأنفسنا غبار التعب وننقذها من لهيب العطش والظمأ ونزيل عنا الهموم والأحزان ونحطّم القيود والأغلال التي تكبّل أيدينا وأرجلنا.

ونتمنى لك العزة والتوفيق.

الفصل (١٥)

السعي في قضية الزواج من أفضل الأعمال

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ومن آياتِهِ أن خلقَ لكم من أنفسِكُم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعَلَ بينكم مودّةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون﴾[(١)].

إن الزواج هو من ضروريات الحياة وحاجة طبيعية عند الإنسان حيث يحقق له الاستقرار والطمأنينة والسعادة إذ إن الشخص المتزوج يكون محبوباً عند الله حيث يقول النبي ﷺ: [ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج][(٢)].

فالزواج هو سنة رسول الله، فعندما سمع النبي ﷺ أن عثمان بن مظعون يعرض عن الزواج ولا يريد أن يتزوج وضع يده المباركة على صدر عثمان وقال له: [لا تعرض عن سنّتي فمن أعرض عن سنتي فإن الملائكة تعترض سبيله يوم القيامة وتحول بينه وبين حوض الكوثر][(٣)].

إن تنفيذ هذه السنّة النبوية وتحقيقها بالنسبة للأبناء هي مسؤولية تقع بالدرجة الأولى على عاتق الأب فهو الذي عليه أن يهيّىء مقدمات الزواج ويعقد لابنه على الزوجة اللائقة الكفؤة. كما أن كل فرد من أفراد المجتمع يتحمل أيضاً مسؤوليته في هذا المجال، لأن هناك بعض الشباب المحرومين من نعمة وجود الأب وقدرته على القيام بهذه المهمة وهم لوحدهم لا يستطيعون أن يخطوا خطوة واحدة على

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٣ باب ١ ح٤.
(٣) مستدرك وسائل الشيعة.

طريق الزواج ولهذا فيجب على كل من تتوفر لديه القدرة والاستطاعة أن يسعى في مجال تزويج الشباب ويقول كلمة أو يقوم بالوساطة بين أهل الشاب وأهل الفتاة وأن يقدم العون والمساعدة ويجمع بين شاب وفتاة مؤمنين صالحين ويهيىء لهما سبيل الزواج. لأن رسول الله ﷺ قال: [من عمل في تزويج بين مؤمنين حتى يجمع بينهما زوجه الله عز وجل ألف امرأة من الحور العين، وكان له بكل خطوة خطاها أو بكل كلمة تكلم بها في ذلك عمل سنة قيام ليلها وصيام نهارها](١) وقال ﷺ: [من زوّج أخاه المسلم أظلّه الله يوم القيامة بظل عرشه](٢).

وعلى هذا الأساس فإن الأشخاص الخيرين والمحسنين والنساء والرجال من أصحاب الهمم والنوايا الخيِّرة يجب عليهم ـ في حدود طاقاتهم وإمكاناتهم ـ أن يبحثوا عن الشباب والشابات الذين هم في سن الزواج ويبادروا (في إطار الحفاظ على كرامتهم وسمعتهم وشخصيتهم) إلى مساعدتهم والقيام بدور الأب والأم بالنسبة لهؤلاء الشباب وليكونوا على يقين بأنهم سينالون الأجر والثواب يوم القيامة على أعمال الخير هذه وهو شفاعة رسول الله ﷺ.

إني لا أعرف إلى أي مدى تهتمون بهذا الواجب الإلهي ـ الاجتماعي؟ وإلى أي حدّ تؤدون هذا الواجب وتقومون به؟ وهنا ـ ومن أجل أن تشعروا أكثر بمسؤوليتكم في هذا المجال وتدركوا بشكل أعمق ضرورة القيام بهذا الواجب ـ أرى من المناسب أن تقرأوا هذه الرسالة التي بعث بها بكل صدق وصراحة شاب يواجه مشكلة، وتتخذوا القرار المناسب.

الرسالة: ... الهدف من كتابة هذه الرسالة هو عرض مشاكلي التي تؤلمني منذ فترة طويلة وبعد عناء طويل توصلت إلى هذه النتيجة وهي أن أعرض مشكلتي على شخص أمين يحفظ الأسرار... وهنا أقولها بصدق: إني شاب أبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً.. لا أستطيع الزواج وتشكيل حياة أسرية وذلك لأنني يتيم الأب وأعاني من مشاكل عائلية حيث إنني أتولى إعالة ثلاثة أطفال يتامى إضافة إلى والدتي وأيضاً بسبب حالتي

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، باب ١٢ ح٥.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٤، باب ١٢ ح٣.

المادية الضعيفة والصعوبات والنفقات الكثيرة التي يضعها أمامي أهالي الفتيات اللواتي ذهبت لخطبتهن ونظراً لسنّي فإن هذه المشكلة تسبب لي ضغوطاً نفسية شديدة كما سببت لي حالة عدم استقرار بحيث بت أعاني من حالة نفسية سيئة لأنني أشعر بشيء ينقصني في حياتي، فأنا أحتاج إلى شخص أبادله المحبة وأجعله شريكاً لي في أفراحي وأحزاني وهمومي... لقد تركت هذه الضغوط النفسية عليّ تأثيراً سلبياً وسيئاً انعكس على جميع شؤون حياتي ولا سيما على تصرفاتي وتعاملي مع أهلي ولله الحمد فإني سيطرت على نفسي حتى الآن ولكن صبري نفد مع الأسف وقد أنجرف في أية لحظة نحو الذنوب والمعاصي... أرجو منكم أن ترشدوني وتوجهوني، وشكراً.

التوقيع: ع ـ ي سيد

١ ـ حبذا لو أُنشئت صناديق خيرية في المساجد تتولى مساعدة مثل هؤلاء الشباب المؤمنين المتقين وتقديم الخدمات لهم وتيسير أمورهم. كما أن على المؤسسات والجمعيات أن تقدم المساعدات والخدمات والإعانات إلى هؤلاء الشباب أكثر من ذي قبل وتفعل كما فعل رسول الله ﷺ الذي كان يساعد الشبان على الزواج وبعملهم هذا يدخلون الفرح والسرور على قلب رسول الله ﷺ.

٢ ـ يجب على الأقارب الذين تربطهم علاقات الصلة والقرابة أن يشكلوا مجمعاً أو جمعية تتولى مساعدة شبان العائلة وبالتالي إحياء سنّة الزواج الحسنة.

٣ ـ وأنت أيها الأخ العزيز الكريم استمر ـ كما كنت من قبل ـ في ذكر الله والخوف من ارتكاب المعاصي وحافظ على إيمانك ولا تلوث نفسك بالمعاصي والذنوب وذلك من خلال اهتمامك بتقديم الخدمات الاجتماعية وقضاء أوقاتك في العبادة حتى تحل مشكلتك بفضل الله وبفضل جهودك ومساعيك وبفضل مساعي المؤمنين الصادقين. أحيِ قلبك ونوّره بذكر الله لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾.

نتمنى لك التوفيق وإن شاء الله ستصل إلى أهدافك الكبيرة من خلال تعزيز ثقتك بالله وسعيك الدؤوب.

الفصل (١٦)

الزواج سنّة رسول الله
فلماذا نترك سنّة الزواج؟

الزواج هو ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية وكأن الرجل وحده يشكل نصف الجسد الكامل والمرأة تشكل النصف الآخر من هذا الجسد وعندما يتم الزواج بين الرجل والمرأة يكتمل هذا الجسد الواحد. لقد جعل الله سبحانه وتعالى الرجل محتاجاً لمحبة وصفاء ورقّة روح المرأة كما جعل المرأة محتاجة لقوة وصلابة وشجاعة ووفاء الرجل ولهذا فإن تعايش الرجل والمرأة ومعاشرتهما لبعضهما البعض يوفر الهدوء والراحة والاستقرار الجسدي والنفسي ويؤدي إلى سموّ الروح والنفس الإنسانية. الدين الإسلامي ـ وخلافاً لما تدعو إليه بعض المعتقدات المنحرفة ـ يعتبر الزواج عملاً مباركاً ومقدّساً كما يعتبره آية من آيات الله وسنّة محببة وضرورية من سنن رسوله الكريم.

«فقد دخلت امرأة على أبي عبدالله عليه السلام وقالت له: أصلحك الله إني امرأة متبتلة فقال: وما التبتّل عندك؟ قالت: لا أتزوج، قال: ولم؟ قالت: ألتمس بذلك الفضل، فقال: انصرفي فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة أحق به منك إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل. ورواه الطوسي في (الأمالي) عن أبيه عن الحفّار عن إسماعيل الدّعبلي عن علي بن علي أخي دعبل، عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام»[1].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، كتاب النكاح، باب ٨٤، ص ١١٧ و١١٨.

إن الإسلام يؤكد بقوة على أهمية الزواج ويعتبر أن تجنب الزواج والإعراض عنه ـ خوفاً من الفقر في المستقبل ـ هو سوء ظن بالله سبحانه وتعالى وقد ورد في الحديث الشريف أن: [من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله][1] والإسلام يؤكد على إجراء هذه السنة المقدسة ويحث ويشجع عليها إلى درجة أن النبي ﷺ قال: [خيار أمتي المتأهلون][2].

على أنّ التأكيد على الزواج لا يقتصر على الزواج الأول مع أن الزواج الأول يحظى بأهمية خاصة وأن كافة الأحاديث التي تشجّع وتحثُّ على الزواج تشمل أيضاً أولئك الذين فقدوا زوجاتهم أو النساء اللواتي فقدن أزواجهن لأي سبب من الأسباب، كما أن جميع الأحاديث التي تنهى عن العزوبية والوحدة تشمل الرجال والنساء الأرامل أيضاً. وفي هذا المجال يقول النبي ﷺ: [النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني][3]، حيث إن اتباع هذا الأمر الإلهي واجب على كل أرملة وأرمل.

الرسالة: . . . إني امرأة شابة أبلغ من العمر . . . عاماً لديّ طفلان توفي زوجي قبل عدة سنوات في حادث سير وبعد وفاة زوجي قررت أن لا أتزوج أبداً لكي أنصرف إلى تربية أبنائي والاهتمام بهم حتى تقدم مؤخراً رجل يطلب يدي للزواج وهذا الرجل كنا نعرفه ونعرف عائلته منذ فترة طويلة فهو شاب أنيق ولطيف ومؤمن ملتزم وعندما أجبته بالرفض وأخبرته بسبب هذا الرفض قال: إني مستعد لكي أتبنى أولادك فأنا أريد أن أتولى رعاية وتربية الأطفال اليتامى وأسعى من أجل تعليمهم وتربيتهم. . . وبعد سماعي هذا الكلام منه لم أعد أعارض الزواج من هذا الرجل ولكن أفكاري تمنعني من الزواج. . . إذ إني أتصور أن الناس سوف ينتقدونني وأنه من العار عليّ أن أتزوج ثانية، وأعتقد في قرارة نفسي بأن زوجي سوف يتأذى ويتضايق إذا

---

(١) الوسائل، ج١٤، باب ١٠ ح١.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠٣ باب ٥٧ ح ٣٢.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٤ كتاب النكاح باب ١.

ما تزوجت من بعده لأنه كان حقاً رجلاً طيباً وحنوناً وكنت أحبه كثيراً ولا زلت أحبه. إني أتصور بأن والد ووالدة زوجي المتوفى سوف يتضايقان مني لأني تزوجت شخصاً آخر بعد وفاة ابنهما وأنهما سوف يقاطعانني... كما أعتقد بأن... ولكني من جهة أُخرى أشعر بحاجة إلى زوج مخلص طيب يدرك مشاعري وأخشى الوقوع في الرذيلة إن أنا بقيت دون زواج... إلى جانب ذلك فإني أرى ابنتي وابني يكبران بسرعة ويتزوجان بالتالي ويعيشان حياتهما الزوجية وعندها سأواجه الشيخوخة وأبقى وحيدة لا ملجأ لي ولا معيل...

١ ـ قبل كل شيء نسأل الله تعالى أن يتغمّد زوجك الراحل بواسع رحمته وغفرانه ونحن نأمل أن يكون زوجك سعيداً بعد مماته على ضوء ما قام به من أعمال صالحة وخيّرة وأن تسرّ روحه وتقر عينه بأعمال الخير التي تقومين بها ويقوم بها ذووه ثواباً لروحه.

إن روح الإنسان تنتقل بعد موت الجسم إلى عالم البرزخ الذي هو عالم آخر له قوانينه الخاصة به، في عالم البرزخ الإنسان يواجه أعماله ونتائجها في دار الدنيا وإن ما يفرح ويسرّ الإنسان في عالم البرزخ هو طاعة الله وأعمال الخير التي يقوم بها أهله وذووه في دار الدنيا. وإن ما يحزن الإنسان في عالم البرزخ ويعذبه ويؤذيه، معصيته لله وتلك المعاصي التي يرتكبها أهله وذووه في دار الدنيا والتي ترتبط بالميت نفسه. وإذا كان زواجك ثانية هو بهدف طاعة الله واتباع سنة رسوله، وهو كذلك بالفعل وإذا كان هذا الزواج مفيداً لرعاية أبناء زوجك الراحل وتربيتهم تربية صالحة، فإن مثل هذا الزواج بالتأكيد يفرح زوجك ويسعده ولا يؤدي إلى إزعاجه أبداً حيث سينالك أيضاً من دعاء الخير الذي يدعو به لك. وعليك أن تعلمي بأن عقد الزواج يسري مفعوله في هذه الدنيا فقط وأن هذا العقد ينتهي بمجرد وفاة أحد الزوجين ومن هذه الناحية أيضاً ليس عليك أي التزام أو تعهّد.

٢ ـ إن جد أولادك وجدتهم وجميع أقاربك ومعارفك الذين هم أشخاص يتمتعون بالفهم والدراية والبصيرة، بالتأكيد يساعدونك على إجراء هذه السنة النبوية واختيار الزوج المناسب. فهم يعرفون بأن ليس لهم الحق في المنع عن هذا

العمل الخيّر الذي يحفظ لك نصف دينك ويحفظ نصف سعادة الدنيا والآخرة بإظهارهم عدم الرضا لذلك.

٣ ـ لا تعيري أهمية لانتقادات الآخرين وسيري في طريق الحق بعزم وثبات وإن خطوتك هذه ـ إذا كان هذا الشاب حقاً شاباً أميناً ووفياً ـ هي خطوة يرضاها الله ويشكرك عليها ويجزيك ثواباً.

بقية الرسالة: أريد أن أعرف هل يمنع الإسلام زواج المرأة بعد وفاة زوجها؟ هل حقاً ما يقولون بأن زوجي يتأذى في عالم البرزخ إذا ما تزوجت بعده؟ هل يحق لأهل زوجي أن يمنعوني من الزواج ثانية؟ وهل زواجي هذا سيكون موفقاً؟... ؟ أرجو أن تجيبوا على أسئلتي هذه وأرجو أن لا تذكروا اسمي ولا اسم مدينتي. وشكراً جزيلاً لتوجيهاتكم.

الجواب: وأنا بدوري أشكرك على رسالتك وثقتك بي كأخ لك.

١ ـ المرأة التي يتوفى زوجها لأي سبب من الأسباب أو ينال درجة الشهادة الرفيعة يجب عليها أن تمضي عُدة الوفاة، ومدتها أربعة أشهر وعشرة أيام. إلا إذا كانت المرأة حاملاً فإن عدة الوفاة تستمر حتى تضع المرأة حملها وتلد مولودها، طبعاً إذا استمرت فترة الحمل أكثر من أربعة أشهر وعشرة أيام. وبعد انقضاء عدة الوفاة تستطيع المرأة بكل حرية وبمحض إرادتها أن تتزوج من رجل آخر.

٢ ـ إن هذا التصور هو تصور خاطىء. التصور بأن المرأة لا يحق لها الزواج ثانية بعد وفاة زوجها الأول.

٣ ـ ليس لهم مثل هذا الحق ويجب أن لا يمنعوكِ من الزواج مرة أُخرى، بل على العكس من ذلك يجب عليهم أن يشجعوك ويحثوك على إجراء هذه السنة المحمدية.

٤ ـ إن التوفيق سيكون حليفك في هذا الزواج وإن الله سبحانه وتعالى سيساعدك في هذا المجال إذا ما تم عن بصيرة وتدبّر وإذا ما طلبت منه العون والمساعدة بإخلاص وصدق.

٥ ـ النقطة الأخيرة في هذه الاستشارة هي أنه عندما يتم الزواج فعليك أن

تكتمي وتخفي في قلبك ذكرياتك عن زوجك السابق ولا تتطرّقي إليها ولا تذكريها لأي أحد ولا سيما الشاب الذي تزوجت منه. ولا تقولي لزوجك الحالي مثلاً: «لا زلت أحب زوجي السابق». رغم أن محبتك هذه محبة لها طابع إنساني سام. ولديّ دلائل وأسباب جعلتني أقدم لك أيتها الأخت الكريمة هذه الوصايا. عليّ أن أشير إليها في فرصة أُخرى. أدعو لك بالتوفيق والسعادة.

الباب الثاني
العلاقة بين الزوج والزوجة
وأسلوب تعامل كل منهما مع الآخر

الفصل (١٧)

السعي والعمل، مقدس كالجهاد في سبيل الله

ماذا تفعلون؟ أي عمل تقومون به، أية خدمة تعهدتم بأدائها؟ إن السعي والعمل هو شرف الإنسان وجوهر الحياة. وإن التوفيق في الحياة الدنيا والسعادة في حياة الآخرة، يرتبطان بالسعي والجد والعمل. إذ إن الخيال والآمال العريضة لا طائل من ورائها ولا تحقق أية نتيجة وإن من لا يجد ويجهد ويعمل لا يصل إلى المجد والرقي. فالنبي ﷺ يشبّه الشخص الذي يسعى ويعمل ويعاني ويتحمّل الصعاب في سبيل الرزق الحلال، بالمقاتل البطل الذي يجاهد في ساحات الحرب والقتال في سبيل الله.

وعلى هذا الأساس، فإن الرجل الذي يخرج من بيته في الصباح الباكر بكل رغبة واشتياق سعياً وراء العمل المفيد النافع والخدمة بعزة وكرامة ويعود ليلاً إلى منزله تعبا مرهقاً لكن فخوراً مرفوع الرأس، فكأنه عائد من ميدان الجهاد في سبيل الله.

وأنتِ أيتها الأخت الكريمة! عندما تستقبلين مثل هذا الزوج وتفتحين له الباب بوجه باسمٍ ويدٍ مليئة بالمحبة والوفاء وتزيلين الغبار عن وجهه وتثنين عليه

وتتقبّلينه على حاله فإنك في الحقيقة تنفضين الغبار عن وجه مقاتل ومجاهد قام في أسمى ميادين الشرف والكرامة، بعمل كبير وخطير على درجة كبيرة من الأهمية. وإن من واجب النساء المؤمنات ذوات العفة والكرامة، مساعدة وتشجيع أزواجهن على القبول بأي عمل مفيد وأية خدمة لائقة وعليهن أن يعربن بأجمل الكلام وألطفه عن تقديرهن وإشادتهن بقيمة وأهمية الأعمال التي يقوم بها أزواجهن ويقدّرن هممهم العالية من خلال انتهاج أفضل أساليب التعامل معهم.

وأنتم تلاحظون من خلال الرسالة التالية معنى العمل بهذا الواجب وهذه الوظيفة الإلهية.

الرسالة: . . . زوجي شاب طيب جداً، نشيط وفعّال يذهب إلى عمله منذ الصباح الباكر ويعود إلى البيت في التاسعة ليلاً، إني راضية جداً عن تصرفاته وأخلاقه كما أني راضية عنه تماماً من الناحية المادية ونفقات البيت. إني أشكره على ذلك جزيل الشكر. وهو أيضاً راض عني ولا سيما اهتمامي بمظهري وبنظافة وترتيب المنزل فهو يمتدحنيّ دائماً عند والدته وعند والدتي وإني مسرورة جداً لهذا الأمر. .

ولكن زوجي مشغول إلى درجة أنه ليست لدينا فرصة لأن نلتقي ونتحدث مع طفلينا إلا في يوم الجمعة وأحياناً حتى في أيام الجمعة يتركنا ويذهب إلى العمل. . . وإني أقول له باستمرار لنقتصد في نفقاتنا ونقنع بالقليل ولا حاجة لأن تذهب إلى العمل في يوم الجمعة. ولكنه يقول لي: يجب أن نبتعد عن الكسل وندير شؤون حياتنا بعزة وكرامة. برأيكم ماذا عليّ أن أفعل لكي أجعل زوجي يغيّر من وجهة نظره هذه ويبقى في البيت في أيام العطل؟ أو أن يمسك بيد أطفاله ونذهب معاً إلى بيت أحد أقربائنا أو إلى صلاة الجمعة؟

أختكم. . . من شيراز

إن زوجك على حق عندما يقول: «يجب أن نبتعد عن الكسل» لأن الإمام

محمد الباقر عليه السلام يقول: «الكسل يضر بالدين والدنيا».[1].

ويقول عليه السلام أيضاً: «من تقاعس عن تحصيل قوته ومعاشه وإصلاح معيشته فإنه لا خير فيه»[2].

إن زوجك على حق عندما يقول: «عليّ أن أدبّر شؤون حياتي وأؤمن متطلبات زوجتي وأطفالي بعزة وكرامة. ولكن يجب أن لا يغفل عن هذه النقطة المهمة وهي أن احتياجات الإنسان لا تقتصر على الماديات والمأكل والملبس بل إن للإنسان متطلبات واحتياجات نفسية ومعنوية يجب أن تلبّى أيضاً وكما يظهر من رسالتك فإن «الحاجة إلى المحبة من قبل الزوج والبقاء إلى جانبه والتحدث معه» هي من الاحتياجات الرئيسية للمرأة. فالمرأة بإمكانها أن تتحمل الجوع والعطش لفترة من الوقت ولكنها لا تستطيع أن تعيش لحظة واحدة دون هواء. إن المحبة التي يبديها الزوج تجاه زوجته وبقاءه إلى جانبها والتحدث إليها هو كالهواء ضروري للزوجة لكي تواصل العيش وممارسة نشاطاتها المختلفة. إن تلبية هذه الحاجة بالنسبة للمرأة ـ أي إظهار المحبة لها والتعاطف معها ـ أمر مهم جداً إلى درجة أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: [جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا][3]. إذن فالأفضل أن يتخذ زوجك وكل الأزواج الكادحين الشرفاء، فرصة مناسبة يبقون فيها في البيت ويلتقون بزوجاتهم وأبنائهم ويخرجون معاً لزيارة الأقارب أو لزيارة الأماكن المقدسة أو للمشاركة في أداء شعائر صلاة الجمعة وبالتالي يستفيدون من مرافقتهم لزوجاتهم وأبنائهم والتحدث إليهم وبهذا تعود الألفة والمحبة والوئام إلى الأسرة والحياة الزوجية.

أما أنت أيتها الأخت الكريمة! فعليك بالمزيد من الشكر لله سبحانه وتعالى وعليك أن تثني ثناءً كبيراً جداً على زوجك النشط المجدّ وتعربي له عن عميق شكرك وتقديرك لأنه رجل جدّ ونشاط وعمل استطاع بجهوده وسعيه أن يؤمن حياة سعيدة ومرفهة لعياله. فلو كان هذا الزوج كسولاً يقضي معظم أوقاته في البيت ويتعامل مع زوجته وأبنائه بأخلاق سيئة، فماذا كنت تفعلين؟ ألن تسألي الله عند

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٨، ص ١٨٠، باب ٢٢ ح ٦٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٨٧.

(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٨٧.

ذلك أن يخرج زوجك من البيت لكي تذوقي طعم الراحة وراحة البال ولو للحظة واحدة؟؟ ومن المناسب هنا أن تقرآي رسالة هذه الأخت التي تتضمن عكس ما ذكرتِه أنت في رسالتك وذلك لكي تقدّري بشكل أفضل جهود زوجك، فهذه الأخت ضاقت ذرعاً من زوجها الكسول العاطل عن العمل.

الرسالة: ... إن زوجي كوالدته كسول يحب النوم والأكل فهو ينام حتى الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً ويذهب إلى عمله متأخراً أو لا يذهب إلى العمل أبداً. وعندما أقول له لماذا لا تذهب إلى العمل؟! يبدأ بالصراخ ويرد عليّ بعصبية وحدة، إنه يتجول في البيت من الصباح وحتى المساء ويختلق الحجج والذرائع ويوجه الشتائم والسباب إلى هذا وذاك... لا يدفع مصروف البيت وهو يقول: ليس عندي ما أدفعه لمصاريف البيت. ولكنه في نفس الوقت يريدني أن أقدم له أفضل الأطعمة وأشهى المأكولات، أقول له: كيف يمكنني شراء الدجاج واللحم وإعداد أنواع الطعام وأنا لا أملك أية نقود؟! فيقول لي: خذي النقود من أبيك، لا أدري من أين؟! اذهبي واشتري بالدَّين، أو اقترضي مبلغاً من المال. ورغم أني أسارع لمساعدته في مشاكل الحياة وأعمل في البيت لأساعده على الإنفاق وتأمين المصاريف اليومية، فإنه في مقابل ذلك لا يعير لي أية أهمية ويتجاهلني تماماً. فمثلاً عندما أمرض يقول لي: أنتِ لست مريضة تريدين الاحتيال عليّ لتأخذي مني نفقات العلاج. قومي واذهبي إلى منزل والدك لكي يأخذك هو إلى الطبيب، لا دخل لي بمرضك. إن سؤالي هو: هل البنت التي تخرج من بيت أبيها وتذهب إلى بيت زوجها تكون نفقتها على والدها أم أن زوجها هو الذي يجب عليه أن ينفق عليها؟!

الرجاء أن تجيبوا على رسالتي هذه

أختكم

الجواب هو: «في عقد الزواج الدائم إنّ نفقة الزوجة تكون على الزوج»[1].

ومن وجهة نظر الإسلام فإن تأمين نفقات الأسرة ونفقات الزوجة الشخصية

(١) الحقوق المدنية، المادة ١١٠٦.

هي على عاتق الرجل والمرأة لا تتحمل أية مسؤولية في هذا المجال.

والنفقة يقصد بها: «نفقات السكن والغذاء والكساء وأثاث المنزل المتعارف عليه والذي يتناسب مع مكانة الزوجة وموقعها الاجتماعي..» وإذا امتنع الزوج عن تأمين نفقات البيت والزوجة فسيكون مسؤولاً أمام الله ومديناً لزوجته[1].

وسنتناول في الفصول القادمة وبمزيد من التفصيل القضايا والموضوعات التي تطرّقت إليها هذه الأخت الكريمة في رسالتها ولا سيما كيفية التخلص من آفة عبادة البطن وكثرة الأكل والكسل. نسأله تعالى أن يمنّ علينا بالنشاط والرغبة في العمل والسعي وأن يبعدنا عن الكسل والملل.

---

(١) الحقوق المدنية، المادة ١١٠٧.

الفصل (١٨)

على الإنسان أن يسعى للحصول على الرزق الحلال

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة حيث أعطاه العقل والقدرة على التفكير كما أعطاه جسماً قادراً على الحركة ومنحه القدرة على البحث والسعي والعمل وهذا كله رزق من الله الذي أمر الإنسان أن يستخدم عقله ويبذل جهده ويسعى لإعمار الأرض وبنائها حيث يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿. . . **هو أنشأكم مِنَ الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربّي قريبٌ مجيب**﴾[١] وبهذه الطريقة يؤمّن لنفسه ولعائلته ولأبناء جلدته وللناس الآخرين المأكل والملبس والسكن ويجلس في ظل الشجرة التي غرسها ويستفيد من حاصل كدّه وجهده وتعبه، حيث يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿**ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدًى ولا كتابٍ منير**﴾[٢].

هذه القابلية للعمل والإنتاج وهذا النظام المتين والمتناسق المهيمن على العالم وهذا الفكر والشعور وتلك القدرة التي يمتلكها الإنسان كلها من الله ومخلوقة من قبل الله وعلى هذا الأساس فإن الرزق كله من عند الله ومن قبل الله حيث يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضرّ فإليه تجأرون**﴾[٣]. ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿**إن الله هو**

---

(١) سورة هود، آية: ٦١.
(٢) سورة لقمان، آية: ٢٠.
(٣) سورة النحل، آية: ٥٣.

الرزّاق ذو القوة المتين﴾[1].

إذن فعلينا أن نجدّ ونسعى لإعمار الأرض والحفاظ على جمالها وروعتها ونضارتها ونحصل على رزقنا بالعمل والسعي. حيث يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «اطلبوا الرزق فإنه مضمون لطالبه»[2].

علماً بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان نفسه يجد ويعمل وكان يحرث الأرض ويحفر الآبار لاستخراج الماء منها وبالتالي فكان يزرع الأشجار ويسقي الأرض وينشىء الزرع والشجر فيستفيد هو وأفراد عائلته من نتائج ذلك الزرع وثمار تلك الأشجار وكان أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب ذلك يساعد المحتاجين وينفق عليهم حيث اشترى من كدّه وعرق جبينه ألف عبد وأطلق سراحهم في سبيل الله. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمرّ (أي بالمسحاة) ويستخرج الأرضين وأنه أعتق ألف مملوك من كدّ يده»[3]. ويجب أن لا نستنكف أبداً من القيام بأي عمل مفيد ويجب أن لا نضع حملنا على أكتاف الآخرين. لأن الذي يسعى للتوسعة على عياله ويجدّ ويجهد ويعمل ويحصل على الرزق الذي كتبه الله له، هو كالمجاهد في سبيل الله، حيث يقول النبي صلى الله عليه وآله: [الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله][4].

وبعد أن اطلعتم على هذا التوضيح المختصر فإن بإمكانكم توجيه ومساعدة وإرشاد الأشخاص الذين يفكرون بشكل غير صحيح وغير سليم ويميلون إلى الكسل ولا يسعون بشكل جدّي وكامل للعمل ـ ومن بينهم رب هذه الأسرة ـ وبالتالي دعوتهم إلى طريق السعي والعمل.

الرسالة: ... أريد في البداية أن أعرب عن شكري وتقديري للخصال والسجايا التي يتمتع بها زوجي، وأن أتحدث عن محبته لأبنائه ومساعدته لي في أعمال البيت ـ حتى لو كان تعباً ومرهقاً ـ ولكنه لم يكن يفكر في مصروف

---

(1) سورة الذاريات، آية: ٥٨.
(2) بحار الأنوار، ج٧٧، ص ٤٢١، باب ١٥.
(3) بحار الأنوار، ج٤١، ص ٣٧ باب ١٠٢ ح ١٤.
(4) بحار الأنوار، ج١٠٣ ص ١٣ باب ١ ح٥٩.

البيت ولا يهتم بالعمل والحصول على الرزق الحلال ويقول: الرزق بيد الله وحده، فالرزق يأتي إلى الإنسان إلى باب بيته حتى إذا لم يَسعَ إليه الإنسان ويطلبه وإذا أغلقت باب المنزل فالرزق يأتيك من فوق الحائط، إن الإفراط في العمل والإكثار منه لا ينتج عنه سوى التعب والإرهاق دون مبرّر ودون طائل. وهذا الأسلوب في التفكير جعله عاطلاً عن العمل ولا يسعى إليه بشكل جدّي ويقول: المكان الفلاني بعيد والعمل الفلاني صعب ومرهق، والشخص الفلاني سيّىء الخلق، علينا أن لا نرهق أنفسنا في العمل، هذا هو رزقنا...

ومن ناحية أُخرى فإن زوجي لا ينفق ماله بشكل مدروس، فهو يقرض المال لهذا وذاك ويهب النقود لأي كان، في حين أن علينا نحن ديوناً للآخرين... ومهما أقول له لا ينفع معه الكلام وهو يقول لي: أنت بخيلة ولا تدعيني أقوم بأعمال الخير! أنت تتسمين بالجشع لأنك تطلبين مني دائماً أن أذهب للعمل! عليك أن تتصفي بالقناعة... فماذا تقولون أنتم؟ هل أنا حقاً بخيلة؟ وهل أتصرف عبثاً عندما أقول له إذهب وابحث عن عمل؟ هل تصرفي هذا هو حقاً نتيجة لجشعي؟!...

هل بإمكانكم أن تتحدثوا مع زوجي وتجعلوه يغير أسلوب تفكيره؟!...

تنبيه وتوضيح:

١ ـ أيها الأخ الكريم! نأمل أن لا يكون الأمر كذلك وأن تكون ذا همّة عالية وسعي وجدّ وعمل. ولكن على أية حال لا بأس أن تعلم بأنه في النظام العائلي الإسلامي، الرجل هو المسؤول عن تأمين جميع نفقات ومتطلبات الأسرة وإذا لم يكن لديه المال اللازم لتأمين نفقات الحياة المعيشية لعائلته والإنفاق على زوجته وأطفاله بالشكل المتعارف عليه، فمن الواجب عليه أن يعمل وينفق على عياله. فالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن

خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها»[1].

٢ ـ لاحظ بأن رسول الله ﷺ قال: [طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة][2] وإن أئمتنا وقادة ديننا كانوا هم السباقين في انتهاج هذا السبيل وهم بالتالي قدوة لنا في هذا المجال. أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام واسمه فضل بن أبي قرّة يقول: «دخلنا على الإمام الصادق في حائط له فقلنا: جعلنا فداك دعنا نعمله لك أو تعمله الغلمان، قال: لا دعوني فإني أشتهي أن يراني الله عز وجل أعمل بيدي وأطلب الحلال في أذى نفسي»[3].

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «من سعى لتحصيل معاشه في الدنيا ليستغني عن سؤال الناس ويؤمن لأهله الرزق الحلال ويساعد جيرانه فإن الله عز وجل ينظر إليه يوم القيامة ووجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة كماله».

٣ ـ الذي يجلس في بيته وينتظر أن يوصل الله له رزقه إلى باب بيته هو كالشخص الذي يغمض عينيه ويخرج من بيته ويطلب من الله أن يدلّه على الطريق ويوصله إلى مقصده. فكيف لا يعرف هذا الشخص بأن استخدام العين هذا المصباح المضيء يعني تماماً الاستفادة من التوجيه والإرشاد الإلهي؟! ونفس الشيء يقال على صعيد استفادة الإنسان من جميع قدراته وطاقاته الفكرية والجسمية والروحية واستخدامه لكافة قواه وإمكاناته في تحصيل الرزق، هو في حد ذاته يعتبر استفادة من رزق الله وفضله ورحمته، هذا الرزق الإلهي الذي جاء إلى باب بيته. ولكن الذي لا يعرف قدر رزقه الذي وصل إليه فإن الله يمنع عنه زيادة الرزق.

وصية مهمة:

إني أوصي كافة وسائل الإعلام ولا سيما الإذاعة والتلفزيون بهذه النقطة المهمة جداً وهي «إن على وسائل الإعلام أن تدعو الناس الى العمل والسعي والبناء والإعمار والخدمة» يجب عليها أن تمارس دورها الواضح والمشجّع من

---

(١) تحف العقول، ص ٢٣٦ ط الأعلمي.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص ٩ باب ١ ح ٣٥.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٢، ص ٢٤، باب ٩ ح١١.

خلال البرامج التوجيهية والكتابات والأناشيد والمحاضرات والخطابات والتمثيليات والأفلام والمسلسلات وإذا كانت وسائل الإعلام تنشر وتذيع ألف كلمة في الساعة على سبيل المثال فعليها خلال تلك الفترة وبواسطة عشرات الأساليب البليغة والكلام البديع، أن تدعو الناس نساءً ورجالاً ولا سيما الشباب إلى العمل والسعي والبناء والإعمار.

وفي الختام نعرب عن شكرنا لهذه الأخت الكريمة التي بعثت لنا بهذه الرسالة وأقول لها بأنني لا أنسى أن رسالتك تضمنت نقاطاً وأسئلة أُخرى عليّ أن أناقشها وأتحدث بشأنها وأجيب عليها. كسؤالها عن معنى البخل والجشع؟ ومن هو القانع ومن هو البخيل؟ وهل البخل شيء مذموم بالنسبة للجميع؟ ومتى يجب الإنفاق ومتى يجب عدم الإنفاق؟ ما هو العمل المفيد وما هو العمل غير المفيد والعبث؟... وإن شاء الله سوف أتطرق إلى هذه المواضيع وتلك التساؤلات في المستقبل. نطلب من الله العلي القدير أن يساعدنا لفهم الدين بشكل صحيح، فالله خير سندٍ وخير معين.

الفصل (١٩)

عش عزيزاً مرفوع الرأس وميسور الحال من خلال السعي والعمل

أنتم تعلمون بأن الإنسان مخلوق محتاج، فهو يحتاج إلى الغذاء ليسدّ به جوعه ويقوّي عوده. كما أنه يحتاج إلى الماء ليطفىء به ظمأه ويحتاج إلى السكن والمأوى لكي يستريح فيه لحظة ويهجع وينام فيه لبعض الوقت. ويحتاج الإنسان أيضاً إلى الملبس ليغطي به جسده ويقيه الحرّ والبرد. والإنسان يحتاج إلى الهواء الذي يستنشقه في كل لحظة وتبرز لدى الإنسان في كل لحظة مئات المتطلبات والاحتياجات الأكثر أهمية... والإنسان عليه أن يعمل ويسعى ويجدّ لتلبيتها وتأمين معيشته وعليه أن يزرع بذرة العمل لتنمو في المستقبل ويقطف من أغصانها العالية الفاكهة اللذيذة والزهور العطرة. عليه أن يسعى ليحول الصحراء القاحلة بإذن الله إلى أرض معمورة يعيش في ظل الأشجار والزهور والرياحين التي غرسها وزرعها عزيزاً مكرماً مرفوع الرأس كما يجعل الآخرين ينعمون ويتمتعون بهذه الأشجار والزهور. إن الله يحب الأشخاص الخلاّقين المبدعين الساعين المجدّين ويعتبر الأشخاص الذين يقضون أوقاتهم في النوم والبطالة والأشخاص الكسالى والطفيليين أعداءً له لأن البطالة والكسل هما أساس جميع المساوىء والعيوب والقبائح والشرور. إن الكسل يلحق الضرر بإيمان الفرد وأخلاقه وبدنياه وآخرته، لاحظوا هذه الرسالة:

الرسالة: ... أقسم بالله إني على وشك أن أُصاب بالجنون، الشيطان يريد أن يقودني إلى خيانة الأمانة والسرقة، ماذا أفعل؟ لدي عائلة تحتاج إلى

مصروف وأنا عاطل عن العمل، ليس لديّ مورد مالي، ماذا أقول؟!
كنت أعمل في محل لغسل الملابس، وكنت أحصل على مرتب جيد ولكن لكثرة ما واجهت من انتقادات من الآخرين الذين كانوا يلومونني ويقولون لي بأن عملك ليس له مستقبل مضمون وأنه عمل لا يناسبك ولا يناسب مكانة عائلتنا والعمل في هذا المجال يحط من مكانتنا أمام الآخرين ويجعلهم يستصغرون شأننا، فتركت عملي بدافع من السذاجة وعدم الوعي وبعد أن نفد صبري وضقت ذرعاً بانتقادات الآخرين وأصبحت الآن عاطلاً عن العمل. والآن أي مكان أذهب إليه طلباً للعمل فإنهم يقولون لي ليس لدينا عمل لك أو يقترحون عليّ العمل بصورة مؤقتة. وهم غير مستعدين لتوظيفي بشكل دائم. أقسم بالله إن صبري نفد ولم أعد أتحمّل... لقد بعت كل ما لدي لتأمين لقمة العيش.. الضغوط تنهال عليّ من كل جانب، فعليّ أن أسدد أقساط قرض الزواج وقرض كذا وقرض كذا.. وإيجار البيت ورسوم الماء والكهرباء وعليّ أن أشتري الملابس والأحذية لزوجتي والحليب والدواء لطفلي... هذه المشاكل باتت تضيّق الخناق عليّ يوماً بعد آخر... أنتم تقولون: اعملوا واحصلوا على الرزق الحلال، فأين هو العمل؟! دلوني على عمل يؤمن معيشتي ومستقبلي وأنا على استعداد للعمل بكل رغبة واشتياق، فهل حرام عليّ أن أؤمن حياتي ومعيشتي؟

أيها الأخ الكريم، أولاً لماذا تركت عملك نتيجة سماعك كلام هذا وذاك؟ ولماذا أقدمت على هذا العمل دون أن تفكر بعاقبة الأمر؟ فهل النظافة شيء قبيح لتكون مساعدتك في تأمين النظافة وتوفير الصحة والسلامة للناس أمراً سيئاً؟!

إن العمل الذي يكون بهدف خدمة الناس ويؤدى بصدق وإخلاص ودقة وأمانة، ليس قبيحاً ولا حقيراً أبداً. ومن المناسب أن نشير هنا إلى قصة عيسى عليه السلام وحوارييه. أتعلمون من هم الحواريون؟ الحواريون هم أول من آمن بعيسى عليه السلام، أتعرفون لماذا؟ لأنهم كانوا من الأصحاب الأوفياء لعيسى بن مريم عليه السلام وهاجروا معه إلى أماكن مختلفة وساعدوه في مهمة التبليغ ونشر دين

الله وهداية الناس ولم يكونوا يقومون بعمل آخر غير هذا... فعندما كانوا يجوعون كانوا يخبرون عيسى عليه السلام بالأمر وكان عليه السلام يضرب بيده الأرض أينما كان في سهل أو في جبل فتظهر وبمعجزة من الله مائدة فيها خبز، رغيفان لكل منهم، فكان عيسى عليه السلام يعطي كل واحد من حوارييه حصته من الخبز فيأكل. وعندما كانوا يعطشون يقولون له، يا روح الله إننا نشعر بالعطش فكان عيسى عليه السلام أينما كان في سهل أو في جبل يضرب بيده الأرض فيخرج منها ماء زلال فيشربون، هذا النمط من العيش، العيش مع نبي الله وتناول رغيف من الخبز والشرب من ينبوع الإعجاز الإلهي أوجد فيهم حالة من الغرور والاعتداد بالنفس فقالوا له: يا روح الله! هل هناك من هم أفضل منّا؟ إذا جعنا أكلنا رغيفاً من الخبز وإذا عطشنا شربنا الماء الزلال، إضافة إلى أننا آمنا بك وصدقناك واتبعناك، فمن هو أفضل منا؟؟ وكأنهم كانوا يتصورون أن ليس هناك على هذه الأرض من هو أفضل منهم. فقال لهم عيسى عليه السلام: أفضل منكم من يعمل ويأكل طعامه من تعبه وكدّ يمينه وعرق جبينه. بعد سماعهم هذا الكلام بدأ هؤلاء الحواريون يعملون ويشتغلون فكانوا يجمعون ملابس الناس الوسخة ويذهبون إلى ضفة النهر فيغسلونها حتى تصبح نظيفة ثم يعيدونها إلى أصحابها ويتقاضون أجرتهم على ذلك[1]. فالحواريّ هو الذي يغسل الملابس ولهذا السبب سمّوا بالحواريين، وبهذا تلاحظون أن عيسى عليه السلام هذا النبي العظيم يقدّس العمل ويحذّر أصحابه من أن يأكلوا ويشربوا من غير كدٍّ وعمل وسعي ولذلك فإنهم بدأوا فوراً بغسل الملابس دون أن يشعروا بأي خجل أو استصغار لشأنهم.

فهل العمل هو الذي يجعل الشخص يشعر بالخجل أمام الآخرين أم البطالة والفقر والفاقة؟!

إذا كنت أيها الأخ الكريم ترغب حقاً في العمل ولا تريد أن تقطف الثمر من شجرة لم تزرعها بيدك، فإن العمل متوفر في هذه اللحظة بالذات، وإذا بدأت بالعمل وأتقنت عملك وأظهرت الصدق والأمانة فيه فسوف تنمو وتتقدم وعندها ستتمكن من العيش بعزة وكرامة وقناعة. ولكني أستنتج من رسالتك بأنك تنفق

(١) راجع بحار الأنوار، ج١٤ ص ٢٧٦ باب حواريي عيسى.

راتبك قبل أن تحصل عليه وتحمّل نفسك أكثر من طاقتها، لماذا تشتري كل هذه الأشياء بالتقسيط؟! لماذا تجعل نفسك غارقاً في الديون لدرجة أنك تشعر الآن بالذل وعدم القدرة على تسديدها؟؟! لماذا تقول في رسالتك:

إذا لم أحصل على عمل بعد خمسة وعشرين عاماً عشتها بصدق وأمانة وبعد ثلاثة عشر عاماً من الدارسة والتحصيل العلمي، فقد ألجأ إلى السرقة وخيانة الأمانة وأضحّي بكرامتي وسمعتي. أُقسم بالله إني حتى الآن لم أمدّ يدي إلى أحد ولم أخن الأمانة ولم أُظهر ضيق حالي ومسكنتي أمام أحد من الناس... إني أطلب العون منكم. لا أطلب منكم أن تساعدوني مادياً! لا! بل أطلب منكم أن تنصحوني لكي لا يخدعني الشيطان. اطلبوا من المسؤولين أن يؤمنوا لي عملاً ما، كما أرجو أن تنصحوا عائلتي وزوجتي بأن لا تلقي باللائمة عليّ ولا توجه لي الانتقادات اللاذعة وأن تقلل من طلباتها ولا تتوقع مني الكثير...

من... المسكين العاطل عن العمل - م

كلا! فأنت لست مسكيناً، المسكين الحقيقي هو الذي يبيع جوهرة الأمانة الثمينة للشيطان ويجعل نفسه يعيش حياته الخالدة (يوم القيامة) يواجه العذاب الدائم في نار جهنم. تصوراً منه في الوصول إلى حياة سعيدة وعيشة رغيدة هانئة في دار الدنيا. لأن الذي يخون الأمانة ويمارس السرقة فإنه يحشر يوم القيامة مع تلك الأشياء التي يسرقها ويفتضح أمره أمام الجميع وتسحبه ملائكة العذاب سحباً إلى جهنم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **﴿وما كان لنبيٍّ أن يَغُلَّ ومَن يَغلُل يأتِ بما غَلَّ يوم القيامةِ ثمّ توفّى كلُّ نفسٍ ما كسبت وهُم لا يُظلمون﴾**[(١)]. كما أن اليد العاطلة عن العمل التي تمتد للسرقة جزاؤها أن تقطع بقوة القانون، وتدفن إلى الأبد، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول ما مضمونه: «خيانة الأمانة هي من أقبح الأخلاق والصفات»[(٢)].

وجاء في الحديث أيضاً ما مضمونه: «الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الفقر»[1] فاتخذ أيها الأخ الكريم قرارك وعد إلى عملك السابق أو إلى أي عمل آخر، ففي الوقت الحاضر هناك إمكانية للعمل في المزارع. في مجال تسوية الأراضي وتمهيدها وزراعتها وبإمكانك أن تحصل على ضعف الأجر الذي كنت تحصل عليه من قبل. المهم أن تكون مستعداً للقيام بعمل مفيد ونافع وتقديم خدمة لا تخلو من التعب والمشقّة، تقديمها بدقة وصدق وأمانة وأن تحزم أمرك ولا تلتفت إلى ما يقوله الآخرون عنك ولتكن ثقتك بالله كبيرة، وكن على يقين بأنك إذا ما بدأت في السعي والعمل فإن جميع مشاكلك ستحلّ الواحدة تلو الأُخرى وبكل سهولة ويسر.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ١١٤ باب ٥٠ ح٦.

الفصل (٢٠)

على عاتق من تقع مسؤولية تأمين النفقات المعيشية للأسرة؟

أنتم تعلمون أن إحدى وظائف الزوج والني ينص عليها عقد الزواج الدائم، تتمثل في توفير متطلبات ومستلزمات الحياة اليومية للزوجة كالمأكل والملبس والسكن وأثاث المنزل والنفقات الأُخرى الضرورية وعلى الزوج أن يتجنّب المنّ على الزوجة والبخل عليها في أداء هذا الواجب الذي فرضه الله عليه. فقد جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فسألته عن حق الزوج على المرأة فخبرها، ثم قالت: فما حقها عليه؟ قال: [يكسوها من العري ويطعمها من الجوع وإذا أذنبت غفر لها، قالت: فليس لها عليه شيء غير هذا؟ قال: لا][١].

ماذا تعني عبارة «بالمعروف وبالشكل المتعارف عليه»؟ تعني أن ينفق الرجل على زوجته ويؤمن لها المأكل والملبس على أساس من العطف والإحسان والتعامل الرؤوف ووفقاً للأسلوب المتعارف عليه بين الناس. فالإسلام يقول للرجل إياك أن تجعل زوجتك وأولادك في ضائقة وعسر ومشقة على صعيد الاحتياجات والمتطلبات الاعتيادية المتعارف عليها.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: **﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما**

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢١، باب وجوب نفقة الزوجة الدائمة، ص ٥١١.

آتاه الله﴾ قال: [إذا أنفق الرجل على امرأته ما يقيم ظهرها مع الكسوة وإلا فرق بينهما][1].

وقال الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق ـ سلام الله عليهما ـ في حديث مضمونه: «إن من يسعى قدر استطاعته للتوسعة على عياله والإنفاق على أسرته بعيداً عن الإسراف والتبذير فإن الله يحبه أكثر ويتقبّل أعماله»[2].

ولكن رغم هذه الوصايا الصريحة والواضحة فلا يزال هناك من يقتّر على عياله وزوجته وأولاده ويضيّق ويبخل عليهم بمتطلبات المعيشة وبالمأكل والملبس والعلاج والدواء ويعيش حاضره بظلمة وعسر وكآبة خوفاً من الوقوع في العسر والفقر والفاقة في المستقبل. إن هذا النهج وهذا الأسلوب هو من أسوأ الأساليب المذمومة ويؤدي إلى أقبح العيوب والنقائص، فالبخل هو كالشريط الذي يجتذب إليه جميع القبائح والمساوىء ويثير سخط الزوجة والأولاد والأقرباء البعيدين والقريبين.

الرسالة: ... برأيي إن الغرور والتكبّر والبخل من أسوأ الصفات في الرجل وعليكم أن تنصحوا مثل هؤلاء الرجال لأنه يصيبهم الغرور إلى درجة أنهم يمتنعون حتى عن رد السلام على زوجاتهم وأولادهم. إن زوجي لا يظهر أدنى قدر من المحبة تجاه أولاده مما أدى إلى ضياع الأسرة، فهو لم يقبّل أحداً من أولاده حتى الآن ويقول: إذا قبّلت أولادي فإنهم سيصبحون وقحين ويقول أيضاً: الولد عندما يكبر، يجب أن ينصرف ويبحث عن عمل ويجدّ ويسعى ويحصل على لقمة العيش، فقد كنت أنا يتيماً، وعلى هؤلاء أن يتصوروا أنهم ليس لديهم أب...

والأسوأ من ذلك كله هو أن هذا الرجل لا يهتم حتى بزوجته. فحتى لو كانت زوجته على فراش الموت يرفض أن يأتي لها بطبيب أو يشتري لها الدواء، لا تتصوروا أنه لا يملك المال، كلا! إنه على قدر كبير من الثراء ولكنه شديد البخل، لا يريد أن ينفق من أمواله ويقول: إذا أصبحت في

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢١، باب نفقة الزوجة، ص ٥١٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٨، ص ١٣٦.

المستقبل مقعداً ولم يكن عندي أي مدخول أو إيراد، فماذا أفعل؟! إن زوجي يعدّ حتى الفاكهة الموجودة في الثلاجة ويقول: كل واحد منكم يريد أن يأكل فاكهة عليه أن يستأذن مني. وهو يحتفظ بالفاكهة لفترة طويلة حتى تفسد وتتلف...

أرجو المعذرة إذا كنت قد أخذت من وقتكم ولكن رجائي منكم أن تنصحوا هذا السيد ـ الذي هو أحد أقاربي ـ لكي يكفّ عن بخله وغروره..

ما أقبح هذا البخل الذي يجعل صاحبه يبخل حتى في ردّ السلام والتحية!

ما أسوأ هذا البخل الذي يمنع صاحبه حتى من تقبيل أولاده وإظهار المحبة تجاههم وإهداء البسمة لهم!

إن أسلوب التفكير الضعيف وضحالة المنطق والفقر الروحي والنفسي تترتب عليه مثل هذه النتائج القبيحة والبخل هو الغطاء الذي يخفي تحته هذا الضعف النفسي وهذا الفقر المعنوي والروحي. فالقلب الذي يغفل عن ذكر الله ويغض النظر عن رحمة الله الواسعة ولطفه الذي لا حدود له ويرفض أن يأنس مع الله ويكون في جواره وقربه، فإن مثل هذا القلب يبتلى بمثل هذه الآفات القبيحة التي تجلب لصاحبها الذلّ والهوان.

إن الذي يبتعد عن الماء يخشى من العطش والجفاف والفقر في المستقبل وترتعد فرائصه ويحرم نفسه وأهله مما أنعم الله عليه. خشية أن يصاب بالفقر في المستقبل. وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «عجبت للبخيل الذي استعجل الفقر الذي منه هرب، وفاته الغنى الذي إياه طلب، يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء»[1].

البخل هو نتيجة الغفلة عن ذكر الله ونتيجة الابتعاد عن الباري سبحانه وتعالى ونتيجة لسوء الظن بقدرة الله اللامتناهية ونتيجة لعدم المعرفة بثروة الله التي لا حدود لها ورحمته وكرمه اللذين لا نهاية لهما. الإمام جعفر الصادق عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٧٨، ص ٩٤ باب ١٦ ح١٠٧.

يقول: «حسب البخيل من بخله سوء الظن بربه من أيقن بالخلف جاد بالعطية»[1]. أي أن القلب الذي يعرف الله ويؤمن بأنه سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ويسدد خطى عباده الذين يعملون ويسعون بهمم عالية وبجدارة وتدبير ويوصل لهم رزقهم ويضمنه لهم بمقدار سعيهم وعملهم. مثل هذا القلب لا يخشى الفقر أبداً ولا يحزن أو يحمل هماً لغده ولا يجعل حياته الحالية المشرقة مرة ومظلمة بهذا الشكل على نفسه وعلى عياله. ولكن هل تتصورين يا أختنا الكريمة أن بالإمكان بمجرد تقديم النصح، اجتثاث جذور هذه الصفة القبيحة؟ وهل تعتقدين أن هذه الصفة الضارة والمؤذية التي تمتد جذورها كالشوك في كيان هذا الرجل ووجوده، بالإمكان إزالتها واجتثاثها بهذه السهولة من أعماق قلبه وإحراقها.

على زوجك أن يشعر أولاً بقبح تصرفاته وأخلاقه ويطلع على وجود هذه الصفة في داخله ويصدق ذلك وبعدها يصمم على إنقاذ نفسه منها ويبدأ بواسطة مقص الإرادة والعزيمة وترويض النفس، بقص الأغصان الظاهرة والبارزة المتفرعة عن هذه الشوكة غصناً بعد آخر وتقليعها من أعماقه ويتخلص منها وبعد ذلك عليه أن لا يقوم بأي عمل يصب في خانة هذه الصفة غير المحببة وغير المطلوبة، عليه أن يمتنع عن التكلم بما يرغب التكلم به وعليه أن يمتنع ـ كما كان يفعل من قبل ـ عن عدّ الفاكهة الموجودة في الثلاجة ويكلّف أحد أولاده بتقسيم الفاكهة وتوزيعها على سائر أولاده وأهله وعياله... بل عليه وخلافاً لرغبته شراء سلة مليئة بالفاكهة ليقدمها بنفسه هدية لأبناء الجيران وعليه أن يصدق وعد الله بإعطاء الأجر والثواب على أعمال الخير وتوسيع الرزق على أفراد الأسرة... وبمثل هذه الأعمال والأفكار النظيفة يقتلع من وجوده وكيانه جذور القبائح والمساوىء لأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: **﴿وأقم الصَّلاة طرَفَي النهار وزُلفاً من الليلِ إن الحسنات يُذهِبن السيئاتِ ذلك ذكرى للذاكرين﴾**[2] لنسأل الله تعالى تخضعاً ولنرجُه بذلةٍ أن يبعدنا عن البخل والجشع والكبر والحسد وأن يمنن علينا بالفهم والبصيرة والقدرة على الجود والكرم والبذل والعطاء في سبيله.

وفقك الله

---

(١) الاختصاص للمفيد، ص ٢٣٤.

(٢) سورة هود، آية: ١١٤.

الفصل (٢١)

من يتحمل مسؤولية إدارة شؤون الأسرة وتوجيهها؟

كما تعلمون فإن الزوج والزوجة وهما يسيران في طريق الحياة المشتركة، يحتاجان إلى التفاهم والاتفاق قبل أي شيء آخر وهما يستطيعان تحقيق ذلك من خلال الحوار البنّاء والهادىء والمحق ومن خلال التسامح الودّي دون مِنّة من أحدهما. نعم إن بإمكان الزوجين أن يتوصلا إلى التفاهم والوئام بشأن مختلف القضايا الحياتية وذلك عن طريق الحوار والتحدث والتفكير وبإمكانهما أيضاً من خلال التسامح والمحبة تجاه بعضهما البعض أن يصلا إلى التفاهم المشترك ويدرك أحدهما متطلبات ورغبات الآخر ويبنيا حياتهما المشتركة. ولكن هناك سؤال مطروح دائماً وهو، بالرغم من أن التفاهم والاتفاق يجب أن يسودا الحياة الزوجية في جميع لحظاتها، من يتحمّل مسؤولية إدارة شؤون الأسرة وتوجيهها وقيادتها؟ ومن هو الذي يحدد أُطر السياسة العامة والنهج العام للأسرة؟ ومن يطيع أفراد الأسرة وما هي الحالات التي توجب عليهم الطاعة؟

إن الله سبحانه وتعالى ـ الذي هو مالك وحاكم هذا العالم وسكانه ـ جعل الرجل مسؤولاً عن الأسرة وراعياً لها وجعل هذا العبء الثقيل وهذه المسؤولية الجسيمة على عاتق الرجل وقال الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿الرجال قوّامون على النّساءِ بما فضّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾**[1]. لقد جعل الله سبحانه وتعالى الرجل قيّماً ومسؤولاً عن زوجته وأولاده وأسرته حسبما ورد في هذه الآية الكريمة وذلك لسببين وجيهين:

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

السبب الأول: هو القدرة التي يتمتع بها الرجل والإمكانية التي يحظى بها، **والسبب الثاني**: هو مسؤولية الرجل على صعيد تأمين نفقات ومتطلبات الأسرة. فالله سبحانه وتعالى الذي صور وجود المرأة والرجل يعرف جيداً مدى قدرات وإمكانيات ونفسيات كل منهما كما يعرف طبيعة المسؤوليات التي يستطيع كل من الرجل والمرأة القيام بها بشكل أكثر كفاءة وجدارة. فقد وضع الله سبحانه وتعالى على عاتق الرجل مسؤولية تأمين المعاش للأسرة والإنفاق عليها وتأمين متطلباتها المعيشية. فهو يخرج من البيت صباحاً للحصول على الرزق الحلال ويواجه مختلف المخاطر والعقبات والصعاب حيث يؤمن وبكثير من العناء والتعب متطلبات الحياة المعيشية ويأتي بها إلى البيت. فماذا يتوقع الرجل أن يحصل عليه في مقابل هذا التعب والعناء وتقبّل كل هذه المخاطر والمشاكل؟ ألا يتوقع من زوجته أن تقدّر ذلك من خلال إظهارها للمحبة والطاعة وتعبيرها عن الشكر والامتنان لزوجها؟ فإذا كانت الزوجة امرأة لائقة وكفوءة تتمتع بالفهم والإدراك وتفكر بسلامة وصلاح أمرها وأمر زوجها وأولادها، فهي بالتأكيد لا تخيّب ظن زوجها بها وتؤمن له ما ينتظره هو منها وبالتالي تطيع فهي تطيع الله وتطيع زوجها على النعم التي أنعم بها عليها على يد زوجها وعن طريقه.

إذا كانت الزوجة سليمة التفكير وواعية فهي تدرك بأن الاستمرار في الحياة الزوجية المشتركة والحصول على محبة الزوج لها، لا يمكن تحقيقه إلاّ من خلال طاعة الزوج. وعلى الزوجة أن تعلم بأنها إذا كانت ترغب باحترام زوجها لها فعليها هي أيضاً أن تحترم كلام وتوجيهات وتعليمات زوجها وتقبل بإدارته لشؤون الحياة العائلية ومثل هذه الزوجة تدرك بأنها إذا لم تحترم زوجها فإنها تكون قد ظلمت نفسها وحرمتها من المزيد من الخدمة والمحبة التي يقدمها لها زوجها. وإذا لم تكن هناك طاعة وقبول متبادل للمهام والأدوار بين الزوج والزوجة داخل تنظيم الأسرة، فإن جذور المخالفة والعناد تبدأ بالظهور وهذه الآفة تقضي على الأغصان اليانعة للحياة الزوجية وتتسبب في جفافها. ومن أجل أن تبقى الأسرة محافظة على نشاطها وحيويتها ونضارتها ومن أجل المحافظة على النظام والقيم الخلقية والاحترام المتبادل داخل الأسرة واستمرار سلامتها وتزايد مشاعر المحبة والاحترام بين أفرادها فإن رسول الله ﷺ فرض على المرأة طاعة زوجها حيث قال ﷺ

ما مضمونه: «المرأة الصالحة هي التي تطيع زوجها وتعمل بما يأمرها به»[1].

والآن وبعد هذا التوضيح القصير، اقرأوا هذه الرسالة، وبعد ذلك قولوا هل الحق مع الزوج أم مع الزوجة؟

الرسالة: . . . حياتنا تسير على ما يرام ويسود التوافق الخلقي بيننا ورغم أن زوجتي مستواها أعلى مني من حيث الثقافة والمعلومات إلاّ أنها تسمع كلامي وتطيعني في مختلف الأمور والقضايا ما عدا بعض الحالات فهي لا تقبل بكلامي وهذا الأمر يضايقني ويؤذيني كثيراً. فعلى سبيل المثال عندما يزورنا ضيف أو عندما نقرر السفر أو زيارة أحد فإنها تصر على رأيها وتتشبّث به وعند ذلك تصر وتقول: إني لا أذهب. وكل ما أقول لها وأحاول إقناعها وأرجوها وألحّ عليها وأذكر لها الأدلة والأسباب فإنه لا ينفع معها ذلك أبداً وعندها أضطر إما للسفر وحدي أو ألغي سفري نهائياً أو أغض النظر عن زيارة الأقارب أو الأصدقاء وأجلس في البيت وأنا متوتر الأعصاب أختلق الذرائع والحجج. ليت هذه الحالة لم تكن موجودة فيها وكانت زوجتي مطيعة لي في كافة أمور وقضايا الحياة الزوجية.

إذا ما قرأتم هذه الرسالة وقدمتم لزوجتي النصائح والإرشادات وقبلت بها فسيكون الأمر رائعاً، وفي غير هذه الحالة فإنها عندما تطلب الذهاب إلى منزل والدتها، سأضطر في المقابل أن أقول لها: لا أستطيع، لا أذهب معك، وأنت أيضاً يجب أن لا تذهبي. . وعندها أخشى أن تحدث مشاكل وتنهار حياتنا.

أخوكم. . .

أيها الأخ الكريم!

حبذا لو أخذت بعين الاعتبار هذين المبدأين المهمين عندما تمارس مسؤوليتك في إدارة شؤون أسرتك والحصول على طاعة زوجتك:

١ ـ على صعيد طلباتك وتوقعاتك من زوجتك عليك أولاً أن تمهّد لقبول

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص ٢٣٥.

هذه الطلبات من قبل زوجتك وطاعتها لك فيما تريد وأن تهتم وتأخذ بعين الاعتبار إمكانياتها وقدراتها ونفسيتها وحاول أن تكون طلباتك وتوقعاتك في حدود إمكانيات زوجتك وطاقتها.

وكمثال، لعلك كنت تنتظر منها أن تتحرك للسفر فوراً بمجرد أن تقرر ذلك وتأمر به. إن عليها أن تقوم بأعمال كثيرة استعداداً للسفر، فعليها أن ترتب المنزل وتهيّيء الأولاد والأطفال وتحضّر وسائل ومستلزمات السفر وتدرس أماكن الإقامة في المكان الذي تريد أن تسافر إليه وذلك على ضوء قدرتها وطاقتها وسلامتها الجسمية... وإذا كلفتها بأكثر مما تستطيع وتطيق فإنك في الحقيقة تدعوها إلى التمرد وعدم الطاعة، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه: «من كلّفك وحمّلك بأكثر من طاقتك فقد أجاز لك أن تعصي أمره».

٢ ـ عليك أن تعلم أيها الأخ الكريم بأن الطاعة لا تكون إلا في عمل الخير وعمل المعروف، وإذا كان الطلب بما يخالف أمر الله فالطاعة ليست واجبة في هذه الحالة. وهناك من الولائم ودعوات الضيافة التي لا يرضاها الله وفي هذه الحالة فإن زوجتك عليها أن لا تطيعك وتمتثل لأمرك بالمشاركة في مثل تلك الولائم ودعوات الضيافة.

وفي ختام بحثنا، نذكر زوجتك الكريمة وجميع الأخوات والزوجات اللواتي يردن أن يتمتعن ويحظين باحترام وتقدير أزواجهن ويبعدن بالتالي بيوتهن عن نيران الخلافات والمنازعات وينجون في الآخرة من عذاب السعير. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة في مأمنٍ من نار جهنم: الزوجة المطيعة لزوجها، والمرأة التي تصبر على فقر زوجها والبار لوالديه».

ولنتذكر جميعاً بأننا إذا أردنا أن ننال جميع الخيرات والحسنات فعلينا أن نطيع أوامر الله وطوبى لمن أطاع ربّه في جميع شؤون حياته.

الفصل (٢٢)

كيف تقسمون العمل في المنزل؟

خلال زيارتي لمدينة «ياسوج» والتي التقيت فيها بذلك المعلم المجدّ والنشط من منطقة «سي سخت» هذا المعلم الذي تمكن بمفرده من إعمار أرض صخرية جبلية وعرة في تلك المنطقة. جاءتني أخت معلّمة وشكت لي كسل زوجها وخموله وقالت:

الرسالة: ... أنا وزوجي كلانا نعمل في سلك التعليم فنخرج صباحاً سويةً من المنزل ونضع طفلنا في دار الحضانة وندخل إلى المدرسة معاً وفي وقت واحد ونعود إلى البيت عصراً وأحياناً وقت الظهر... وعندما نصل إلى المنزل يستلقي زوجي ويقول لي: دعيني أستريح قليلاً ريثما تنتهين أنت من إعداد الطعام. وعندما أقول له تعال وساعدني في إعداد الطعام. أنا أنظف الخضروات وأنت إغلِ الماء على الموقد... يقول لي: الطبخ هو من عمل ست البيت. إنه على حق. فلو كنت لا أعمل ولو كنت لا أساهم في نفقات ومصاريف البيت، لكانت مسؤولية الطبخ على عاتقي وأنا أتقبّلها. ولكن بما أننا نعمل سوية إذن علينا أن نتعاون في داخل البيت. هل من الإنصاف أن يستريح هو وأنا أُعدّ الطعام؟؟ أو أن يطالع هو وأنا أغسل الصحون؟! أو أغسل الملابس وهو مستلقٍ يخرج التعب من جسمه ويقول لي: هذه الأعمال هي من واجب ست البيت...

إن هذه الأخت المعلّمة ـ وهي أخت عزيزة وكريمة ومحترمة ـ على حق،

فالزوج والزوجة يجب أن يتحملا أعباء العمل والتعب في المنزل ـ وفقاً للعدل والإنصاف ـ وعلى أساس الاتفاق والمساعدة مع بعضهما البعض. عليهما أن يقسّما العمل بينهما على أساس الإنصاف بل على أساس الإحسان حيث يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدلِ وَالإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى وينهى عن الفحشاء والمُنكَرِ وَالبَغي يَعِظكُم لعلّكُم تذكّرون﴾**[1].

فالإحسان هو أن يتحمّل أحد الزوجين عناءً وتعباً ومشقّة أكثر ليتمتع الطرف الآخر بمزيد من الراحة والرفاهية، لأن «المؤمن يتحمل العناء والتعب لكي يشعر الآخرون بالراحة»[2]. وهذا الأمر يتجلّى بصورة أوضح على صعيد الأسرة. إن الله سبحانه وتعالى يؤكّد في الآية المذكورة أعلاه على الاهتمام بذي القربى وتفقدهم وضرورة صلة الأرحام. ولكن حبذا لو أنَّ المرأة التي تعمل في مهنة شريفة في خارج المنزل وبناءً على موافقة زوجها، تنظّم برنامج عملها في خارج المنزل وتخفض ساعات عملها بشكل تستطيع معه القيام بمسؤولية إعداد الطعام. طعام لذيذ وصحي وشهي لزوجها وأولادها، لأن أحد أفضل فنون المرأة في الحياة هو فنّ إعداد طعام لذيذ وصحي وشهي لأفراد أسرتها. والإمام الصادق عليه السلام ينقل حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير فيه إلى أربع من أفضل الصفات التي يجب أن تتوفر في النساء.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: [خير نسائكم الطيّبة الريح، الطيّبة الطبيخ التي إذا أنفقت أنفقت بمعروف وإن أمسكت أمسكت بمعروف. فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب ولا يندم][3].

صحيح أن الطبخ وإعداد الطعام ليس واجباً أساسياً من واجبات المرأة ولكن المرأة التي لا تستطيع أن تعدّ طعاماً جيداً لا تستطيع أن تكسب رضى زوجها ومحبته لها وبالتالي لا يمكنها أن تعيش حياة لائقة ومستقرة.

الرسالة: . . . **إني أحمل الشهادة الإعدادية وزوجتي تحمل شهادة البكالوريوس**

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) أصول الكافي الجزء الثاني، ص ٤٧ عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ١٥ باب ٦ ح٦.

وكلانا نعمل في خارج البيت ليست بيننا أية خلافات من الناحية العقائدية والمعتقدات الدينية فكلانا يؤمن بالله والرسول ﷺ ولكننا لا نتفق حول بعض الأمور البسيطة وهناك نزاع مستمر بيننا حولها. . . أذكر لكم فيما يلي بعضها لتكونوا أنتم الحكم بيننا لأن زوجتي تقبل بكم حكماً وقاضياً:

١ - زوجتي رغم أنها مثقفة وتحمل شهادة بكالوريوس إلاّ أنها لا تجيد الطبخ وعندما أعترض على طريقة طبخها للطعام تقول لي: إني لا أجيد الطبخ أفضل من هذا، إني لم آت إلى بيتك لكي أطبخ الطعام؟! إذا لم يعجبك طعامي، تفضل واطبخ أنت الطعام. . .

٢ - . . .

٣ - . . .

٤ - في أغلب الأحيان تخرج من البيت وتذهب لزيارة الأقارب دون موافقتي ودون علمي بذلك وعندما أقول لها لماذا لم تخبريني؟ لماذا تأخرتِ في العودة إلى المنزل؟ أليس لي دور في هذا البيت؟!. . . فإنها تنزعج فوراً وتتبجح أمامي بوظيفتها وشهادتها الدراسية وتغضب منّي وتقاطعني لفترات طويلة تصل إلى عشرين يوماً ولا تتكلم معي ولا تعيرني أي اهتمام. أي. . .

لا أدري ما إذا كان هذا الأخ الكريم قد سرد الأحداث كما وقعت بالفعل. أم لا؟ وإذا كان الأمر كما ذكر لنا في رسالته وكانت هذه السيدة قد اختارت زوجها ووافقت عليه بموجب عقد زواج دائم فإنها وبسبب خروجها من المنزل دون إذن زوجها ودون علمه ومقاطعتها له وتجاهله وعدم إعارتها له أي اهتمام، تكون مذنبة وناشز. لأن المرأة وبمجرد قبولها بالزوج بموجب عقد الزواج الدائم تكون قد وافقت على أن يكون الزوج وليّها والمسؤول عنها وأنها تفوض زوجها وتمنحه بعضاً من الصلاحيات التي تتمتع بها حيث إن «لكل واحدٍ من الزوجين حق على صاحبه يجب عليه القيام به وإن كان حق الزوج أعظم. ومن حقه عليها أن تطيعه ولا تعصيه ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه ولو إلى أهلها حتى لعيادة والدها أو في عزائه. بل ورد أن ليس لها أمر مع زوجها في صدقة ولا هبة ولا نذر في مالها إلاّ

بإذنه، إلاّ في حج أو زكاة أو برّ والديها أو صلة قرابتها»[1]. وعلى الزوجة أن تتجنب كل ما يؤدي إلى حالة عدم الوئام وعدم التفاهم مع زوجها وأن تتجنب سوء الخلق وتستجيب لطلبات زوجها المشروعة على صعيد الحياة الزوجية وأن تمكنه من نفسها.

كما أن للزوجة حقوقاً على الزوج، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا يَحِلُّ لَكُم أنْ ترثوا النّساء كرهاً ولا تعضُلُوهُنَّ لِتَذهبوا ببعض ما آتيتموهُنَّ إلاّ أن يأتينَ بفاحشةٍ مبيّنةٍ وعاشروهنَّ بالمعروفِ فإن كرهتموهُنَّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويَجعَلَ اللهُ فيهِ خيراً كثيراً**﴾[2].

كما يقول جلّ وعلا: ﴿**أسكنوهُنَّ من حيثُ سكنتم من وجدِكُم ولا تُضاروهُنَّ لتضيّقوا عَلَيهِنَّ**﴾[3].

* * *

يجب أن نقول لهذه السيدة: أيتها الأخت العزيزة! إن الله الذي خلق الرجل والمرأة للعيش معاً وجعل أحدهما يحلّ للآخر ويتعرف عليه بواسطة عقد الزواج (النكاح) قد حدد عدداً من الوظائف والواجبات لكلٍ منهما، لاحظوا هذين الحديثين الشريفين عن رسول الله ﷺ:

١ ـ عن النبي ﷺ قال: [من كانت له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتّى تعينه وترضيه وإن صامت الدَّهر وقامت وأعتقت الرّقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله كانت أوّل من ترد النار. وعلى الرّجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً][4].

٢ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: [إنّ امرأة أتت رسول الله ﷺ لبعض الحاجة فقال لها: لعلّكِ من المسوّفات قالت: وما المسوّفات يا رسول الله قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوّفه حتى ينعس زوجها فينام.

---

(١) تحرير الوسيلة الجزء الثاني. صفحة ٢٧٠.
(٢) سورة النساء، آية: ١٩.
(٣) سورة الطلاق، آية: ٥.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٤، كتاب النكاح صفحة ١١٦.

فتلك التي لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ (حتى توقظ زوجها وترضيه)][1].

أيتها الأخت الكريمة! إن الهدف من تحصيل العلم واكتسابه هو جعل الحياة مشرقة جميلة والمفروض أن الدراسة وتحصيل العلم يجعلان الإنسان أكثر تواضعاً ويزيدان من التفاهم والوئام بين الأفراد (ولا سيّما بين الزوج والزوجة). فالعلم الذي تسفر عنه الذنوب والنزاعات والمشاجرات ليس نوراً بل هو جهل وظلام. لأن أجمل نجوم السماء إذا أصابها الغرور للحظة واحدة وأخذت تتباهى وتفخر بنورها وجمالها أمام غيرها وأخذت تمنّ على سواها، فهي في تلك اللحظة بالذات ستصبح قبيحة وستنطفىء وتصبح مظلمة لا نور فيها.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، كتاب النكاح صفحة ١١٧.

الفصل (٢٣)

هل تحترمون فكر وعمل شريك حياتكم؟

كيف؟ وإلى أي حدّ؟

إن قيمة وطبيعة أي طائر تتحدد على أساس جناحيه اللذين يطير ويحلق بهما. كما أن هوية وكرامة الإنسان تتحدد وفقاً لجناحي «عقله وعمله» فالحمامة لا تعتبر طائراً وحمامة إلاّ إذا استطاعت أن تطير وتفتح جناحيها وتضمهما وأن تضرب بجناحيها وتحلّق في عنان السماء الزرقاء ومن ثم تهبط لتحط على غصنٍ عالٍ في شجرة الحرية وتشعر باللذة من هذا العمل. والإنسان أيضاً لا يكون إنساناً إلاّ متى استطاع أن يفكر ويبدع. يقول عليّ عليه السلام ما مضمونه: «إن قيمة أي إنسان في عقله، وبركة وجوده في صالح أعماله»[1]. فالعقل والعمل هما الجناحان اللذان يحلق بهما الإنسان. يقول عليّ عليه السلام ما مضمونه: «إن العلم وكمال العقل يتجسد في العمل»[2] ويقول عليه السلام أيضاً ما مضمونه: «إن جمال العلم يتجلّى من خلال العمل به»[3].

فالإنسان يشعر بالعزة والكرامة متى ما استطاع أن يفتح جناحيه ويحلّق باتجاه النموّ والكمال وهو يشعر بلذة الحياة متى ما استطاع ودون أي إجبار أو إكراه أن يفكر ويريد ويصنع ويبني ويحقق مطالبه ورغباته في العمل. إن «الفكر والعمل» هما مظهر وتجسيد وجوهر الوجود الإنساني والإنسان يرغب في أن ينظر إلى نفسه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ويشاهد وجهه ويتعرف عليه في مرآة العمل. والإنسان الذي يحرم من عقله وتفكيره ولا يوجد أمامه ميدان للخلق والإبداع والعمل يكون كالحمامة التي لا تستطيع أن تطير وكالطير الذي يكسر جناحاه ويحبس في القفص فهذا الطير لم يعد طائراً ولا حمامة وهو لا يرضى عن عيشته هذه وهو داخل القفص حتى لو قدمت له أفضل أنواع الحبوب. وبالنسبة للحياة العائلية أيضاً نجد أحياناً أن أحد الزوجين يتحكّم بالبيت والحياة العائلية ويسيطر على أفكار وأعمال البيت وأفراده ويحرم زوجته وأولاده من التفكير والعمل بصورة مستقلة ولا يعير أيّة أهمية لشخصية وكرامة الآخرين. وقبل عدة أيام جاءني زوج شاب وطلب مني أن أقدم النصائح والتوجيهات وأتحدث عن الزوجة التي تتوقع من زوجها الكثير ولا تقدر جهوده ومساعيه فطلبت منه أن يكتب لي مشكلته كما طلبت أن تكتب زوجته أيضاً عن المشكلة التي تواجهها مع زوجها وبالفعل كتبا إليّ ما أردته ولكن دون أن يعرف أحدهما ما كتب الآخر...

وفيما يلي أنشر نص رسالة كل من الزوج والزوجة بعد أن غيّرت بعض نصوصها لكي لا ينكشف سرّ من أسرار هذين الزوجين. أنشر هاتين الرسالتين لكي تساعدوني أيها القراء الكرام في حل هذه المشكلة:

الرسالة: أ ـ رسالة الزوج:

إني رجل أميّز بين الحلال والحرام وأرغب في الحصول على الرزق الحلال ولقمة العيش من مال حلال مهما تحمّلت من عناء وتعب ومشقّة كما أني رجل أغض من بصري وأتجنب النظر إلى النساء الأخريات أساعد زوجتي كثيراً في أعمال المنزل وأقوم بأي عمل أراه ضرورياً... فأنا أنظف الدجاج وأُعدّ الطعام وأعمل معجون الطماطم وعصير الليمون الحامض وأنظف الأرز وأقوم بأية خدمة ممكنة لزوجتي وأطفالي في البيت... كما أتولى مسؤولية التسوّق وشراء حاجيات ومتطلبات البيت وبشكل عام فإن حياتنا مرفهة نسبياً ولكن رغم ذلك فإن زوجتي غير راضية وتقول لي: أنت لا تعيرني الاهتمام اللاّزم ولا تحسب لي أية قيمة أو أهمية وتقول أيضاً: لقد تعبت من هذه الحياة ولا أشعر بأية لذة فيها... وتقول أيضاً: إني لا

أريد منك شيئاً أريدك فقط أن تهتم بي وتحترمني. . . وإني أقول لها: ماذا بوسعي أن أفعل أكثر من هذا؟! كثيرون هم الذين يحسدوننا على عيشتنا هذه، وكثيرات من الزوجات يتمنين أن يكون أزواجهن مثلي يساعدونهن في أعمالهن، لماذا تحملين عبئاً الهم والغمّ، لماذا تبكين وتؤذين بذلك الأولاد؟ لماذا لا تعرفين قيمة هذه الحياة؟! إني لا أفكر إلاّ في توفير الراحة والسعادة لكم! قولوا لي كيف أستطيع أن أهتمّ بها وأحترمها أكثر من هذا؟. . .

هذه هي مشكلتنا، أليست هذه المرأة برأيكم امرأة كثيرة الطلبات غير قنوعة ولا شكورة؟!

أظن أيها الأخ الكريم أنك ترى «الراحة والرفاهية» من خلال الطعام والشراب فقط ويظهر من خلال رسالتك بأنك تبذل جلّ اهتمامك في البيت لإعداد وتحضير الأكل والشرب ولو لم يكن الأمر كذلك لكتبت في رسالتك بأنك تقرأ أحياناً في المنزل كتاباً لزوجتك وأطفالك الصغار أو تنظم لهم في البيت برنامجاً أسبوعياً لقراءة الشعر والكتب المختلفة أو أنك تمسك بأيدي أطفالك وأولادك وتأخذهم معك إلى المسجد أو إلى مجالس الخطابة والوعظ والإرشاد وتشتري لهم الكتاب التربوي الفلاني أو المجلة الفلانية أو تتحدث معهم حول البرنامج التلفزيوني الفلاني مثلاً برنامج ـ أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة ـ وتباشر مع أهلك وعيالك عملية النقد والتحليل حول ذلك البرنامج التلفزيوني أو أن تعقد جلسة للتشاور مع زوجتك وأولادك في المنزل. ولكن كل ما كتبته في رسالتك يرتبط بموضوع الأكل والطعام وكأنك تعتقد بأن جميع متطلبات الإنسان تقتصر على هذا المجال ـ مجال الطعام والأكل فقط ـ وأنك لا تفكر إلاّ بهذه الأمور. إسمح لي قبل أن أصدر حكمي أن أنشر رسالة زوجتك أيضاً:

الرسالة: ب ـ رسالة الزوجة:

. . . إني سريعة التأثر وحساسة جداً وقليلة الكلام لا أؤذي أحداً ولكن لا أدري ما الذي يجعلني حزينة ومغمومة دائماً، زوجي يتمتع بمحاسن كثيرة ولكن يغضب لأبسط الأشياء، وفي هذه الحالة فإنه لا يصرخ أو يتكلم

بكلام بذيء ولا يسبّ أو يشتم ولكنه يجرح مشاعري بكلامه وانتقاداته. لا يتصرف معي تصرفاً حسناً وجيداً أبداً إلاّ عندما يريد أن يأخذ مرتّبي. إنه لا يشركني في الحياة أبداً وإذا سمح لي بذلك فإنه لا يهتم بوجهات نظري أبداً. فهو يهتم بكافة شؤون البيت ولا يفوته أي أمر من أمور المنزل، ينتبه لكل شيء وإذا قمت لا سمح الله بنقل إحدى مزهريات البيت من مكان إلى آخر فإنه يوجه لي الانتقادات إلى درجة يجعلني أندم على ما قمت به. إنه يتدخل في جميع شؤون البيت ويسمّي ذلك مساعدة. إن تمادي زوجي في الأعمال وتدخله المفرط والزائد في أعمال وشؤون البيت جعلني أشعر بأنه لم يعد لي أي دور في الحياة الزوجية وتربية الأولاد. ومهما أفعل ومهما أقُل يذهب هواءً في شبك...

إني لا أجرؤ حتى على شراء ملابس أو سوار أو عقد لي أو لابنتي من راتبي وهو يقول لي: إن شراءك لهذه الأشياء يعتبر إسرافاً. عليّ أن آخذ الإذن من زوجي حتى إذا أردت شراء قميص أو معطف من راتبي الشخصي. بالله عليكم ساعدوني. فقد بدأت أشعر بالملل والتعب والضجر من هذه الحياة.

مع تأكيدنا على ما أشرنا إليه من قبل حول شخصية الإنسان وقيمته وعلى ضوء ما ذكرتماه أنتما في رسالتيكما ومقارنة الرسالتين المذكورتين أدوّن فيما يلي استنتاجاتي وتوصياتي وكلّي أمل أن يؤدي التزامكما بالنقاط التي أذكرها فيما يلي إلى جعل حياتكما يسودها التفاهم والوئام وتقدير أحدكما لجهود وأتعاب الآخر وأن يقلل كل منكما طلباته من الطرف الآخر ويتحلّى بالقناعة وتشهد حياتكما الزوجية مزيداً من التحسّن:

فأنت أيها الأخ الكريم!

١ ـ مارس عملاً ثقافياً في المنزل واهتم بالنشاط والغذاء الروحي والنفسي لأفراد أسرتك... تشاور مع زوجتك وأولادك حول أمور البيت والحياة المشتركة. حاول أن تتحدث معهم وتستمع إليهم وبعدها اختاروا أفضل المقترحات التي تحظى بقبول ورضى الجميع.

٢ ـ بدل أن تتدخل إلى هذا الحد في أعمال وشؤون البيت وتحطّم بأعمالك وتدخلاتك هذه جناحي زوجتك اللذين تحلق بهما في سماء آمالها وتطلعاتها، فمن الأفضل أن تسلّم مهمة إدارة الشؤون الداخلية للبيت والأسرة إلى زوجتك لكي تقوم هي حسب فكرها وذوقها بترتيب المنزل وتستلذّ من مشاهدة حصيلة فكرها وتعبها وعملها في إدارة شؤون البيت والحياة العائلية. إفسح المجال لزوجتك لكي تشعر بقدرتها على إدارة شؤون البيت وتمارس ذوقها أو أسلوبها الخاص في ترتيبه. وعليك في الوقت الحاضر أن تساعد زوجتك فقط عندما تطلب هي ذلك منك.

٣ ـ عليك أن تدرك أن زوجتك سريعة التأثر وحساسة لذلك عليك أن تتعامل معها بمزيد من الليونة والملاطفة وعليك أن لا تعارض بشدّة وحدّة وجهات نظرها وأن تحترم رأيها وأفكارها وأعمالها وتصرفاتها، لأن قيمة أي إنسان تتمثل في فكره وعمله وإن العقل والعمل هما الجناحان اللّذان يحلّق بهما الإنسان في سماء التكامل والنمو. وأنت كيف تستطيع أن تعيش عيشة سليمة مفعمة بالفرح والسعادة مع شخص حططت من قيمته واستخففت برأيه وحطّمت جناحيه؟ هل هذا ممكن؟!

٤ ـ إن حقوق زوجتك تخصها هي وحدها وأنت لا يحق لك أبداً أن تنفق من راتبها ومالها الخاص على البيت والعائلة وفي هذا المجال بإمكانك أن تقرأ بدقة الرسائل التي نشرناها من قبل في هذا الخصوص والنصائح والتوجيهات التي قدمناها. فزوجتك بإمكانها وبمحض إرادتها ورغبتها أن تنفق هذا المال في مجال الخير الذي تراه مناسباً. فهي تستطيع أن تهب مالها أو تقرضه للآخرين أو أن تشتري به ما تحتاجه من ملابس وغيرها أو أن تشتري أساور وحلي لأولادها...

وأنت أيتها الأخت الكريمة!

٥ ـ ومن أجل أن لا تتعبي نفسك ولا تصابي بالملل فعليك أن تقللي ما أمكنك ذلك من عملك في خارج المنزل ـ إذا كان عملك هذا ليس ضرورياً ـ وأن لا تحملي بطيختين بيد واحدة لأنهما قد تسقطان من يدك وتتهشمان. عليك أن تحترمي وجهات نظر زوجك وأن توافقيه وتطيعيه وتشكري له طباعه وصفاته الجيدة الحسنة وتذكري محبتك وشكرك وامتنانك له وعليك أن لا تقاطعي زوجك

ولا تستائي منه. قلّلي من طلباتك وكوني قنوعة واعلمي بأن الحياة فيها الكثير من القيود والعقبات والصعوبات وأن لكل إنسان صفات ومميزات خاصة به حيث يمكن تغيير بعض تلك الصفات والخصال أما الباقي منها فلا يمكن تغييره وبالتالي يجب التأقلم والتعايش معه كحقيقة واقعة.

٦ ـ اشكري الله سبحانه وتعالى الذي أنعم عليك بأبناء سالمين معافين أذكياء وابذلا أقصى ما بوسعكما من خلال التعاون والمساعدة فيما بينكما لتعليم وتربية أولادكما وكونا شاكرين وفرحين بذلك، واصلي حياتك مع زوجك بوفاق ونشاط وتذكري دائماً بأن بعض المشاكل والصعاب يجب تحمّلها في سبيل مرضاة الله ومن أجل الحصول على الثواب والأجر الخالد في الآخرة. استمري في المراسلة.

الفصل (٢٤)

القناعة كنز الحياة الثمين

سعادة واستقرار الحياة الزوجية يتحققان في ظل هذا الكنز

تحية لروح الله، إمامنا الفقيد السعيد الخميني الكبير سلام عليه وعلى وصيته السماوية السامية. التي هي صحيفة تضيء طريق الحياة الإنسانية والمصباح الذي ينير درب العزة والكرامة والحرية.

وصية للجميع: لقد أوصى ذلك الإمام الجليل الذي كان يتمتع بالبصيرة والحكمة ـ سلام الله وسلام ملائكته عليه ـ بأن نحيي قلوبنا بذكر الله وأن نتحرك باتجاه معرفة الذات وتحقيق الاكتفاء الذاتي والاستقلال بجميع أبعادهما وجوانبهما...

الوصية الحكيمة والصادقة لذلك الرجل الكبير هي أننا وبإرادتنا وعزيمتنا القوية والصلبة وبجدّنا وسعينا وعملنا المتواصل علينا أن نضع حداً للتبعية للآخرين بمختلف أشكالها وأن نكتشف أنفسنا وأن لا نعقد الأمل على غيرنا وأن نتجنب شراء السلع الاستهلاكية المدمّرة وأن نكتفي ونقنع بما هو موجود عندنا لكي نستطيع أن نصنع بأنفسنا كل شيء. وعلينا أن نبذل ما بوسعنا للحدّ من النزعة الاستهلاكية التي تجعل بلادنا وشعبنا يعانيان من التبعية للأجانب وأن نتحمّل الصعاب والحرمان من أجل الوصول إلى حياة كريمة مستقلّة ومشرّفة ونثبت بأننا نستطيع ذلك ولا سيما سيداتنا المكرمات في كافة أرجاء البلاد حيث أثنى إمامنا العزيز وأشار بتواجدهن في الساحات الثقافية والاقتصادية والعسكرية وقال: «نحن نفخر بأن النساء بمختلف الأعمار متواجدات زرافات ووحداناً في الساحات الثقافية

والاقتصادية والعسكرية ويبذلن الجهد جنباً إلى جنب مع الرجال، أو متقدمات عليهم. على طريق علوّ الإسلام وأهداف القرآن الكريم. ومن منهنَّ قادرات على الحرب يشاركن في تلقي التدريب العسكري الذي هو من الواجبات الهامة للدفاع عن الإسلام والبلد الإسلامي. وإنهنَّ حررن أنفسهن بشجاعة والتزام من الحرمان الذي فرض عليهن بل على الإسلام والمسلمين نتيجة دسائس الأعداء وجهل الأصدقاء بأحكام الإسلام والقرآن»[1].

إذن عليكن أيتها السيدات المكرّمات أن تنتبهن جيداً لكي لا تنزلقن أنتنّ وأفراد أُسركنّ في طريق الاستهلاك وأن تنصحن الآخرين بعدم التمادي في النهج الاستهلاكي وتبتعدن بشكل خاص عن مباهج الحياة وزخرفها لكي لا تغفلن عن الأهداف والأعمال والنشاطات الإنسانية والإلهية السامية حيث إن إمامنا (الخميني تغمده الله برحمته) قد أشاد بالنسوة (في إيران) لالتزامهن وتمسكهن بتلك الأهداف وممارستهن لتلك النشاطات وعليكن أن تحافظن دائماً وأبداً على عزتكن ومكانتكنّ وكرامتكنّ وتتولين الدفاع عن الإسلام وقاعدته إيران من خلال قيامكن بالنشاطات البنّاءة والابتعاد عن النزعة الاستهلاكية وتحافظن بالتالي على سعادة وهناء الحياة الزوجية من خلال السعي والعمل والالتزام بالقناعة والتوفير وتجنب الإسراف والتبذير.

لاحظوا هذه الرسالة:

الرسالة: ... قبل حوالي ثلاث سنوات تزوجت من فتاة ملائكية ورزقنا الله سبحانه وتعالى بنتاً. أعيش مع زوجتي حياة هانئة سعيدة ونحن متفقان ومتحابان إلى أبعد الحدود ولا أعتقد أن هناك زوجين سعيدين متحابين مثلنا. أريد أن أتحدث عن أخلاق زوجتي ومدى فهمها وشعورها وإدراكها لكي تعربوا عن تقديركم لها ولكل السيدات الطيبات الصالحات المحترمات اللواتي يعشن في أرجاء بلادنا... فعندما أراد والداها أن يهيئا لها مستلزمات وأثاث بيت الزوجية استشارتني في الأمر وقالت لي: أريد أن أقول لوالدي ووالدتي بأن يشتريا لي فقط الأشياء الضرورية جداً جداً ولا

(١) المصدر نفسه.

يقترضا من أحد لتوفير تلك الأشياء فيواجها نتيجة ذلك ضغوطاً وصعوبات أريد أن أقول لهما بأن لا يشتريا لي التحف والأشياء الكمالية المستوردة. . .

فوافقت على وجهة نظرها وقلت لها: المهم أن تكون عندنا بعض الأشياء والمستلزمات في الأيام الأولى من حياتنا المشتركة لكي نستطيع أن نعيش. وذكرت لها جهاز فاطمة الزهراء عليها السلام البسيط والمتواضع جداً حيث شجعتها على فكرتها هذه. في البداية رفض والداها هذه الفكرة وقالا: إن ابنتنا ستشعر بالمهانة والمذلة أمام الآخرين وأمام زوجها بالذات ولكن في نهاية الأمر ونتيجة لإصرارنا فقد وافقا على أن يكون جهاز ابنتهما وأثاث بيتها الزوجي بسيطاً ومختصراً وبالتالي فقد اشتريا لنا أشياء ومستلزمات بسيطة للغاية. . . والآن نحن نعيش معاً منذ حوالي ثلاث سنوات بدون أي مهانة أو مذلة، نعيش بنفس تلك الأشياء البسيطة بكل سعادة وهناء وبساطة. إن زوجتي امرأة فاهمة وطيبة وهي قانعة تماماً بدخلي وراتبي المحدود وتشجعني للقيام بمسؤولياتي التي تقع على عاتقي وهي تدير شؤون الحياة العائلية والمنزلية بشكل جيد بل إنها توفر قليلاً من المال.

وحتى الآن لم تطلب مني شيئاً لا أقدر عليه وأحياناً تعترض علي وتقول: لماذا اشتريت الحاجة أو الشيء الفلاني إنه لم يكن ضرورياً، أو إن سعره غالٍ. . .

ماذا نفعل بكل هذا الأثاث وكل هذه الأشياء؟ إذا كانت هذه الأشياء تحقق الحياة الهانئة والهادئة. فإن بإمكاننا أن نتمتع ونحظى بمثل هذه الحياة بأقل ما يمكن من الأثاث واللوازم المنزلية. أما إذا كان الهدف من كثرة الأثاث والوسائل المنزلية هو التظاهر والتفاخر بين الناس فإننا لا نكتفي ولا نشبع مهما اشترينا وازددنا من ذلك الأثاث وتلك الوسائل، لأننا نرى بأعيننا عشرات بل مئات السلع والأشياء الأُخرى التي نتمنى أن نمتلكها ونشتريها ونستمر في هذا السباق إلى المشاهدة والرغبة في الامتلاك والشراء دون أن نصل إلى هدف معين بل إننا نزداد حرصاً وجشعاً يوماً بعد آخر وبالتالي نزداد جوعاً ونهماً دون أن نصل إلى حالة من الاكتفاء والرضى.

إن السعادة والهناء في الحياة تكمن في القناعة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنعم الناس عيشاً، من منحه الله سبحانه القناعة، وأصلح له زوجه»[1].

وهنيئاً لك أيها الأخ الكريم! لأنك استحوذت على هاتين الجوهرتين الثمينتين وأيضاً هنيئاً للذي يذكر المعاد ويعمل ويتصرف استعداداً ليوم الحساب ويقنع بالقليل ويرضى بقضاء الله وبما قسمه له، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: [طوبى لِمَن ذَكَرَ المعاد، وعمل للحساب، وقَنِعَ بالكفاف ورضيَ عَنِ الله][2] وإذا كنا نبحث عن الاستقرار والاستغناء والاكتفاء فعلينا أن نقنع بما هو موجود لدينا. أي أن نكتفي بما نحصل عليه من عملنا وسعينا لكي نشعر في أعماقنا بالرضى والاستغناء ونخمد في قلوبنا جمرة الفقر والحاجة فقد أوحى الله إلى داود عليه السلام: «وضعت الغنى في القناعة وهم يطلبونه في كثرة المال فلا يجدونه»[3].

إن جمال الحياة وروعتها يمكن أن نلمسه ونشعر به من خلال البساطة والقناعة وإن الأمة التي تعيش في ظل العمل المتواصل والسعي والقناعة لا يصيبها الفقر أبداً ولا تصبح أسيرة ولا محتاجة للأجانب وبالتالي فهي تصبح مؤهلة لارتقاء أعلى قمم العزّة والكرامة.

* * *

وفي الختام نقرأ مرة أُخرى هذه العبارة القصيرة التي وردت في الوصية الطويلة التي وجهها إمامنا الراحل للشعب والحكومة عندما قال: «امنعوا دخول السلع الاستهلاكية المدمّرة إلى البلاد واقنعوا بما هو متوفر لديكم حتى تستطيعوا أن تصنعوا وتنتجوا كل شيء بأنفسكم». علينا أن نجعل الروح السماوية الطاهرة لإمامنا (رضوان الله تعالى عليه) تعيش في فرح وسرور من خلال عملنا المتواصل وسعينا وجهدنا من أجل إدارة عجلة البناء ومن خلال التزامنا بالقناعة والعيش بحرية وكرامة. نسأل العلي القدير تعالى أن يعيننا في هذا الأمر.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣٧ الحكمة رقم ٤٤ ط الأعلمي، بيروت.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٨، ص ٤٥٣ باب ٣٣ ح٢١ في حديث الخمسة.

الفصل (٢٥)

القناعة راحة للنفس

قال أبو وائل: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي، فجلسنا عنده فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن التكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أبزار عليه[١]، فقال صاحبي: لو كان لنا في ملحنا هذا سعتر[٢] فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على سعتر، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة[٣].

ماذا تعني القناعة؟ ومن هو الشخص القنوع؟

القناعة هي أن نرضى ونقبل بما هو موجود عندنا ولا نطمع بما هو موجود عند الآخرين. فالشخص القنوع هو الذي يكون راضياً بما لديه نتيجة سعيه وعمله ويقنع بما حصل عليه بجهده وتعبه وعرق جبينه وعصارة فكره ولا يمدّ يد الحاجة والعوز إلى هذا وذاك ولا يتحسّر لدى رؤيته ما عند الآخرين من مال وثروة وجاه. «ثمرة القناعة العز»[٤] لأن الشخص القنوع لا يمدّ يده أمام الآخرين ولا يسألهم. «القناعة مال لا ينفد»[٥] لأنه لا ينظر بعين الرجاء والتمنّي إلى مال الآخرين. ولأنه

---

(١) الأبزار: ما يطيب به الغذاء.

(٢) السعتر: نبات من فصيلة الشفويات طيب الرائحة ويقال له في بلاد الشام الزعتر.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص ١٠٨ ط الأعلمي.

(٤) غرر الحكم ودُرر الكلم للآمدي.

(٥) غرر الحكم ودُرر الكلم للآمدي.

قانع بما عنده فهو يكون راضياً ومسروراً. حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: [الغنى الأكيدُ اليأسُ عمّا في أيدي الناس] ويقول عليه السلام أيضاً: [كفى بالقناعة مُلكاً وبحُسنِ الخُلقِ نَعيماً] ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً: [من شرف الهمة لزوم القناعة ومن عز النفس لزوم القناعة][1] حيث إن قلب وروح الشخص القنوع يسودهما الشعور بالعزة والعظمة والغنى لأن مثل هذا الشخص لا يريد أكثر من حاصل جهده وعمله وبالتالي فهو لا يحتاج إلى الآخرين ولهذا السبب فهو لا يشعر بالفقر والفاقة ولا يغتمّ ولا يحزن ولا يتحسّر ولا يصبح أسيراً للآخرين وعبداً لهم ولا يخرج بالتالي عن إطار العفّة والكرامة والتقوى ولهذا فهو كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يبقى محافظاً على قوة دينه وإيمانه وسلامة جسمه وروحه وتحررهما من قيود الأسر والعبودية للآخرين»[2].

فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى داود عليه السلام: «وضعت الغنى في القناعة وهم يطلبونه في كثرة المال فلا يجدونه»[3].

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: [أنعم الناس عيشاً، من منحه الله سبحانه القناعة وأصلح له زوجه][4].

وإذا ما ابتليت امرأة لا سمح الله بزوج بخيل وطمّاع فإن حياتها ستتحول إلى جحيم يتلف جسمها وروحها. وكذلك الحال بالنسبة للرجل إذا ابتلي لا سمح الله بزوجة غير صالحة وغير قنوعة كثيرة الطلبات.

لاحظوا هذه الرسالة:

الرسالة: . . . إننا نشكل أسرة من أربعة أشخاص. صبي وبنت وزوجتي وأنا، بدأ زواجنا في ظل علاقة حب شديدة، ولكن والدي ووالدتي كانا يعارضان هذا الزواج وكانت لديهما أسباب ودوافع لمعارضة زواجي منها وقد كانا محقين وكانا يدركان حقيقة الأمر جيداً. أما أنا فلم أكن أفهم وكنت عاشقاً

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٨ ص ٤٥٣ باب ٣٣ ح٢١.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.

ومتيّماً بها وقد وافق والداي في النهاية على الزواج منها نتيجة إصراري الشديد. وتم الزواج بالفعل. ومنذ الأيام الأولى بدأت أسمع هذا الكلام من والدة زوجتي... التي تواصل إلى الآن توجيه هذه العبارات وهذا الكلام:

١ ـ ما هذا الخاتم؟ إن خاتم الزواج هذا لا يجلب انتباه الناس. عليك أن تستبدله... صهر فلان اشترى لزوجته خاتماً غالي الثمن. فهل ابنتي أقلّ منها شأناً؟!

١٠ ـ ... أتريد أن تشتري بيتاً؟ أنظر أولاً إلى بيت أختها، عليك أن تشتري لابنتي بيتاً مثله، أمّا بيت فلان فلا نظير له! ما أروعه من بيت؟! ما أجمله من بيت؟!... ولكن واأسفاه فإن...

١٠٠ ـ رأيت زوجة فلان. وكانت ترتدي أروع الملابس وأحسنها؟ هنيئاً لها! زوجها يحبّها كثيراً وهذا ما جعله يشتري لها هذه الملابس... ولكن يا حسرتي فأنت لا تعرف قدر ابنتي! يا للأسف لأن...

١٠٠٠ ـ كم كنت أرغب بأن يكون لي صهر منفق مفتوح اليد وسخي، يحافظ على سمعة العائلة ويحفظ لها ماء وجهها وكرامتها. هنيئاً لمريم ما أسعدها! لأن صهرها جوهرة يتمتع بالفهم والإدراك! فهو يسافر كل يوم مع زوجته ويأخذها معه في مختلف جولاته وزياراته ويأتي لها دائماً بالهدايا، ما أروعها من هدايا؟!... أمّا أنا المسكينة فـ...

وبالطبع فإن زوجتي تلقت عند والدتها دروساً في عدم القناعة والإكثار من الطلبات والإسراف والتبذير وهي بذلك لا تقل شيئاً عن والدتها في هذا المجال، إن طلبات زوجتي ليست واحدة ولا اثنتين ولا عشرة ولا مائة لكي أستطيع أن أذكرها لكم. فعلى سبيل المثال عندما أشتري فاكهة للبيت فإنها تقول لي: هل تفكر أن أهلي وأقربائي شحاذين حتى تشتري مثل هذه الفاكهة وأضعها أمامهم؟ هيا أسرع إذهب واشترِ فاكهة جيدة وائتِ بها إلى البيت فقد ذهب ماء وجهي... وبهذا فإن زوجتي تنظر دائماً إلى فم أمّها الواسع، بدل أن تنظر إلى جيبي وإلى إمكانياتي المادية... وهنا لا بد أن

نقول بأن مثل هذه المرأة التي تعرّض نفسها وتعرض زوجها بهذا الشكل للتكلّف والصعوبات إنما تجعل الحياة مرّة في نظرها وفي نظر أعزائها وأفراد أسرتها وأن مثل هذه «الحماة» (والدة الزوجة) تجعل الرجل يندم على الزواج. والإمام الصادق عليه السلام يصف مثل هؤلاء النساء بالقول: [لعنة الله ثم لعنة الله على تلك المرأة التي تؤذي زوجها وتغضبه وتحزنه][1]. الرسول صلى الله عليه وآله يشير إلى مثل هؤلاء النساء المبذّرات ويقول: «لا تطيعوهنّ أبداً»[2] لأن طاعة الشخص المسرف المبذّر تكون نتيجته الندامة.

ويواصل هذا الأخ الكريم رسالته فيقول:

الرسالة: ... وبدافع من السذاجة والبساطة والهيام بها فعلت كل ما طلبوه منّي ووفّرت لهم كل ما أرادوه وكلّما كنت أكثر من الشراء والإنفاق والطاعة كانت تزداد طلباتهم وكلّما كنت أطيعهم وأسمع كلامهم أكثر كانوا يزدادون تذمراً وبطراً.

... والآن فهمت لماذا كان أبي وأمّي يعارضان هذا الزواج.

أيها الأخ الكريم. لعلك كنت تتصور بأنك تستطيع من خلال طاعتك لهم أن تكسب رضاهم وتجعلهم يرتاحون إليك ولكن حبذا لو كنت تعلم: بأن الذي ينظر إلى رزق الآخرين وينمّي في قلبه الشعور بالحسرة والرجاء، مثل هذا الشخص لا يشبع أو يرضى أبداً. إن الشخص الحريص والطمّاع الذي ينظر إلى ما عند الآخرين ويهوى ما لديهم يشعر في كل لحظة بآلاف المتطلبات ويعرب باستمرار عن امتعاضه وعدم رضاه وتذمّره ويزرع في قلبه ونفسه آلاف الأنواع من بذور الغمّ والهمّ والتأسف والندم ولا يشعر أبداً بالرضا والارتياح والآن فإنك تتأسف وتندم، ولكن ما فائدة هذا الندم؟!

الرسالة: ... إن كثرة طلباتهم وتبذيري الزائد عن الحدّ وإسرافي وتماديّ في تلبية

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣ مضمون كلام الإمام الصادق عليه السلام.
(٢) مضمون كلام الرسول صلى الله عليه وآله ـ راجع كتاب «من لايحضره الفقيه».

طلباتهم جعلت منّي في الوقت الحاضر شخصاً، عصبيّ المزاج قليل الصبر أعاني من الكآبة بعد أن كنت في السابق شاباً نشطاً قوياً. حيث إني مضطر الآن لاستعمال الأقراص المهدئة للأعصاب وعندما لا أستعمل هذه الأقراص أبدأ بالشجار والعراك مع زوجتي وأولادي وأنا أرى أن آمالي في أن تكون لي زوجة مخلصة وحنونة متفهّمة، قد ذهبت أدراج الرياح وإني الآن متورط أشعر بالندم والبؤس، إذا أردت أن أطلقها، فماذا أفعل مع أطفال ليست لديهم أمّ؟! وإذا أردت أن أعيش معها، فماذا أصنع مع طلبات أمّها؟! أمها الّتي تحقرني في كل يوم وتتبجح أمامي بصهرها الآخر وكأنها تطعنني بخنجر في قلبي... أرجوكم أن تقدموا النصح لزوجتي وقولوا لها بأن لا تدمّر حياتها وحياتي وحياة أطفالها. انصحوها بأن لا تصغي إلى كلام أمّها ولا تنظر إلى أسلوب حياة هذا وذاك وأن تضع برنامجاً معيناً لنفقات البيت وأن تسير على نهج القناعة في الحياة وتعيش معي بتفاهم ووئام وصدق وإخلاص. فإني قد تعبت من كل هذه الديون التي عليّ والمشاكل التي تحيط بي وضقت ذرعاً بكل تلك الطلبات وتلك الانتقادات اللاّذعة وأساليب التحقير التي أواجهها.

أيها الأخ الكريم، قبل أن أقدم النصيحة لزوجتك وقبل أن أقول لها بأن لا تصغي إلى كلام أمّها عليّ أن أوصيك أيها الأخ المبتلى والذي تراكمت عليه الديون بأن لا تصغي إلى كلام زوجتك ولا تستجيب لكثرة طلباتها ولا تكن أسيراً وعبداً لها ومتيماً بها ولا تسلّم زمام أمور حياتك وعائلتك إلى زوجتك وأمّ زوجتك وعلى أية حال عليك أن تعيد حياتك العائلية إلى مجراها الطبيعي من خلال الرأفة والمحبّة مع شيء من الحزم والشدّة إذا تطلب الأمر ذلك. فإن أمامك طريقاً صعباً للوصول إلى بستان القناعة. عليك أن تسلك هذا الطريق بخطواتٍ ثابتة وعزيمة راسخة قوية وتمسك بيدها وتأخذها معك وعندما تصل معها إلى بستان القناعة، فإنك لا تشاهد أي أثر للتعب النفسي وللضغوط العصبية والنفسية عندها ستعيشان معاً حياة مليئة بالفرح والنشاط.

عليك أن تقول لزوجتك: «إذا أردت أن تكوني راضية وسعيدةً فعودي إلى بستان القناعة ومزرعة السعادة» وهي في طريقها إلى بستان القناعة «عليها أن ترغم

نفسها وتلزمها على القناعة لكي تتعود على هذه الصفة»[1]. ولتنظر إلى من هم دونها وأقلّ منها وأن تتجنب النظر إلى ما عند الآخرين ولا سيّما الأثرياء والمرفهين من الناس.

* * *

شكا رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه وقال: علمني شيئاً أنتفع به، فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك[2].

نسأله تعالى أن يطهر قلوبنا من طفيليات الحرص والطمع ويفتح أمامنا بستان القناعة والشكر حيث لا وجود لأية أشواك وأي أذى في ذلك البستان الذي هو جنة الخُلد.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول: «بأن على الإنسان أن يرغم نفسه ويحثها على القناعة لكي تتعود على ذلك».

(٢) الأصول من الكافي ج٢ ص ١٤٧ باب ٦٣ ح١٠.

الفصل (٢٦)

الأم مقدسة وعزيزة. الأم التي...

كلمة الأم، عزيزة ومقدسة. لأن قلب الأم هو ينبوع لأجمل وأعذب وأنقى العواطف الإنسانية، قلب الأم يفيض بالمحبة الإلهية وهي التي تغذي طفلها من هذا الينبوع وتمنحه الحياة. إن كلمة الأم هي كلمة عزيزة وجليلة لأنها تربي الإنسان والإنسانية، فلولا وجود الأم لقضت أحداث الزمن على هذا الإنسان وبالتالي على البشرية بأسرها. فالأم هي التي ضحّت بنفسها من أجل أن يعيش طفلها بسعادة وينمو ويكبر وهي التي تشقى وتسهر الليالي وتتحمّل أنواع المصاعب والعناء لكي تحافظ على طفلها من بلايا الدهر وحوادث الأيام وهي التي تبقى جائعة ظمآنة من أجل أن يأكل طفلها ويشرب ويعيش مرتاحاً والأهم من ذلك كله، فهي تستلذّ بكل هذه التضحية وهذا البذل والعطاء والمحبة والخدمة والإيثار وتشعر بالسعادة والنشاط والفرح. فهل يجب أن نقول للأم: «عليك أن تحبّي طفلك»؟ كلا! لا ضرورة أن نقول لها ذلك، لأن مشاعر وأحاسيس الأم ومحبتها لأولادها هي أمور غريزية أودعها الله سبحانه وتعالى في قلب الأم. المحبة التي في قلب الأم هي قانون الخلقة الحكيم، وإن الله العليم الحكيم جعل هذا الينبوع وهذه العين الفياضة في قلب الأم وصدرها لكي يرضع طفلها مع حليبها وينمو مع مشاعر العاطفة والمحبة والنظرة والبسمة، أي أن ينمو جسمه وتتسامى روحه وتسكن وتهدأ. حتى الحيوانات التي لا تشاهد بينها مظاهر التعاون وأواصر الصداقة والمحبة ـ فإن لديها غريزة الأمومة حيث إن أنثى الحيوان هي أم حنونة ومضحية. إذن فليست هناك ضرورة بأن نوصي الأم أن تظهر المحبة لطفلها وأولادها. ولكن من الضروري أن نوصي الأمهات لكي يعرفن قدر هذه العاطفة والمحبة الإلهية

ويثمن هذه الجوهرة السماوية بأن يظهرن ويبدين هذه العاطفة والمحبة تجاه أولادهن من خلال تقبيلهم والنظر إليهم والابتسام في وجوههم والتقرّب إليهم وأيضاً من خلال الكلام والعمل وعليهنّ أن يزدن من محبتهن تجاه أولادهن. حيث إن رسول الإسلام العظيم ومربّي الإسلام المبعوث من قبل الله قد أوصانا بإظهار المحبة لأولادنا وصغارنا وقال: [أكثروا من قبلة أولادكم فإن لكم بكلّ قبلة درجة في الجنّة مسيرة خمسمائة عام][(١)].

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: [إنَّ الله ليرحم العبد لشدّة حبّه لولده][(٢)].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل الحسن والحسين عليهما السلام. فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت أحداً منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: [من لا يرحم لا يُرحم][(٣)]. وكان النبي صلى الله عليه وآله في كل صباح يقبل أولاده وأحفاده وكان صلى الله عليه وآله يقول ما مضمونه: «إذا أحببتم أحداً فصارحوه بمحبتكم وأظهروا محبتكم له لأن ذلك يقوي العلاقات بين الأفراد ويزيد من المحبة ويخلق الألفة والصفاء والطمأنينة»[(٤)].

ومن الضروري أن نوصي الأم بأن تظهر المحبّة بالشكل الصحيح وبالقدر اللاّزم لتروي بذلك ظمأ أولادها (في مرحلة الطفولة وفي مرحلة الكبر) وتجعلهم يشعرون بالاستقرار والهدوء وتنمّي في داخلهم براعم التقدم والرُقيّ. يجب على الأُم أن تنتبه إلى أن النقص في المحبة وفقدان العاطفة هو أكثر ألماً من الجوع وأكثر حرقة من الظمأ، إن فقدان العاطفة والمحبة تجاه الأبناء يؤدي إلى ذبول براعم النمو واضمحلال دعائم الشخصية عندهم ويجعلهم يصابون بالكآبة والخمول. لاحظوا الرسالة التالية:

الرسالة: . . . تحية لكم ولجميع الإخوة والأخوات الذين يجدون ويسعون من أجل

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٤ ص ٩٩ وسائل الشيعة الجزء ٢١ ص ٤٨٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٥٨٣.

(٣) وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٤٨٥.

(٤) مستدرك وسائل الشيعة ج٢ ص ٦٧.

تحقيق مستقبل أكثر إشراقاً ووطن أكثر تقدماً وازدهاراً وشعب أكثر سلامة ونشاطاً وحيوية. قبل أن أدخل في صلب الموضوع أريد أن أعرف عن نفسي. أنا فتاة شابة إسمي... أبلغ من العمر... وأسكن في مدينة... منذ أن عرفت الوعي وأسرتي تعاني من التشتت ويسود أسرتي جوّ من التربية الخاطئة غير الصحيحة. أشعر بشيء في أعماقي يقض مضجعي ويعذبني وكأني أشعر بأن شيئاً ما ينقصني في وجودي ولكني كنت عاجزة عن فهم ذلك الإحساس المؤلم، فهماً واضحاً حتى أدركت بعد فترة بأنني ـ نتيجة للخلافات الموجودة بين والدي ووالدتي وانفصالهما عن بعضهما والنتائج السيئة التي ترتبت على هذا الانفصال ـ إنسانة مريضة نفسياً أعاني من التعب والكآبة. إن تشتت الأسرة له بالتأكيد عواقب ونتائج أُخرى أكثر مرارة وأسىً وقد ذقت بنفسي جميع هذه المآسي والصعوبات كلها وبشكل مستمر ومتواصل...

وتمر الآن... سنوات على طلاق والدتي وقد تحولت من طفلة بريئة وطاهرة إلى شابة منهكة كئيبة وفي نفس الوقت متمردة وغاضبة... اسمحوا لي أن أتحدث قليلاً عن والدتي: إن والدتي تنظر أكثر ما تنظر إلى نمط حياة خالتي (أختها) وكانت تطلب من والدي ـ وهو رجل كادح ـ باستمرار نفس الأشياء التي تتمتع بها أختها، كالسفر وحضور الحفلات وتبادل الدعوات كما كانت والدتي تطلب من والدي أن يشتري لها نفس الملابس والمجوهرات والحلي التي كانت موجودة عند أختها وكانت والدتي تشكو باستمرار من العيش مع والدي وتعرب عن تذمرها وعدم رضاها وكانت تقول: لماذا تملك أختي كل تلك الأشياء ولا أملك أنا شيئاً منها؟! هل أنا أقل منها شأناً؟! وكانت والدتي تتحسّر وتحترق لأن أختها تعيش في المستوى الفلاني وأن زوجها يعرف قدرها... لقد تخلّت والدتي عن جميع واجباتها ومسؤولياتها وكانت تمتنع حتى عن إظهار أقل قدر من المحبة والحنان لولديها ولا سيما أنا التي كنت ابنتها... وأخيراً طلبت والدتي الطلاق وذهبت وتركتنا وحيدين وبالطبع فهي لم تحقق حتى الآن ما كانت تصبو إليه، بل...

قبل كل شيء أقول هل من الصحيح أن نطلق تسمية الأم، هذه التسمية المقدسة على هذه المرأة الشيطانية؟! والنقطة الأُخرى هي أن النظر إلى ما عند الآخرين وإلى أسلوب معيشتهم والتحسّر على ما يملكونه من ثروة ومال وحياة مرفهة، يُعمي بصيرة الإنسان ويجعل ينبوع العاطفة والمحبة لديه يجف وينضب وتكون نتيجة ذلك أن مثل هذه المرأة ومن أجل أن تحقق أحلامها وآمالها في الوصول إلى الثروة والذهب والمجوهرات تنزع عن صدرها جوهرة الأمومة المقدسة الفريدة من نوعها وتنقض عهد الزواج المقدس وتتخلى عن رباط الزوجية وتحطّمه وتنسلخ عن محيط أسرتها وأولادها وتترك أولادها وأطفالها الأبرياء وحيدين ليس لهم من يحميهم ويأويهم وتتجه إلى صحراء الجفاء القاحلة أملاً في الوصول إلى سراب الماء وفي نهاية المطاف تبقى مثل هذه المرأة وحيدة منهكة وحزينة لا مأوى لها. يقول رسول الله ﷺ: [من لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس طال همّه، ولم يشف غيظه. ومن لم يعرف أن لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب قصر أجله ودنا عذابه]. يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿ولا تمدنّ عينيكَ إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى﴾**[1].

فمثل هذه المرأة ومن أجل أن تحقق آمالها وتطلعاتها إما أنها تضغط على زوجها وتحمّله أكثر من طاقته وتنغص بذلك حياة الأسرة وتجعلها مرّة. وإمّا أنها تنسلخ وتبتعد عن زوجها وأولادها وبيتها وفي كلتا الحالتين فهي تثير غضب الجبّار، حيث يقول رسول الله ﷺ: [من كانت له امرأة ولم توافقه ولم تصبر على ما رزقهُ الله وشقت عليهِ وحملته ما لم يقدر عليه لم يقبل الله لها حسنة تتقي بها النار وغضب الله عليها ما دامت كذلك][2].

وقال ﷺ: «خير نسائكم الولود الودود الستيرة العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها الحصان مع غيره، التي تسمع له وتطيع أمره، إذا خلا بها بذلت ما أراد منها»[3].

---

(١) تفسير الصافي، ذيل الآية ١٣١ سورة طه.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠٣.
(٣) بحار الأنوار، ج١٠٣ ص ٢٣٩ باب ٦٠ ح٥٠.

وحبذا لو قرأت والدتك هذه السطور وهذا الكلام القيم لرسول الله ﷺ لتدرك وتعي الإحساس المؤلم بالتشرّد والضياع الذي تشعر به ابنتها وحبذا لو استمعت إلى نداء الضمير وعادت إلى بيتها معززة مكرّمة لتضيء أكنافه وكل زاوية من زواياه بوجودها ومحبتها. وتبلسم جراح أولادها ويا حبذا لو سمعت هذه الأم ما تقوله ابنتها:

بقية الرسالة: . . . نعم! إن الإحساس الوحيد الذي يؤلمني هو إحساسي بالتشرد والضياع وفقدان المحبّة ولا سيما المحبّة من جانب والدتي بالذات. أمّا والدي فرغم أنه رجل طيب وكادح فهو منهمك في العمل والسعي، حيث يخرج من البيت في الصباح الباكر ويعود في وقت متأخر من الليل وهو تعبان ومنهك، وبالتالي فنحن نعيش وحيدين تماماً. . . في البداية لم أكن أهتم بهذه التغييرات وبهذا القلق والاضطراب لأني كنت أتصور أن بالإمكان العيش بدون أم وبدون محبتها وحنانها وعطفها. ولكن الآن أرى بأن نفسيتي وشخصيتي قد تحطّمت ووصلت إلى قمة اليأس والأسى، لقد حلّ في وجودي الضعف وعدم الإرادة بدل الإيمان والسعي والعمل. . . أشكركم كثيراً على قراءتكم لرسالتي وإصغائكم لكلامي وإني أنتظر توجيهاتكم وإرشاداتكم لأني ليس لي شخص حنون ومخلص أتحدث معه وأستشيره لا في داخل البيت ولا في خارجه. . .

يا حبذا لو كان هناك شخص مصلح وإنسان واع حلّال للمشاكل (أحد الأقارب أو الجيران أو أحد الأصدقاء) يخطو في طريق الخير ويقوم بعملية إصلاح ذات البين لأن: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»[1].

أما أنت أيتها الأخت الكريمة المرهفة الإحساس والمشاعر:

١ ـ لا تسمحي أبداً لليأس والقلق أن يتغلّبا عليك. اكتشفي القدرات والإمكانات التي أودعها الله فيك وكوني واثقة من أنك ومن خلال تلك القدرات والإمكانات، بإمكانك التعويض عن كل ذلك الجفاء وعدم المحبة من جانب

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٥ رقم ٢٨٥ ط الأعلمي ـ بيروت.

والدتك. استعيدي بالاتكال على الله وألطافه الخفية شخصيتك الإنسانية السامية وابني مستقبلك بأروع وأعظم ما يمكن وكوني على ثقة بأن الصعوبات التي تمرين بها هي صعوبات عابرة وستمرّ مرّ السحاب وعندما تتزوجين رجلاً أميناً وفياً وعاقلاً فإن كل هذا القلق سيتحوّل إلى نشاط وفرح. اتكلي على الله واطلبي منه العون وكوني على ثقة بأن الله الذي خلقك وسوّاك لن يتركك وحيدة دون مأوى ولا معيل.

٢ ـ لا تبقي وحدك في المنزل، اشغلي نفسك بعمل مفيد، ترددي على أحد المساجد النشطة القريبة من منزلك وأقيمي علاقات تعارف مع رواد هذا المسجد من الأخوات المؤمنات ولا سيما مع الأخوات التعبويات اللواتي يقمن بتقديم الخدمات والمساعدات للآخرين. عليك أن تصادقيهن وترافقيهن وأن تبني حياتك ومستقبلك بقلب مفعم بالأمل والرجاء بالله سبحانه وتعالى وبكل ثقة واطمئنان.

* * *

كما أوصي أخواتي العزيزات في المساجد أن يستقبلن مثل هؤلاء الأخوات اللّواتي يأتين إلى المساجد دون سابق معرفة وأن يرحبن بهنّ في صفوفهن بمزيد من المحبّة ويعملن على مساعدتهن وحل مشاكلهنّ والاهتمام بهن.

وأنت أيتها الأخت الكريمة التي كتبت لي هذه الرسالة، أعرب عن شكري وتقديري لك وأرغب في استلام رسائل أُخرى منك في المستقبل ـ أتمنى لك التوفيق.

الفصل (٢٧)

إن أداء الواجب فخر، تعرفوا على واجبات الزوجة والزوج تجاه بعضهما البعض

«من الضروري قراءة هذه الرسالة، اقرأوا هذه الرسالة فوراً». هذه العبارة ـ بعد السلام والتحية ـ كتبت خلف تلك الرسالة التي وصلتني من هذا الأخ الكريم. فاستجبت لطلبه وفتحت الرسالة وقرأتها:

الرسالة: ... إنها فرصة جيدة أن أراكم عن كثب. لدي عدة انتقادات لزوجتي ألخّصها كما يلي:

١ ـ زوجتي معلّمة... وهي مثقفة ومدركة فهي تدرس الدين والعلوم الدينية للتلاميذ ولكنها لا تلتزم بالقضايا والمسائل الشرعية. حيث تخرج من البيت دون إذني وتذهب إلى أي مكان تشاء وعندما أعترض عليها تقول: إنها إهانة لي أن أستأذن منك وبعدها تهجرني وتقاطعني لعدة أيام وتحوّل حياتي إلى جحيم.

بالله عليكم قولوا لمثل هؤلاء النسوة أن يراعين حال أزواجهن ولا يتسببن في إزعاجهم...

٢ ـ إن والدتي على قيد الحياة وأنا ابنها الوحيد ويجب علي أن أداريها وأهتم بها ولكن زوجتي تكرر عليّ عشر مرات يومياً وتصرّ عليّ مائة مرة أن أترك والدتي تعيش في مكان آخر وليس معنا في نفس البيت. فماذا أفعل في هذه الحالة؟ هل من الممكن أن أطرد والدتي من البيت؟

٣ ـ وفي نفس الوقت فإن والدتي تشعر بأنها يجب أن تسيطر على زوجتي

ونفرض هيمنتها عليها. إن هذه القضية تؤلمني كثيراً. لا أدري هل عليّ أن أسمع كلام والدتي أم كلام زوجتي؟

٤ - إن زوجتي لا تهتم بمظهرها ونظافتها الشخصية التي هي أمر ضروري لكل امرأة. فهي لا تصفف أو تمشط شعرها ولا تعتني بملابسها... وكلما أنبهها إلى ذلك لا تسمع كلامي وتمتعض وتتأثر منّي. حقاً إذا غضبت امرأة على زوجها ولم تؤدِ حقه، ما حكمها؟! بالله عليكم قولوا شيئاً تسمعه زوجتي وتكف عن مقاطعتها لي وغضبها عليّ...

أخوكم...

إن ميثاق الزواج المقدس ينقذ الفتاة والشاب من حياة الوحدة والتشتت ويجعلهما شريكين في الحياة ويحدد لكل منهما واجبات وحقوقاً معينة وضعها الله سبحانه وتعالى وهو خالق المرأة والرجل ويعرف جميع خصائصهما الجسمية والنفسية. فالشاب الذي يقدم على الزواج يتعهد ببذل ما في وسعه لتأمين نفقات ومتطلبات زوجته من الغذاء والملبس والمسكن وغير ذلك.

كما أن الزوجة تتعهد بتأمين الراحة والاستقرار لأفراد الأسرة وأن لا تخرج من بيتها إلاّ بموافقة زوجها وأن تتعرف على متطلبات زوجها النفسية والعاطفية وتلبيها. وعلى الرجل (الزوج) أن يعمل كما يعمل الخادم ويأتي بنتائج جهده وعمله إلى البيت وينفقه من أجل تأمين الراحة والحياة المرفهة لزوجته وأولاده. فهل هذا العمل وهذه الخدمة هي إهانة وتحقير لشخصية الرجل؟ كلا! إنها ليست إهانة للرجل، بل هو التزام من جانبه ومسؤولية وضعها الباري سبحانه وتعالى على عاتقه من أجل الحفاظ على كيان الأسرة والمحافظة على كرامة المرأة وسلامتها وعفّتها. إن العمل بهذه الوظيفة الإلهية لا يعتبر إهانة للرجل بل على العكس مفخرة وسعادة له. فالله سبحانه وتعالى يعرف أين تكمن سعادة البشر وأين يكون صلاحهم.

فكما أن تقديم الخدمات لا يعتبر إهانة للرجل. كذلك فإن حصول المرأة على إذن الزوج وموافقته للخروج من المنزل لا يعتبر إهانة لشخصية المرأة بل أداء لواجب إلهي، ومفخرة لها. إن محيط الأسرة ليس فندقاً يستطيع أي واحد من

أفرادها أن يدخل إلى البيت ويغادره دون حسيب أو رقيب. إن المرأة إذا خرجت من بيتها دون إذن زوجها فإن شؤون البيت والأسرة لا تنتظم وثقة الزوج بعفة ونزاهة زوجته لا تتحقق ولا تستتبّ، كما أن الأطفال الذين هم نساء ورجال المستقبل لا يترعرعون ولا يتلقون التربية بأمانة وبالشكل المطلوب. (انتبهوا جيداً إلى هذه النقطة).

* * *

أيها الأخ الكريم، لقد ذكرت في رسالتك بأن زوجتك امرأة مثقفة ومتعلمة سيّما وأنها أستاذة العلوم الدينية، إن هذا يجعل مسؤوليتها أمام الله جسيمة. هل تعلم زوجتك أن الإمام الصادق عليه السلام قال: [أيّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم يتقبّل منها صلاة حتى يرضى عنها][1].

وهل تعلم زوجتك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: [أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت قط من وجهك خيراً فقد حبط عملها؟][2].

وعن علي بن جعفر في كتابه عن أخيه قال: سألته عن المرأة المغاضبة زوجها هل لها صلاة أو ما حالها؟ قال: [لا تزال عاصية حتى يرضى عنها][3].

وعن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ فقال صلى الله عليه وآله: [أكثر من ذلك] قالت: فخبرني عن شيء منه، قال: [ليس لها أن تصوم إلاّ بإذنه ـ يعني تطوعاً ـ ولا تخرج من بيتها بغير إذنه وعليها أن تتطيب بأطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتتزين بأحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقها عليه][4].

* * *

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ١١٣ باب ٨٠ ح١.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ١١٥ باب ٨٠ ح٧.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ١١٥ باب ٨٠ ح٨.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ١١٢ باب ٧٩ ح٢.

أما أنت أيها الأخ الكريم! فعليك أن تعيش مع زوجتك في إطار من المودة والمداراة وأن تعاملها برفق ولطف ومحبّة وفي نفس الوقت تكون مراقباً لها ورقيباً عليها وليحدُك الأمل بأن تتعرف على واجباتها وتستجلب رضاك لأنها امرأة عاقلة ومدركة. كما أن على زوجتك أن تنتبه إلى هذه النقطة وهي أن العلم الذي لا ينير الطريق لصاحبه ولا يوضع موضع التنفيذ ولا يستفيد منه صاحبه في حياته العملية يلقي غشاوة على القلب ويبعد الإنسان عن الباري سبحانه وتعالى.

نختصر كلامنا بالدعاء لي ولك بأن يوفقنا الله للعمل بشكل أفضل بما نعرفه من خير وإحسان وأترك التطرق إلى سائر الأمور التي وردت في رسالتك إلى مراسلاتنا القادمة بإذن الله تعالى.

الفصل (٢٨)

البشاشة وحسن الخلق هما جمال الإنسان

الرسالة: السلام عليكم... شكراً لكم ولجميع المعنيين ومعدّي برنامج أسس التعامل بين أفراد الأسرة الذين يعلمون الآخرين أسلوب العيش والتعامل مع بعضهم البعض ولا سيّما بين أفراد الأسرة الواحدة. أتمنى لكم التوفيق جميعاً راجياً منكم الإجابة سريعاً على رسالتي هذه:

لأتحدث أولاً عن نفسي: إن لي طبيعة أو أخلاقاً سيئة. فعندما أنزعج من أمرٍ ما في خارج البيت فإنه ينعكس ويظهر على ملامحي إلى حد بعيد إذ لا أستطيع أن أظهر الفرح والسرور على وجهي وأن أضحك وأتبسّم. وعندما أدخل إلى البيت وأنا على هذه الحالة من الإنزعاج والتأثر، أبدو عبوساً مكفهر الوجه والملامح عند ذلك تستقبلني زوجتي بالقول: «مرة أخرى عبّست وجهك بمجرد دخولك إلى البيت؟ ما الأمر؟ ماذا حدث؟ ما ذنبنا نحن وأنت منزعج ومتضايق بهذا الشكل؟» الأمر الآخر الذي يعذبني دائماً ويقضّ مضجعي هو أنه عندما أغضب أحياناً... تصدر مني بصورة لا إرادية عبارات وكلمات غير لائقة علماً بأني لا أريد أن أتكلم بمثلها إني أخبركم بهذا الأمر لعلّكم تعثرون لي على حل لهذه المشكلة. أمّا زوجتي فإنها سيدة وأم طيبة وحنونة بالنسبة لأولادي ولكن...

توضيح وتساؤل: السلام عليكم، أشكر لك تقديرك، ورداً على رسالتك القيمة أود أن أشير إلى النقاط التالية:

أ ـ أهنئك لأنك استطعت أن تنظر إلى حالتك وترى بعض عيوبك وأن تبادر

إلى استشارة الآخرين لإصلاح عيوبك تلك. جيد أن تعلم بأن التعرف على عيوب الذات هو البداية لأي عمل نقول به لإصلاح أنفسنا وهو من أنفع أنواع الوعي والإطلاع[1]. «إن مثلك من يكون مطلعاً على عيوبه فإنه يقرر إصلاح نفسه وبالتالي فهو يلجأ إلى معاقبتها وتوبيخها»[2]. وعلى العكس من ذلك فإن من أسوأ العيوب وأقبحها أن يغفل الإنسان عن عيوبه ويظن نفسه إنساناً متكاملاً بدون عيوب وفي نفس الوقت يبحث عن عيوب الآخرين حيث يبحث ويفتش عن أصغر وأقلّ زلة أو هفوة تصدر عن جيرانه أو عن أحد أفراد أسرته أو زوجته وهو لا يرى عيوبه وزلاته الكبيرة ولا يهتم بها[3]. مثل هذا الإنسان تزداد عيوبه وأخطاؤه يوماً بعد يوم حتى يغرق في النهاية في مستنقع عيوبه ويختنق ويبتلى بعذاب جهنم الأبدي فمثل هذا الإنسان هو من أسوأ الناس»[4].

إن الإنسان لا يكون إنساناً طالما لم يؤد أعماله عن وعي وبصيرة وطالما لم يفكر بنتيجة ما قام به ولم يحاسب نفسه ولم يحاول التخلص من عيوبه، فمثل هذا الشخص لا يكون إنساناً بل حيواناً وحشرة لاسعة تحطّ على جراح الآخرين وتلسعهم وتؤذيهم. ما أروع أن نتعلم منك أيها الأخ الكريم وأن نتحدث أولاً عن عيوبنا بدل أن نشير إلى عيوب الآخرين حيث يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من أراد أن يتحدث ويفتش عن عيوب الآخرين فليتحدث ويفتش أولاً عن عيوبه»[5].

قيمة حسن الخلق وضرورته:

ب ـ في البداية يجب أن أتحدث عن حسن الخلق: فالإنسان بطبيعته وبفطرته يحب الجمال والنظر إليه ويهرب من القبح حيث إن الوجه الضحوك المتفتح السرائر هو أحد أفضل المناظر الجميلة بل أحبّها إلى النفس. الإنسان

(١) تحف العقول عن الإمام الصادق عليه السلام.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.
(٣) ميزان الحكمة، مضمون حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.
(٥) غرر الحكم، مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

بطبيعته يتلذذ لرؤية البسمة والوجه الضحوك ويكره الوجه العبوس الحزين بل يتنفر ويفرّ منه. إنَّ الله يغضب على من يستقبل أصدقاءه وأهله وذويه بوجه عبوس مكفهر[١]. وعلى العكس من ذلك فإن الله يعطي الأجر والثواب لمن يستقبل الآخرين بالابتسامة والوجه المرح المتفتح الأسارير[٢] طبيب النفوس النبي الأكرم ﷺ يقول: «استقبلوا المؤمنين والآخرين من الناس (الأصدقاء والأقارب ولا سيّما عيالكم وزوجاتكم وأولادكم) برحابة صدر وبوجه مرح وباسم[٣]، فإن البشاشة وحسن الخلق يزيدان من أواصر المحبة والمودّة[٤] ويجلبان الفرح والسرور والنشاط ويزيلان الأحقاد والسخيمة والضغائن من القلوب[٥]، إن المؤمن عليه أن يخفي حزنه وتأثره ويواجه الآخرين ببشاشة ووجه مرح مبتسم[٦].

لقد كان النبي ﷺ في أغلب الأوقات بشوشاً مبتسماً وعندما كان يتحدث مع أحد كان يبتسم بين الحين والآخر[٧]. إن سيرة رسول الله ﷺ هي مثال ونموذج حسن علينا أن نقتدي به».

ولكن كيف يمكننا أن نكون بشوشين مرحين؟

مجرد أنك انتبهت واعترفت بأن أخلاقك هذه ليست أخلاقاً جيدة. يعني أنك قطعت معظم الطريق واقتربت من حالة التحسّن. إعلم بأن الحياة تعني مواجهة المشاكل والصعاب وتعني أيضاً اجتياز الأمواج العاتية والعواصف الهوجاء وإن ربّ الأسرة ورجل المنزل الذي يخرج من البيت لتأمين قوته ومعاشه يواجه بالتأكيد العشرات من المشاكل والعقبات. فالذي يعيش في هذه الدنيا يجب أن يقبل بهذه الحقيقة وهي أن الحياة فيها صعود ونزول وليل ونهار وظلام ونور وشدة ورخاء

---

(١) ميزان الحكمة، مضمون حديث رسول الله ﷺ.
(٢) أصول الكافي مضمون كلام الإمام الصادق عليه السلام.
(٣) أصول الكافي، مضمون كلام الإمام الصادق عليه السلام.
(٤) غرر الحكم، مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) مكارم الأخلاق.

علينا أن ندخل إلى معترك الحياة والعمل بقوة الفكر والتدبير ونبذل جهدنا وسعينا ونتوقع كل أنواع المشاكل والمستجدات وعلينا أن نسعى لحلها وأن نجتاز عواصف وأمواج الأحداث بوعي ويقظة وذكاء. ولنعلم بأن الإنسان يتمتع بطاقة وقدرة هائلة إلى درجة أنه يستطيع أن يواجه يومياً مئات المشاكل الكبيرة والصغيرة وأن يعمل على حلّها وإزالتها من طريقه دون أن يظهر عليه أي قدر من التأثر وبإمكانه من خلال تعامله المستمر مع الآخرين وتمارينه المتواصلة أن يضاعف من قدرته على التحمّل ومواجهة الصعاب. وعندما تعرف قيمة حسن الخلق وضرورته وتنتبه إلى هذه الأمور وتدرك قدرتك التي أودعها الله تعالى فيك. فإنك لا تعود تحزن أو تحمل همّاً وإذا ما اتفق وأصبت بحالة حزن وتأثر شديد فإنك تستطيع أن تخفي ذلك بشكل جيد لدى دخولك المنزل وأن تلتقي بأهلك وعيالك بوجه مرح وبأسارير متفتحة.

هل تدخل إلى منزلك باستعجال؟

إذا كان الجواب نعم، فعليك من الآن فصاعداً أن تتمهل قليلاً لدى محاولتك دخول المنزل. انتظر قليلاً خلف الباب وتذكر بأن زوجتك وأطفالك ينتظرون قدومك إلى البيت بكل شوق وأمل طوال اليوم والآن هم ينتظرون لكي يصل الوالد ويزيل عنهم بأخلاقه الحسنة ومحبته وبسمته الحلوة تعب العمل والدراسة. ضع مرآة صغيرة في جيبك وانظر بها إلى وجهك قبل دخولك المنزل، أجهد نفسك على فتح أساريرك. ابتسم في المرآة وبعد ذلك أُدخل المنزل وامنح أهله السلامة والنشوة والانتعاش من خلال إلقائك التحية والسلام على أهلك وعيالك ومقابلتهم بأخلاق حسنة وتعامل لطيف مفعم بالعطف والمحبة، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الإحسان وحسن الخلق يعمّران الدّيار ويطيلان العمر»(١).

وفيما يلي نقرأ بقية الرسالة التي بعث بها هذا الأخ الكريم:

الرسالة: . . . أمّا زوجتي فهي امرأة طيبة جداً وأمّ حنونة بالنسبة لأولادي ولكنها تحمل قدراً من الحساسية والكراهية تجاه والدتي وشقيقتي. وهنا يجب أن

(١) الشافي، ج١، مضمون حديث للإمام الصادق عليه السلام.

أعترف بأنني أقف غالباً إلى جانب زوجتي لأنها لاقت في عدة حالات بعض الأذى من والدتي وشقيقتي. ومهما قلت لزوجتي بأن أهلي قد أخطأوا في حقك، فاصفحي عنهم... فهي تقول لي: إن قلبي ناقم عليهم وإني لا أهدأ حتى أنتقم منهم وأفضحهم... آمل أن تكون نصائحكم مفيدة لي ولها.

توضيح ورد:

ج ـ لو أن زوجتك استمعت وانتبهت لما قلناه ونقوله في البرنامج التلفزيوني (أسس التعامل بين أفراد الأسرة) لما كانت تواجهك بهذه الحدّة وهذه الخشونة لدى دخولك المنزل بل على العكس من ذلك لكانت تعاملك بلطف وليونة ومحبة وتزيل عن قلبك الهم والحزن وتبلسم جراحك وتخفف من آلامك ومعاناتك، حيث إن إحدى واجبات الزوجة استقبال زوجها بوجه رحب ضحوك وبمحبة ونشاط عند دخوله إلى البيت حيث يقول رسول الله ﷺ: «إنّ وظيفة الزوجة توديع زوجها حتى باب الدار واستقباله والترحيب به لدى عودته إلى البيت»[1].

د ـ فيما يتعلق بمشاعر زوجتك تجاه والدتك وشقيقاتك لا أستطيع أن أُبدي رأيي في هذا الخصوص ولكني أكتفي بإعطاء نموذج كما جاء على لسان هذه الأخت الكريمة التي بعثت بالرسالة التالية وسوف أقدم مزيداً من التوضيح في هذا المجال فيما بعد:

الرسالة: ... في أحد الأيام دخلت فجأة إلى البيت، فرأيت ضيوفاً وكانت والدة زوجي تتحدث إليهم عنّي وقد دهشت عندما سمعتها هي التي كانت تمتدحني دائماً في حضوري، تقول للضيوف: «منذ أن وطأت قدما... منزلنا فإنها جعلت ابني قليل المحبة تجاهي ولا يهتم بي... كما أنها ليست جميلة بالشكل الذي كنا نتصوره... لا أظن أنهما يستطيعان العيش معاً...

(١) مستدرك الوسائل، ج١٤، باب ٦٩ ص ٢٥٤ ح٢.

لقد تأثرت كثيراً لدى سماعي هذا الكلام وتوجهت مباشرة إلى غرفتي ونار الغضب والحزن تستعر في نفسي إلى درجة أن شفتيَ اسودتا وصرت أبكي وأرتجف. إن أكثر ما أزعجني هو حالة النفاق التي شاهدتها فيها ورغم انقضاء فترة من الزمن على ذلك الحادث فإني لا زلت أشعر بأن الحنق والغضب لا زال يجثم على صدري كأنه رصاصة ملتهبة تعذبني وتقض مضجعي باستمرار. فكل تفكيري يتركز على كيفية الانتقام. هذا الأمر يقلقني تماماً ويحطم أعصابي ويسبب لي اضطراباً نفسياً بل إن هذا الأمر زعزع إيماني وجعلني أشعر بألم في كل أنحاء جسمي حيث بت أعاني باستمرار من الصداع والآم في القلب وكلما أتذكر ما قالته عني والدة زوجي في ذلك اليوم أشعر بتيبّس في حنجرتي...

لقد أوصيت هذه الأخت بأن تحضر باقة من الورد بمناسبة العيد أو أية مناسبة أُخرى وتذهب لزيارة والدة زوجها. في البداية أصيبت هذه الأخت بالدهشة وقالت لي وهي لم تصدق ما قلته لها: كيف يمكن أن آخذ لها هدية وهي التي ذكرتني بسوء في غيابي؟!! قلت لها: إذا كنت تريدين التخلص من العذاب والقلق وتنالي رضى الله فيجب أن تقومي بهذه الخطوة الكريمة...

وبعد فترة كتبت لي هذه الأخت ما يلي:

الرسالة: **... رغم أنه كان من الصعب جداً عليّ القيام بهذه الخطوة ولكني اتخذت قراري في النهاية وذهبت لزيارة والدة زوجي مع باقة ورد في يدي... فكان هذا العمل بمثابة الماء الذي أخمد النار التي كانت تستعر في قلبي.**

والآن حيث أرى أني تغلبت على حقد دفين ومؤذٍ، أشعر بالنشاط والحرية وأشكر الله بأني استطعت أن...

وفي الختام، أعرب عن شكري لك أيها الأخ الكريم ولكل الأخوة القراء وأعود فأذكر بأن النبي ﷺ يدعونا جميعا للالتزام والتحلّي بمكارم الأخلاق.

الفصل (٢٩)

حافظوا على نظافتكم وأناقتكم، فالنظافة والأناقة يزيدان من المحبة

أنتم تحبون النظافة والجمال والأناقة وتنجذبون إليها كما يحبها وينجذب إليها أي إنسان آخر. هل تشهدون بذلك؟ هل توافقونني الرأي بأن الإنسان بطبيعته وفطرته ينفر من القذارة وعدم الاهتمام بالمظهر؟ أنتم كذلك تنفرون من ذلك ولهذا السبب فإنكم تحافظون على نظافتكم الشخصية وأناقتكم أليس كذلك؟

والإسلام الذي هو دين الفطرة يؤكد كثيراً على النظافة والأناقة والاهتمام بالمظهر حيث يقول نبي الإسلام ﷺ: [النظافة من الإيمان]. كما أن الإمام الرضا عليه السلام، يرى أن النظافة هي من أفضل أخلاق الأنبياء. الالتزام بالنظافة الشخصية والأناقة هو أمر ضروري لكل واحدٍ منا ولا سيما بالنسبة للأزواج والزوجات، فعلى الزوج والزوجة أن يلتزما بالنظافة وجمال المظهر والهندام حتى تزداد أواصر المحبة تجاه بعضهما البعض. فإياك أيها الزوج أن تهمل مظهرك وتترك الاهتمام بملابسك وهندامك في داخل البيت بحجة أن زوجتك تنفر منك دون أن تدري وتقل مشاعر حبها تجاهك. رسول الله ﷺ يخاطب الأزواج بالقول: «عليكم أن تهتموا بمظهركم وتتهيأوا لزوجاتكم كما تحبّون أن يتزيّن ويتهيّأن لكم»[1]. الملابس تضفي طابعاً من الأناقة والجمال على الإنسان ويجب على الزوج أن يرتدي في المنزل الملابس النظيفة والمرتبة والأنيقة وأن يهتم بنظافته

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٤ كتاب النكاح. مضمون حديث للرسول ﷺ.

ومظهره ويتجنب ارتداء الملابس الرثّة الوسخة. وبإمكانكم أيها القراء الأعزاء أن تلاحظوا مدى التأثير النفسي لعدم الالتزام بالنظافة الشخصية وذلك من خلال الرسالة التالية التي بعثت لنا بها هذه الأخت الكريمة رغم أن ما جاء في هذه الرسالة قلّما سمعنا أو رأينا مثله ولكنه على أية حال أمر غير مقبول ولا محبّب حتى لو كان أقل من ذلك بكثير. فعلى سبيل المثال يدخل الرجل إلى بيته ولا ينفض عن نفسه غبار العمل ولا يستحمّ ليزيل عن جسمه رائحة العرق. ويذهب إلى النوم وهو بهذه الحالة. ثم يستيقظ من النوم ويجلس لتناول الإفطار دون أن يغسل وجهه ويديه ودون أن يغسل عينيه ويمشط شعره. ثم يخلع ملابسه ويكتفي بارتداء «تي شيرت» ضيق وبنطلون قصير ويجلس مع زوجته وأولاده بهذا الشكل... وهذه كلها أمور غير محببة.

الرسالة: ... لم أكن أريد الزواج منه ولكني تزوجته في النهاية بعد أن أصروا عليّ وأجبروني بالقوة على هذا الزواج وعلى أمل أن نعيش حياة سعيدة فقد أقمنا مراسم الزواج بكل بساطة وبأقل ما يمكن من النفقات...

ولكن بعد انتهاء مراسم الزواج اكتشفت أن زوجي لا يعرف القراءة والكتابة ورغم أنه أحد أقرباء والدتي إلاّ أننا لم نكن نعرفه جيداً، حيث إن علاقتنا به وبأهله لم تكن حميمة ولم نكن نتبادل الزيارات فيما بيننا إلاّ نادراً. لقد تأثرت كثيراً عندما علمت بأن زوجي لا يعرف القراءة والكتابة ولكني قلت في نفسي لا داعي للانزعاج والتأثر فبإمكاني أن أعلمه القراءة والكتابة ولكني رغم كل المحاولات التي بذلتها لم أتمكن من إقناعه بضرورة أن يتعلم. ليت المشكلة اقتصرت على هذا الأمر، إن زوجي قذر وسيّىء المظهر إلى درجة أني أخجل أن أخرج معه إلى مكان ما. أقوم باستمرار بغسل ملابسه ولكن دون جدوى، تنبعث من فمه رائحة نتنة، وهو يرفض استعمال الفرشاة لتنظيف أسنانه فقد اشتريت له فرشاة ومعجون أسنان ولكنه لم يستخدمها ولو لمرة واحدة. إني أحترق وأعاني كثيراً من هذا الأمر، ليته كان أميّاً وقذراً ولكنه حسن الخلق. المشكلة أن أخلاقه سيئة للغاية فماذا أفعل؟ هل من المصلحة أن أطلب الطلاق ولي منه طفلان بريئان أم أصبر على ما أنا فيه؟... إذا رأيتم من المناسب أن

تجيبوا على رسالتي هذه من خلال التلفزيون وتُقدموا لي الحل.

بعد قراءتي لرسالتكِ، أوصي زوجك أيضاً بالالتزام أكثر بالنظافة الشخصية ولا سيّما نظافة الفم والأسنان، وتذكر أيّها الأخ الكريم ما أوصى به الرسول ﷺ بشأن استعمال السواك حيث قال ﷺ: [ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى خفت على سنّي][1] وقال ﷺ أيضاً: [ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه سيجعله فريضة][2] وقال النبي ﷺ: [لولا أن شقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك كل صلاة][3].

وقال الرسول ﷺ: [السواك فيه عشر خصال: مطهرة للفم، مرضاة للرب، يضاعف الحسنات سبعين ضعفاً، وهو من السنّة ويذهب بالحفر ويبيض الأسنان ويشدّ اللثة ويقطع البلغم ويذهب بغشاوة البصر ويشهّي الطعام][4].

ولذلك فإن استعمال السواك يحافظ على سلامة الفرد وصحته كما أنه يزيد من أواصر المحبّة بين الزوجين. أما أنت أيتها الأخت الكريمة فإنك تعلمين بأن الطلاق أمر يبغضه الله ورسوله وهو يؤدي إلى تشرد الأبناء وضياعهم. فلا تزال أمامك طرق وأساليب أُخرى عديدة تستطيعين من خلالها أن تجعليه يغير من تصرفاته ويتقبل النصائح والتوجيهات من الآخرين وأن تنقذيه بالتالي من حالة القبح والقذارة التي يعيشها وأنت تعرفين بالطبع بأن الشخص الذي يهدي شخصاً آخر إلى جادة الصواب والطريق القويم له عظيم الأجر والثواب عند الله وهذا الأجر والثواب يستأهل أن يتحمل من أجله الإنسان العناء والتعب والمشاق.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٦ ص ١٣١ باب ١٨ ح ٢٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٦ ص ١٢٦ باب ١٨ ح٢.

(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦ ط الأعلمي، بيروت.

(٤) مكارم الأخلاق، ص ٤٦.

الفصل (٣٠)

لنهذب ألسنتنا وننزه كلامنا

سلام وتحية لشهر رمضان المبارك شهر العبادة وتهذيب وتربية النفس. فكما أننا نمتنع عن الأكل والشرب خلال شهر رمضان فإن علينا أن نتجنب كثرة الكلام ونمتنع عن التافه منه الذي لا طائل تحته وعلينا أن نكفّ عن الكلام البذيء والسباب وإيذاء الآخرين لكي يُقبل صيامنا ويكون مكتملاً. فالإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: [إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثم قال: قالت مريم عليها السلام إني نذرت للرحمن صوماً، أي صوماً وصمتاً فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا، قال: وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسب جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام فقال لها: كلي، فقالت: إني صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إن الصوم ليس من الطعام والشراب فقط][1].

فالإسلام يؤكد أكثر ما يؤكد على حفظ اللسان. الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «اللسان سبع إن خلي عنه عقر»[2] ويدمّر ويقتل ويقضي على الخيرات والمحاسن الأُخرى. اللّسان كالذئب إذا ما أُطلق سراحه من القفص يصبح هائجاً وسفاحاً وخطراً ويبدأ بمهاجمة كل من يصادفه أمامه ويجرح الأشخاص ويدميهم ويلقي بهم إلى الأرض. ولكن هل من الممكن إعادته إلى القفص؟! إنه عمل بالغ الصعوبة.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٧ ص ١١٧ باب ١١ ح٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣٩ باب الحكم رقم ٦١.

الرسالة: ... زوجي رجل طيب جداً. وإني راضية عن الحياة التي أعيشها. لي قلب حنون ورؤوف لا أحب أن أؤذي أحداً من الناس أبداً. ولكن يحدث أحياناً أني أفقد السيطرة على لساني وأتفوه بكلام قاس بصورة لا إرادية وأجعله يتأذى منّي وعندها أبقى لفترة طويلة أشعر بالأسف والندم على الكلام الذي صدر منّي، الأمر الذي يتعب نفسيتي ويظل هذا التصرف الذي قمت به يقض مضجعي وينخر جسمي وروحي...

وفي تلك اللحظة التي أغضب فيها لا أعرف ماذا يحدث لي بحيث تنطلق من فمي مثل تلك الكلمات القاسية كما لو أن شخصاً آخر تفوه بتلك الكلمات بدلاً عنّي. هذه الحالة تنتابني أكثر عندما أكون جائعة... وإني أخشى أن تؤدي هذه الحالة إلى حدوث فتور في حياتي الزوجية وأن تجعل زوجي لا يهتم بي (رغم أن زوجي لم يظهر حتى الآن أي رد فعل على تصرفاتي هذه بل يتجاهلها تماماً) إلى جانب ذلك أخشى أن تترك تصرفاتي هذه آثارها السيئة على أولادي وأطفالي. وإني لا أخفي عليكم بأن ابنتي الكبرى أخلاقها كأخلاقي. فهي سريعة الغضب والانفعال ولكنها في نفس الوقت تتمتع بالذكاء والملاحظة... إني أرى نفسي مقصّرة في كل ما يجري.. أرجوكم أرشدوني.

لكي نتجنب زلّات اللسان ونمسك بعنانه ونمنعه من التمرّد وإلحاق الأذى بالآخرين، يجب علينا أن نكمل الصوم بالتزام الصمت والامتناع عن الكلام التافه الذي لا جدوى منه ـ بل وحتى الكلام القليل الفائدة ـ لكي يخرج اللسان عن حالة التمرد ويتعود على الطاعة والتكلم بتدبّر وتفكّر حتى لا يواجه صاحبه حالة من الندم والأسف. يجب علينا أن نسيطر على لساننا وهو في أوج تمرّده وعصيانه وأن نتكلم بكلام طيب وهادىء وليّن بدل الكلام البذيء والسباب والشتائم.

يقول رسول الله ﷺ: [ما من عبد يصبح صائماً فيشتم فيقول: إني صائم سلام عليك إلا قال الرب تبارك وتعالى استجار عبدي بالصوم من عبدي أجيروه من

ناري وأدخلوه جنتي][1].

أيتها الأخت الكريمة! أقدم لكِ سلامي وتقديري لأنك تفكرين في إصلاح نفسك، وفي ختام كلامي أهدي لك كلاماً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث بإمكانك من خلال التفكر والتدبّر في هذا الكلام القيّم وهذا الحديث الشريف أن تحصلي على أفضل التوجيهات وأحسن الإرشادات:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث مضمونه: «علينا أن نحفظ لساننا، هذا اللسان المتمرد ونحبسه ونكبح جماحه قبل أن يطول حبسنا نحن ويزداد عناؤنا وشقاؤنا وتنهار شخصيتنا وكرامتنا بين الناس فليس هناك أكثر من اللسان من يستحقّ أن يحبس طويلاً ويمنع من الكلام، هذا اللسان الذي يتخلف عن قول الخير والصواب ويسبق في الردّ»[2].

نسأله تعالى أن يجعل ألسنتنا وأقلامنا تنطق بالحق والصواب وأن يثبتنا على طريقهما. إنه خير مجيب.

---

(١) أرشيف الرسائل (رسالة رقم ٤١).

(٢) وسائل الشيعة ج٧ ص ١٢١ حديث رقم ١٣١٣٩.

الفصل (٣١)

لنتعلم مبادىء التمريض ورعاية الآخرين

سلام على زينب الكبرى وسلام على صبرها وكرامتها السلام عليها وعلى شرفها وعفّتها وهمّتها. سلام وتحية لكل الّذين يقتدون بهذه الممرضة العظيمة، لكي يمنحوا الآخرين سلامة الجسم والروح ويرفعوا من مستوى بصيرتهم وإيمانهم وأخلاقهم ويبادرون بإخلاص إلى رعاية الجرحى والمرضى والعاجزين والاهتمام بهم ومساعدتهم فيمنحونهم بذلك شعاعاً من النور والأمل ويرشدون الضالين ويأخذون بيدهم إلى جادة الصواب.

سلاماً وتحية لجميع الممرضين والممرضات الذين يوقدون شعلة الأمل في القلوب ويبلسمون بشفقتهم وتعاطفهم ومحبتهم جراح المرضى ويهدّئون ويسكّنون آلامهم من خلال بذل العناية لهم والتعامل معهم بلطف وحنان ويعيدون للمريض سلامته وسعادته الضائعة وذلك من خلال مهارتهم وخبرتهم وتحلّيهم بالصبر والتأني، حيث إن المرضى الذين يستعيدون سعادتهم وسلامتهم يرون أنفسهم مدينين للطبيب الذي عالجهم وللممرض أو الممرضة التي تولّت مراقبتهم والاهتمام بهم ورعايتهم.

على أن نفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للذين يعانون من أمراض نفسية أو خلقية فهؤلاء أيضاً يحتاجون إلى طبيب حاذق وواع وشخص ماهر يهتم بهم ويقدم لهم الرعاية حتى يستعيدوا سلامتهم النفسيّة والأخلاقية. فالأطباء الذين يعالجون الأمراض النفسية والروحية للبشر هم الأنبياء المرسلون من قبل الله الذي أعطاهم الوعي والقدرة على هداية الناس وزودهم بالتعليمات والتوجيهات اللازمة لتوضيح الحقائق لأبناء البشر وإرشادهم إلى طريق الحق وبالتالي تحقيق السعادة والاستقرار

والسلامة لهم ومعالجة آلامهم ومعاناتهم النفسية وانحرافاتهم وأمراضهم الخلقية ومنحهم الأمل والطمأنينة.

أليس الحسد والغرور والتشبث بالرأي مرضاً؟ أليس العناد وعدم الرضوخ للحق وإنكاره أمراً قبيحاً ومؤلماً؟ أليس التكبر على الآخرين وتحقيرهم أمراً رهيباً وخطراً؟ هل لاحظتم كيف أن هذه الصفات والطباع وهذه الأمراض الخلقية تجعل صاحبها في معاناة وعذاب وتألم؟ وتخلق له حياة صعبة ومذلّة ومظلمة وبائسة؟ وكيف أن هذه الصفات والطباع تبعد عن صاحبها الراحة وتسلبه السعادة وتجعله يعيش وحيداً يعاني ضغوط الحياة ومشاكلها؟ وإلى جانب ما تسببه له من متاعب وآلام نفسية فإنها تصيب جسمه بالسقم والمرض وتسلبه الراحة والاستقرار.

أليس هؤلاء المرضى بحاجة إلى من يهتم بهم ويعالجهم؟ لاحظوا الرسالة التالية التي تصف فيها كاتبتها المرض الأخلاقي الذي تعاني منه وتستعرض عواقبه وأعراضه فتقول:

الرسالة: ... لقد تزوجت وأنا في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ولكن يا لها من حياة زوجية تعيسة وعديمة الهدف! الدرس الوحيد الذي علموني إياه هو العناد والتمرد على الزوج وعدم طاعته. فقد قالوا لي: عليك معارضة كل ما يقوله زوجك. وكنت متشبثة برأيي ولا أقبل أي رأي غيره وكل ما كنت أريده كان يجب عليه أن يوفره ويحضره لي وكل ما كنت أقوله كان على زوجي أن ينفذه سواء كان ما أقوله خطأً أو صواباً. لقد كنت مغرورة جداً ولم أكن أعير أي اهتمام لزوجي وأهله وأقاربه. فكلمتي كانت هي الفصل، فإما أن يقبل كلامي أو أبدأ بإثارة النزاع والصراخ. لأن أهلي كانوا قد قالوا لي: إن عائلة زوجك عائلة تافهة لا كرامة لها ومن المؤسف أنك تزوجت من هذا الشخص ومن هذه العائلة...

وانقضت عدة سنوات من حياتنا الزوجية على هذا النحو. تصرفاتي هذه جعلتني عصبية المزاج جداً وسريعة الغضب ومريضة إلى جانب ذلك كله وقد أنجبت طفلين أحدهما بنت والآخر صبي وكنت أضربهما بمجرد أن يرتكبا أي خطأ أو أي تصرف لا يعجبني وكنت أتصور بأن أفضل طريقة

في تربية الأولاد هي الضرب والصراخ والعويل... هذه هي تصرفاتي وهذه هي حياتي التعيسة البائسة.

كيف نتصرف مع مريضة متألمة كهذه؟ هل يجب أن نتركها وشأنها لتموت من العذاب والألم أو تحترق في نار الغرور؟ هل يجب أن يطلقها زوجها ويرتاح من شرّها؟ أم عليه أن يتركها وشأنها حتى تصل إلى الطريق المسدود وتصاب بصدمة تجعلها تعود إلى رشدها وتصحو من غفوتها؟ هل يجب على زوجها أن يعاملها بالمثل ويصرخ في وجهها وأن يقمع غضبها وعنادها بالغضب والشجار؟ ولكن ماذا يقول الطبيب السماوي (نبي الإسلام ﷺ) في هذا المجال؟ علينا في المرحلة الأولى أن نسعى من خلال الصبر والتأني والرعاية لتحسين حالة المريض الذي يعاني من مرض أخلاقي. وعلينا بعد ذلك أن نرد على مساوئه وانحرافاته بإحسان وصدق ونقابل أسوأ أخلاقه بأحسن الأخلاق وأفضلها.

فقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه: [ألا تريدون أن أدلكم على أفضل الخُلق في الدنيا والآخرة؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، فقال ﷺ: [أن تصلوا من قطعكم وتعطوا من حرمكم وتصفحوا (تعفوا) عمّن ظلمكم وتحسنوا لمن أساء إليكم][1].

هذه هي أفضل أخلاق الدنيا والآخرة. ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن من كمال الإيمان أن تعامل من أساء إليك بالإحسان»[2].

وبالتأكيد فإن مثل هذا التعامل الكريم واللطيف يعطي نتائج طيبة في كثير من الحالات ويمكن بإذن الله ولطفه معالجة المريض بهذه الطريقة واستئصال جذور المرض من جسمه وروحه ويمكننا في هذه الحالة أن نزرع في نفس المريض زهور الأمل والاستقرار وشجيرات السلامة والرحمة والرأفة. ونزيل غبار العناد والغرور عن وجه الحياة المشرق ونضيء الأيام السوداء بشمس الإدراك والعلم والبصيرة. وبالطبع فإن إيجاد مثل هذه الجنينة الجميلة وهذه السماء الوضاءة المشرقة المليئة بالنجوم الساطعة، يحتاج إلى فلاح واعٍ وقدير وممرض قدير وصبور، وتضيف هذه

---

(١) مضمون حديث لرسول الله ﷺ لم يذكر المؤلف مصدر الحديث.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

الأخت الكريمة في رسالتها قائلة:

الرسالة: . . . **وهذه هي حياتي التي أعيشها** بتعاسة **وشقاء. ولكن أشكر الله ـ لأن زوجي إنسان فاهم وصبور وطيب ووالدته ووالده هما أطيب وأنبل منه: فهما كانا ينصحانني بكل صبر ويردّان على عنادي وسوء فهمي للأمور بصدق ومحبة وحنان وطوال هذه الفترة التي عشتها مع زوجي لم** يحدث **مرة أن غضبا عليّ وثارا في وجهي بل كانا دائماً يرشدانني بكل صبر** وتأنٍّ **وأخلاق عالية** ورزينة. . .

ونتيجة **لتلك النصائح وهذا التعامل الطيب من قبل زوجي وأهله فقد تغيرت أخلاقي وتصرفاتي منذ فترة وانتبهت إلى نفسي واستيقظت من غفلتي وندمت على أعمالي حيث أثرت فيّ تلك النصائح وذلك التعامل الطيب** والحسن معي. . . **وبدأت أساعد زوجي وأخدمه للتعويض عن تصرفاتي السابقة معه وصرت أقبّل أطفالي وأنا أذرف الدموع وأعتذر لهم حيث كنت أضربهم وأصرخ في وجههم دون سبب، إني أطلب** من الله أن **يسامحني. . . لقد أصبحت حياتي الآن جميلة ولم تعد تظهر عليّ تلك الحالات العصبية ونوبات الغضب والهيجان. وها أنا الآن** أعيش **حياة سعيدة وهانئة جداً.**

* * *

فليتنا كنا جميعا متحابّين متآلفين نساعد بعضنا بعضاً ونرعى بعضنا بعضاً ونرد على أخطاء وعيوب وجفاء وسوء أخلاق بعضنا البعض بإظهار المحبة وتقديم الخدمات المتبادلة حيث إننا وبهذه الأخلاق الكريمة نرتقي إلى قمة الإيمان ونحظى بالرحمة والألطاف الإلهية الخاصة. ومع تقديري لكل الذين يقومون بهذه المهمة المقدسة وهذا الواجب الإنساني المقدس المتمثل برعاية الذين يعانون من أمراض خلقية وتأمين السلامة لهم وبعث الأمل في قلوبهم. أكتفي بهذا القدر من الكلام. متمنياً لكم التوفيق والعزّة.

الفصل (٣٢)

تباً لهذه الأخلاق

لنتجنب المنازعات والمشاجرات في المنزل

الرسالة: الأخ حسيني: السلام عليكم ورحمة الله، أنت توصي بأن نعيش مع الزوجة بتفاهم ومحبة ووئام ولكني أريد أن أسألك هذا السؤال: أنت شخصياً كيف تتعامل مع زوجتك وأولادك؟ لماذا تقف دائماً إلى جانب المرأة في برنامج «أسس التعامل بين أفراد الأسرة؟» لماذا ترى دائماً أن المرأة هي على حق؟ أرجوك أن تقف قليلاً إلى جانب الرجل وتعطيه الحق... كما أرجو أن تنصح زوجتي السيئة الخلق والتي تراني مديناً لها باستمرار - أسأل الله أن لا يورط أحداً مثلي بامرأة سيئة كثيرة الطلبات وغير قنوعة لأن مثل هذه المرأة تحول حياة الرجل إلى جحيم وتضيّع آخرته ودنياه...

إني أجدّ وأجهد وأعمل لأوفر لها وسائل العيش وأحقق لها ولأولادها حياة سعيدة هانئة ولأكسب رضاها ولكن دون جدوى. فهي بعد كل ما أقوم به من أجلها وبعد كل ذلك الجهد والتعب تقول: «إن كل ما قمت به هو من واجبك... وقد فعلته من أجل أولادك، ولم يجبرك أحد على ذلك!» نعم، إنه من واجبي أن أسعى وأعمل، ولكن ما هو واجب زوجتي؟ عندما أقول لها: يا سيدتي! اهتمّي قليلاً بوضع المنزل، لأن الرجل عندما يعود إلى البيت وهو تعب ومرهق، يرغب بأن يرى البيت نظيفاً ويحب أن يرى زوجته وأطفاله نظيفين وحسني المظهر والهندام،

فتردّ عليّ فوراً بالقول: «إني لست خادمة؟!... لا أستطيع أن أعمل في البيت أكثر من هذا!».

يا إلهي كم هي... هذه المرأة.

أ ـ لقد سألتني عن أخلاقي في البيت مع أهلي؟ فأقول: أنت تعرف أيها الأخ الكريم بأن بيان الحق أسهل بكثير من العمل به، ولذلك فلا بأس أن تعرف بأني عاجز حقاً وأني أسعى وأدعو الله تبارك وتعالى أن يوفقني لتنفيذ ما أقوله وأدعو إليه. قال الباقر عليه السلام: [إن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره][1].

وأنت أيضاً أيها الأخ الكريم أُطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبعد عنّي حسرة يوم القيامة واسأله جلت قدرته أن يساعدنا لنتمكن جميعاً من العمل بما نقوله من الحق والعدل.

ب ـ أيها الأخ العزيز! متى وفي أي برنامج وقفت إلى جانب النساء عن غير حقّ؟ إني أحاول أن أدافع عن الحق ولعل السبب في أن البعض ـ ومنهم أنت أيها الأخ العزيز ـ يتصور مثل هذا التصور، هو أن النساء وعلى مر التاريخ ولا سيّما في عهد النظام الطاغوتي البائد كنّ عرضة للظلم والاضطهاد أكثر من غيرهنّ ـ وبشكل خاص الظلم والاضطهاد الثقافي ـ والآن حيث يتم وببركة الإسلام والثورة الإسلامية تبيان جانب من حقوق النساء، فإن البعض يتصور بأن هذا هو دعم غير مشروع للنساء. في حين أن الحقيقة هي غير ذلك وأن الإسلام وضع للنساء اللائقات العفيفات حقوقاً عظيمة لا يزال البعض حتى الآن لا يطيق سماعها.

ج ـ أريد أن أسألك أيها الأخ الكريم ـ الذي تشتكي من كثرة طلبات زوجتك ـ: هل أنت أيضاً كثير الطلبات وتعتبر زوجتك مدينة لك؟ هل أنت تشكر زوجتك وتقدّر جهودها وتعبها؟ وهل تنتقدها باستمرار وتشتكي منها وتكلّفها بأكثر مما تطيق وتطلب منها القيام بأكثر مما تستطيع بدل أن تقدّر وتشكر لها جهودها؟

حبذا لو أن زوجتك أيضاً بعثت لي برسالة تشرح فيها طبيعة أخلاقك

(١) بحار الأنوار، ج٧١ ص ١٧٩ باب ٦٤ ح٣٠.

وتصرفاتك في داخل المنزل. لأن التقصير يكون عادة من الطرفين. إذن فمن المستحسن أن تمسك بالقلم وتقوم بتحليل تصرفاتك وتحاسب نفسك وبعد ذلك راجع ما كتبته وفكر قليلاً واعتذر بينك وبين الله على تصرفاتك وحاول أن تعوض ما صدر عنك من تصرفات (تجاه زوجتك) ومن المؤمّل أن تؤدي هذه الخطوة وهذا الموقف المنصف والعادل ـ الذي يجب أن يتكرّر بطبيعة الحال ـ إلى تحسين العلاقات بين أفراد أسرتك في البيت.

المهم أن تعلّم زوجتك الشكر والتقدير بشكل عملي وإذا قمت بهذا العمل فمن المؤمّل أن تعتبر زوجتك وتسعى لتحسين تصرفاتها وأخلاقها وتنال بذلك رضا الله ورضا زوجها. حيث يقول النبي ﷺ: «أيّما امرأة آذت زوجها لم يقبل الله صلاتها وصيامها ولا عملاً من أعمالها حتى لو صامت الدهر كلّه، حتى يرضى عنها زوجها، وللرجل مثل ذلك إذا آذى زوجته»[1]. والآن نتابع بقية الرسالة:

الرسالة: . . . يا لها من امرأة ثرثارة فالتة اللّسان! فلسانها كالسيف، بل أقطع وأحدّ من السيف والخنجر كما أن لسانها أطول من الرمح وأمضى منه عندما أقول لها: يا سيدتي! ليكن تعاملك مع الأطفال حسناً وبطيبة لسان، ولا تصرخي بوجه هؤلاء الأطفال الأبرياء ولا تتعاملي بقسوة وحدّة معي ومعهم، ترد عليّ مباشرة بالقول: «إني هكذا. كان الأجدر بك أن تتزوج منذ البداية امرأة حسنة الأخلاق. . .» وعندما أقول لها: يا سيدتي! ألم يعلمك والداك أسلوب معاشرة الزوج وطريقة التعامل مع الأولاد وتربيتهم؟

تردّ عليّ بالقول: «إنهما لم يعلماني ذلك» أنت علّم ابنتك ذلك لنرى. . .

وعندما أقول لها: إني لست راضٍ عنك، تقول لي: «هل أنا راضية عنك لتكون راضٍ عنّي؟ أنت لست راضٍ عني أنا أيضاً لست راضية عنك!».

---

(١) وسائل الشيعة.

وعندما أقول لها: إن المرأة يجب أن تطيع زوجها، تردّ عليّ فوراً بالقول: «أنت لا تدري؟! لقد تغير الوضع. في هذا الزمن الرجل هو الذي عليه أن يطيع زوجته».

وعندما أقول لها: إن أسلوب تعاملك هذا يقودك إلى جهنم. ترد عليّ في الحال قائلة: «الأمر لا يخصك إن ذهبت إلى جهنم. أنت إذهب إلى الجنة...».

وعندما أقول لها: يا امرأة لا تردّي عليّ بهذا الشكل، لا تطلقي لسانك على هذا النحو! تقول: «إن كلامك عجيب! حتى رأس الخروف الذي تشتريه من السوق فيه لسان، فكيف لا يكون لي لسان؟!».

الأخ حسيني!... قل لي ما كنت تفعل لو كانت لديك مثل هذه الزوجة؟ والآن ماذا أفعل أنا المسكين؟

توضيح ورد:

د ـ أيها الأخ العزيز: ماذا تقول إذا طلبت منك أن تكف أنت أيضاً عن الجدال والنقاش؟ بماذا ستجيبني إذا قلت بأنك تتحمّل أيضاً بعض المسؤولية عن هذا الوضع؟ فعندما ترى بأن زوجتك ترد عليك بحدّة وبتهكّم وعدم حياء فعليك في هذه الحالة أن توقف الحديث معها. لأن الشيطان في مثل هذه الحالة يضع غشاوة أمام بصر الإنسان وسمعه ويحثه على العناد والتشبث بالرأي. في هذه الحالة فإنها لا تقبل بأي شيء تقوله ولا تفكر بما تقوله لها وترد عليك رداً عنيفاً ولاذعاً وتخرج عن إطار الحياء والفضيلة والخجل والذي يخرج عن إطار الحياء فلا يعود هناك أمل في خيره وصلاحه. وإن هذه المشاجرات والنقاشات الحادّة لا فائدة منها ولا تؤدي إلاّ إلى تأزيم العلاقات وتوتير أجواء الحياة أكثر فأكثر. فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [والشكّ على أربع شعب: على التماري، والهول، والتردّد والاستسلام: فمن جعل المراء ديدناً لم يصبح ليله][1].

(١) ميزان الحكمة المجلد التاسع ـ باب المراء ـ ص ١٣٨.

وعندما تشاهدون حالة من العناد والتشبث بالرأي لدى الطرف الآخر، فالتزموا الصمت ولا تقولوا شيئاً وابقوا على هدوئكم واذكروا الله خلال فترة صمتكم وبهذه الطريقة فإنكم تطردون الشيطان من منزلكم وانتهزوا فرصة أُخرى لتقديم النصح للطرف الآخر.

هـ ـ لقد سألتني أيها الأخ الكريم، ماذا كنت أفعل لو كانت لدي زوجة كهذه...؟ لعلي كنت في هذه الحالة أفرّ إلى الصحاري والجبال ولعلي كنت أدعو الله وألتمس منه النجاة في تلك الصحاري النائية. ولعلي كنت أصبح بائساً مثلك... لا أدري ماذا كنت سأفعل في مثل هذه الحالة، لعلي كنت أنصحها وأرشدها.

نستجير بالله جميعاً من شرّ الشيطان الرجيم الذي يريد أن يخرّب بيوتنا ونطلب منه العون والمساعدة فهو خير سند ومعين لعباده، وكلنا أمل بلطف الله ورحمته.

الفصل (٣٣)

الوفاء بالعهد أجمل أنواع الصدق

ما رأيكم بالوفاء بالعهد تجاه أهلكم وذويكم وأقربائكم؟ إن الأخلاق الإسلامية تقوم على «الصدق والأمانة والوفاء» وعن أمير المؤمنين عليه السلام: [المؤمن إذا وعد وفى][١] وقال عليه السلام أيضاً: [من دلائل الإيمان الوفاء بالعهد][٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد][٣].

الوفاء بالعهود والمواثيق ينمّي شجرة المحبة والصفاء وينبت الأزهار التي تفوح برائحة الاستقرار والمحبة العطرة. وكل من يكون أكثر وفاءً لأهله وعياله يكون محبوباً أكثر عند الله وتكون منزلته ومقامه في الجنة أقرب إلى منزلة رسول الإسلام الأمين الوفي صلى الله عليه وآله. والآن لنطالع الرسالة التالية التي وصلتنا من إحدى الأخوات الكريمات:

الرسالة: . . . أبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً لدي ثلاثة صبيان أحدهم في السادسة والآخر في السابعة والثالث في العاشرة من العمر. إني متزوجة منذ عشر سنوات وزوجي رجل مؤمن وطيب تماماً حسن الأخلاق ولكن فيه بعض العيوب. فهو عديم الوفاء أي أنه يعد بأمر ما وينسى وعده. فهو يعد بالعودة إلى المنزل في الساعة الفلانية لكي نذهب معاً لزيارة أحد الأقارب أو الأصدقاء ولكنه يتخلّف عن المجيء إلى البيت ويجعلنا نضيق

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥ ص ٩٢ باب ٤٧.

(٢) غرر الحكم.

(٣) بحار الأنوار ج٧٧.

ذرعاً من الانتظار والترقّب وعندما أقول له: لماذا لم تأتِ إلى البيت في الموعد المقرر؟ لماذا تأخرت؟ فإنه يقول: لا بأس إنها دعوة عائلية. لقد انشغلت بأمر ما...

هل عدم مجيئه إلى البيت في الوقت المقرر أمر غير مهم حقاً؟

كلا، إنه أمر مهم، إذ لا يجوز عدم الوفاء بالوعد إلاّ في حالات الضرورة القصوى. إن الأخلاق الإسلامية السامية لا تجيز أبداً عدم الوفاء ونقض العهود، حتى مع الأشخاص الغرباء عنّا صغاراً كانوا أو كباراً وسواء كانوا أقرباء لنا أو غرباء عنا. فالكل كبار ومحترمون وإذا وعدناهم بأمر ما يجب علينا أن نفي بوعدنا.

إن حسن الخلق لا يعني فقط حسن التعامل مع الآخرين وإظهار المحبة لهم. فأهم شيء في حسن الخلق هو الصدق والصراحة حيث إن الوفاء بالعهد هو أجمل أنواع الصدق. أرجو أن أصبح أنا وأنت أيتها الأخت الكريمة وأنت أيها الأخ الكريم (الذي تفي بعهودك) في عداد الأبرار والكرماء لنستحق بذلك لقب (مسلمين) وأن نكون جديرين بهذه التسمية.

والآن نتابع رسالة هذه الأخت الكريمة:

الرسالة: كما أن زوجي يقضي معظم أوقاته خارج المنزل وعندما يعود إلى البيت في الساعة الرابعة بعد الظهر لا يمكث فترة قصيرة حتى يغادر المنزل مرة أخرى وهو يقول: إني ذاهب لأزور والدتي. ولكنه من هناك يذهب إلى المسجد. فأقول له: إني لا أعارض ذهابك إلى منزل والدتك ولكن عندما تذهب إلى بيت والدتك خذ معك واحداً أو اثنين من أطفالك. وإذا أردت أن تذهب إلى المسجد، فاذهب ولكن خذ معك الأولاد...

ولكنه لا يقبل كلامي هذا، فهو آخر من يغادر المسجد ويعود إلى المنزل ليلاً. وعندما نتناول طعام العشاء في المنزل يغادر مرة أُخرى للمشاركة في محاضرات دينية وعندما لا تكون هناك محاضرات أو جلسات دينية فإن النعاس يتغلب عليه فينهض ويذهب إلى فراشه للنوم...

وعندما أقول له، تحدث معنا قليلاً، راجع دروس أولادك واسألهم عن

دراستهم يردّ عليّ بالقول: إذن ما هي مهمة الأستاذ؟

وعندما أقول له: إن أولادك لهم حق عليك أن تهتم بتربيتهم؟ يقول: إني أعمل في سبيل الله وأساعد الناس وأقوم بأعمال الخير...

فأقول له: إذا كنت تقوم بأعمال الخير فلماذا لا تخصص جزءاً من وقتك لبيتك وعيالك؟! أليس الاهتمام بالبيت والزوجة والأولاد وتربيتهم أهمّ من أعمال الخير؟!..

أيها الأخ الكريم، صحيح أن كل واحدٍ منا عليه أن يخصص جزءاً من وقته للقيام بأعمال الخير الاجتماعية وحل مشاكل الآخرين، ولكن القيام بهذا الواجب يجب أن لا يجعلنا نتجاهل واجباً آخر من واجباتنا ألا وهو واجب «الاهتمام بالبيت والزوجة والأولاد وتربيتهم» وهذا الواجب هو من أهم الواجبات وأصعب الوظائف التي كلّفنا الله بها ووضعها على عاتقنا فـ«المبالغة في التأديب» أي أن نبذل أقصى ما بوسعنا لتربية أولادنا وتعليمهم أصول الأدب والأخلاق الفاضلة ـ هي واجب إلهي وهذا الواجب لا يسقط عنّا إذا قمنا بأي عمل خير آخر.

فهل صحيح أن تترك ابنك المريض وتذهب لرعاية ومعالجة مريض آخر؟! فكما أن واجبك الأول هو رعاية أولادك والاهتمام بهم ومعالجتهم، فإن تربية الأولاد وتعليمهم أصول الأدب والأخلاق الفاضلة هي من الواجبات الأساسية التي تقع على عاتقك.

حقاً لماذا لا تأخذ أولادك معك إلى المسجد؟

إذا أردت أن يتعلم ابنك الصلاة والصدق والوفاء ويصبح مؤمناً ملتزماً فعليك من الآن أن تعوّد آذانهم على سماع صوت التكبير والأذان وتعوّد أبصارهم على مشاهدة صفوف المصلين وهم يركعون ويسجدون أثناء صلاة الجماعة. فالطفل إذا لم يتعوّد على حضور الاجتماعات والمحاضرات الدينية فإنه سيكون لا سمح الله في المستقبل بعيداً عن مبادىء الشرف والإيمان والتقوى.

إذن فجدير بك أيها الأخ الكريم أن تقسّم وقتك الثمين وتخصص جزءاً منه للاهتمام بشؤون البيت والأولاد ومتابعة نشاطاتهم ودراستهم والتحدث معهم وتربيتهم حيث إن هذا من أفضل أعمال الخير. فالنبي ﷺ يقول: [خيركم

خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي][1].

نتمنى لك التوفيق وأنت تسعى في طريق الخير والوفاء وتربية الأولاد.

---

(١) وهج الفصاحة في أدب النبي، ص ٤٤٧.

الفصل (٣٤)

أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ أسئلة تكرر الزوجات طرحها على أزواجهن

الرسالة: . . . أخي الكريم والعزيز. . . إني أحد المشاهدين لبرنامج أسس التعامل بين أفراد الأسرة. . وأعمل. . . وإني فخور بهذه المهنة المقدسة. أرجوكم أن تنبهوا النساء في برنامجكم بأن لا ينتقدن أزواجهن كثيراً وأن لا يفتحن معهم تحقيقاً: أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ هل هذا هو وقت العودة إلى المنزل؟. . . لقد قلقت كثيراً بسبب تأخرك في العودة إلى المنزل. . .

توضيح ورد: أيها الأخ العزيز! إن زوجتك توصيك دائماً بعدم التأخر في العودة إلى المنزل ولكنك تعترف بأنك رغم ذلك تتأخر في العودة إلى البيت وتجعل زوجتك تقلق عليك، فكيف تكون الحال لو غفلت عنك زوجتك ولم تنهل عليك بالأسئلة والاستفسارات «أين كنت؟» و «لماذا تأخرت في العودة؟» وو. . أيها الأخ العزيز! حبذا لو احترمت مشاعر زوجتك وقدّرت عاطفتها ومحبتها وحبذا لو أدركت بأنها تبقى تنتظرك في البيت وعليك مهما أمكن أن تعود إلى المنزل في الوقت المناسب لكي لا تسبب لها القلق والاضطراب.

نعم. إذا كانت هناك ضرورة تتطلب تأخرك في العودة إلى البيت، أو إذا كان عليك القيام بواجب مهم خارج المنزل ففي هذه الحالة يجب أن تقول لزوجتك. أيتها الأخت الكريمة! صحيح أنك تحبين زوجك وتحرصين عليه ولهذا السبب

فإنك لا تطيقين بعده عنك وتأخره في العودة إلى البيت ولكن نظراً لأن زوجك يتحمّل في الوقت الحاضر مسؤولية جسيمة ومقدسة فعليك وفي سبيل الله القادر المتعال ومن أجل تحقيق أهداف أسمى وأنبل أن تتحملي بعده عنك وتأخره في العودة إلى المنزل وأن تتأقلمي مع هذا الوضع، بل عليك أن تشجعيه على القيام بعمله وإنجاز مهامه بصورة أفضل وبشكل دقيق ومتقن واعلمي بأنك تشاركينه الأجر والثواب الذي له عند الله لما يقوم به من أعمال وخدمات وأن الله سيعطيك أجر الصابرين الذي هو أفضل أجر.

والآن نطالع بقية الرسالة:

الرسالة: . . . **فمثلاً لدي أعمال ومهام ترتبط بـ. . . لا أستطيع أن أطلع زوجتي عليها. إني لا أستطيع أن أقول لها أين ذهبت ولكنها تصرّ عليّ وتطلب مني أن أخبرها أين ذهبت. فأضطر أن أكذب عليها. فماذا أفعل في هذه الحالة؟ هل أكذب عليها؟ أم أصرخ في وجهها وأقول لها بأن الأمر لا يعنيك؟. . . ماذا أفعل؟ الويل لي إذا تأخرت ساعة واحدة. عندها تغضب وتحزن رغم أنها أكثر إيماناً وأطيب خلقاً منّي. وهناك أمر آخر وهو أنها تصرّ عليّ لتناول الطعام عندما لا تكون لدي رغبة في تناوله وعندما أرفض طلبها تتأثر بشدة وتفقد شهيتها للطعام وتمتنع عن تناوله.**

توضيح وردّ: أيها الأخ الكريم، من الأفضل أن لا تطلب من زوجتك أن لا تسألك «أين كنت؟. . . لماذا تأخرت؟» اسمح لي أن أطلب منك هذا الطلب فيما يخصّ عملك الخاصّ، رغم علمي بأن طلبي هذا قد لا يلقى الاستجابة المطلوبة، لأن الإحساس المرهف لزوجتك يجعلها أقل قدرة على تحمّل بعدك عنها. كما يجعلها لا تعرف لماذا يتأخر زوجها عن البيت خصوصاً عندما يتأخر في العودة ولا يتناول طعامه في البيت عند ذلك فهي تتأثر وتثور ثائرتها.

أما أنت أيها الأخ الكريم فعليك أن تستقبل تساؤلاتها واستفساراتها المتكررة بكل رحابة صدر وبكل صبر وتأنٍّ وحاول أن لا يحدث أي نزاع أو شجار واعمل على تحقيق التفاهم المطلوب بصورة تدريجية. وبالطبع فإن عليك أن لا تكشف أي سرّ من أسرار العمل، تجاوز هذه القضية بكل لطف ومحبة. . .

حقاً لماذا تتناول طعامك خارج البيت؟ ألمّ بك الجوع؟ حسناً! إصبر قليلاً حتى تصل إلى المنزل. بإمكانك أن تتناول لقمة واحدة، قطعة خبز واحدة فقط لكي تسدّ بها جوعك حتى تصل إلى البيت وتتناول طعامك مع زوجتك وأولادك بكل محبة وصفاء وتتبادل معهم الكلام وتبتسم في وجوههم وتجعل الحياة حلوة وسعيدة لك ولعيالك.

أتمنى لك التوفيق

الفصل (٣٥)

على الرجل أن يجعل الاعتناء والاهتمام بالزوجة على رأس برامجه واهتماماته

صحيح أن المرأة والرجل بحاجة إلى بعضهما البعض وأن الله سبحانه وتعالى خلق أحدهما للآخر ولكن المرأة ـ بما تملكه من عاطفة مميزة ومشاعر مرهفة ولطيفة ـ هي أكثر حاجة إلى التقرب من زوجها والتحدث معه كما أنها بحاجة أكثر للرعاية والاهتمام من قبل الزوج وهي تفرح وتسرّ أكثر لحسن خلقه ومحبته وابتسامته. المرأة تعيش لتحقق رضا الزوج وسعادته وسعادة أولاده. وأفضل تقدير أو مكافأة يمكن أن تحصل عليها المرأة مقابل ذلك هي كلمة الشكر والتقدير التي تسمعها من زوجها وأولادها والبسمة وعلامات الرضا والارتياح والسعادة التي تشاهدها على وجوههم. ومن مفاخر الرجل وكرامته أن يتعهد في عقد الزواج برعاية زوجته وإدارة شؤون حياتها والاهتمام بتربية أولاده ورعايتهم وأن يضع هذه الأمور على رأس برامجه واهتماماته وأن يحترم مشاعر زوجته وعاطفتها المتميزة ويقلل من زياراته غير الضرورية واجتماعاته مع زملائه وأصدقائه ويعود بالتالي إلى البيت ويأنس بأهله وعياله ويتبادل الحديث ويتناول الطعام معهم وأن يستلذّ ويتمتع بمحبتهم وعواطفهم ومشاعرهم الصادقة. حيث يقول النبي الأكرم محمد المصطفى ﷺ: «ما من رجل يجمع عياله ويضع مائدته فيسمون في أول طعامهم ويحمدون في آخره فترفع المائدة حتى يغفر لهم»[1].

إنه ليس من الشرف ولا من الكرامة الإنسانية أن يترك الرجل زوجته تنتظره

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٦ باب ١٢ ص ٤٢٢ ح٣.

في المنزل ويتناول طعامه مع هذا وذاك خارج البيت ويقضي أوقات فراغه بالأعمال المنكرة برفقة أصدقاء السوء، حيث إن عدم الوفاء هذا سيكون له في النهاية عواقب مشؤومة وضارة.

لنقرأ الرسالة التالية:

الرسالة: . . . تزوجته قبل أكثر من عامين ورافقته من مدينة إلى أُخرى، وكنت سعيدة لذلك وراضية عن زواجي منه. وبعد عدة أشهر من زواجنا بدأت تصرفات زوجي التي كانت عادية بالنسبة له وغير عادية بالنسبة لي تظهر وتتكشف. . . فعندما كان ينتهي من عمله اليومي يذهب مع أصدقائه ولا يعود إلى البيت إلاّ في وقت متأخر من الليل.

في بداية الأمر تجاهلت تصرفاته هذه لكي لا يقع بيننا أي خلاف، ولكن بعد مرور فترة من الزمن لم أتمكن من تحمّل هذا الوضع. فقد كنت غريبة في هذه المدينة وكان هو يذهب مع أصدقائه حتى في أيام العطل الرسمية ولا يعود إلى البيت إلاّ في المساء وعندما كان يصل إلى البيت وأُعدّ له مائدة الطعام ـ على أمل أن أتناول الطعام معه ـ كان يقول لي: إني شبعان لقد تناولت الطعام مع أصدقائي في المطعم الفلاني. وعندما كنت أعترض على تصرفه هذا وأقول له إن هؤلاء الأصدقاء هم أعداء لك وهم يجلبون المصائب والويلات، كان يغضب ويتشاجر معي وينهال عليّ بالضرب أنا التي كنت أحبه من صميم قلبي. وعندما كان يحدث نقاش بيننا مهما كان بسيطاً وتافهاً فإنه كان يقول لي: . . . أنت لا تنفعينني، اخرجي من بيتي. . . كل المشاجرات التي كانت تحدث بيننا كانت بسبب أصدقاء السوء الذين كان يجالسهم ويعاشرهم وأيضاً بسبب عودته المتأخرة إلى المنزل ليلاً. . . فعندما كان يحين وقت المساء كان الخوف يسيطر على جميع جوارحي ويتملكني بكل وجودي حيث كنت أخاف من أدنى صوت وكنت أقبل أن يبقى زوجي رغم كل أخلاقه السيئة في المنزل ولا يأتي متأخراً. . . ولكنه كان يعيّرني ويستهين ويستهزىء بي ويقول لي: إنك لا تفهمين، غبية وجبانة.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الخوف في وجود كل إنسان ـ رجلاً كان أو امرأة ـ لكي يستطيع هذا الإنسان بواسطته وفي ظل توجيهات العقل أن يحفظ نفسه ويحمي وجوده من الأخطار التي تحدق به.

ولكن غريزة الخوف عند المرأة هي أقوى منها عند الرجل الأمر الذي يجعل المرأة تخاف من الأخطار وتهرب من الوحدة والظلام والعزلة حيث تحافظ بذلك على عفتها وكرامتها وتبقى بعيدة عن اعتداءات وتحرشات الآخرين. فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [خيارُ خصال النساء شِرار خصال الرجال. الزهو والجُبن والبُخل. فإذا كانت المرأةُ مزهوة لم تمكَن من نفسها، وإذا كانت بخيلةً حفظت مالها ومالَ بعلِها وإذا كانت جبانة فَزِعت من كلِّ شيء يعرضُ لها][1].

وعلى هذا الأساس فالخوف لا يعتبر صفة مذمومة وغير محببة عند النساء بل على العكس يعتبر صفة محببة وحسنة ولذلك يجب أن لا ننتقد المرأة ونحقرها بسبب خوفها. فلو لم تكن المرأة تخاف من الوحدة والظلام لما كانت تشعر بالحاجة إلى الرجل ولما كانت تأوي وتلتجيء إليه وتعيش في كنفه وبالتالي لما كانت تضيء محيط المنزل وتمنحه وتمنح الحياة العائلية الدفء والسعادة ولما كانت تخشى من وقوع زوجها في الخطأ وتعرضه للانحراف ولما كانت تبكي وترجو منه وتلتمس.

الآن نقرأ بقية الرسالة:

الرسالة: ... لقد نصحته كثيراً، بكيت، ورجوته ولكن دون جدوى. فكنت أقول له: لماذا تدمّر حياتك ومستقبلك؟ لماذا تنفق المال على هذا وذاك بدل أن تنفقه على أهلك وعيالك؟! فكان يستهزيء بي ويقول: يا لك من امرأة ساذجة؟ تتصورين أني لا أعرف مدى ما تضمرينه من حقد وحسد تجاه أصدقائي؟ والأسوأ من ذلك كله أن انتقاداته اللاذعة لي وكلماته النابية التي يوجهها لي ولوالدي وأنا أعيش غريبة وبعيدة عن أهلي في هذه المدينة،

(١) نهج البلاغة، ص ٦٧٧ رقم ٢٣٦ ط الأعلمي ـ بيروت.

كانت تنهال على رأسي كالمطرقة وكانت تؤلمني أكثر من الضرب.
وأحياناً عندما كنت ألاحظ عليه الارتياح كنت أتحدث معه وأقول له: إني لم أكن جائعة أو محتاجة عندما تزوجتك، إنني محتاجة إلى المحبة والرعاية والتحدث معك، أحب أن نأكل معاً وأن يسود بيننا الوفاق والوئام. فكان يقبل كلامي ويعدني بتعديل سلوكه والاستجابة لمطاليبي.
ولكن عندما كان يريد أن يعود إلى البيت مبكراً وعندما كان يرفض الذهاب مع أصدقائه هنا وهناك وتناول الطعام معهم كانوا يعيّرونه بالقول: أتخاف من زوجتك؟! ولهذا السبب فهو كان يتعمّد التأخر في العودة لكي يثبت لهم أنه شجاع ولا يخاف...
وفي نهاية المطاف كان أعداؤه المتظاهرون بمظهر الأصدقاء، هم السبب في دخوله السجن حيث لم يعد بإمكانه أن يعود إلى بيته نهائياً...

لنسأل الله أن يحفظنا من الخداع والزلل وينقذنا من أصدقاء السوء، ولنسأله تعالى أن يجعل في قلوبنا المزيد من الرحمة والشفقة تجاه زوجاتنا وأبنائنا وأن يجعلنا نعرف قيمة الألفة والمحبة والوفاق داخل محيط الأسرة، لنعيش في جو ذلك وأن نسعى لأداء حقوق بعضنا تجاه بعض ونكسب رضا بعضنا عن بعض بما يرضي الله سبحانه وتعالى.

الفصل (٣٦)

هل تكظمون غيظكم؟

هل تغلبتم على غيظكم؟

إذا كمن ذئب كاسر وهائج في منزلكم وهجم عليكم، فماذا تفعلون في هذه الحالة؟

الغضب هو بمثابة ذئب هائج يكمن في صدروكم ويهجم عليكم وعلى الآخرين بين الحين والآخر، يصرخ ويزمجر ويكشّر عن أسنانه ويبرز مخالبه، ويسلب الإنسان الخيار والإرادة ويفترس أي إنسان ويأكل من لحمه ودمه. وبعد كل افتراس يزداد قوة واقتداراً وفي نهاية المطاف يستلقي هذا الذئب المفترس في زاوية يستريح ويترككم تعانون من التعب والإرهاق والخجل.

هل يمكنكم أن تنتصروا في هذا الصراع؟ هل بالإمكان قمع هذا الحيوان الهائج وطرحه أرضاً؟ كيف يمكن ذلك؟ عندما يهاجمنا حيوان (الغضب) علينا أن نضع الحبل في عنقه ونضيق الخناق عليه ونضع حداً لزمجرته وصراخه ونبعده عن مسرح الحادث ونمنعه من الافتراس والإيذاء ونبقيه جائعاً... لعلنا نستطيع من خلال التمارين المتكررة والتجويع المستمر أن نروضه ونكبح جماحه. ولكن هذا العمل يحتاج إلى بطولة وشجاعة. فقد قال رسول الله ﷺ: «الصرعة كل الصرعة، الصرعة كل الصرعة، الصرعة كل الصرعة: الرجل الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه، ويقشعر جلده، فيصرع غضبه»[1].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٧ ص ٢٣٤ رقم ١٤٧٣١.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: [أشجع الناس من غلب حلمه غضبه][1].

لنقرأ معاً هذه الرسالة:

الرسالة: . . . أخلاقي جيدة إلى حدّ ما وفي البيت تكون أيضاً أخلاقي حسنة عندما أكون مرتاحاً وتكون أعصابي هادئة. ولكني لا أعرف لماذا أفقد أعصابي لأتفه الأسباب وعندها لا أعود أسيطر على نفسي وتصرفاتي، فأبدأ بالصراخ والشجار وإثارة النزاع في البيت وأظل متوتر الأعصاب ومتضايقاً لعدة أيام حتى أهدأ شيئاً فشيئاً وعند ذلك أندم على تصرفاتي وأشعر بالخجل من نفسي لأنني أصبحت كالذئب المفترس من شدة الغضب. . .

نأمل أيها الأخ الكريم أن تتمكن من خلال التمرين المستمر وعلى ضوء الإشارات المذكورة من التغلب على حالة الغضب التي تسيطر عليك لتكون بمأمن من عذاب الباري تعالى وسخطه. «قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا معلم الخير أعلمنا أي الأشياء أشد؟ فقال: أشد الأشياء غضب الله عز وجل، قالوا: فبم يتقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: [من كظم غيظه أمن من عذاب الجبار][3].

إذن يجب عليك كما يجب عليّ وعلى الجميع أن نسعى لكبح جماح الغضب ونسيطر عليه ونطرحه أرضاً ونقف في وجهه منتصرين فائزين ونتخلص من خزي الدنيا والآخرة ونكون في مأمن من غضب الباري تعالى وسخطه.

والآن نتابع ما جاء في بقية الرسالة التي بعث بها هذا الأخ الكريم:

الرسالة: . . . والآن أتحدث عن طباع زوجتي: فهي امرأة ممتازة من جهة التدبير المنزلي والنظافة والاهتمام بالأطفال والأولاد ولكنها متعلقة بأولادها وتحبّهم أكثر من اللازم وهذه المحبة خلقت بعض المشاكل. فكلما أردت

---

(١) غرر الحكم.

(٢) بحار الأنوار ج٧٣ ص ٢٦٣ باب ١٣٢ ح٥.

(٣) المصدر السابق.

أن أتكلم بشيء من أجل تربية الأطفال تغضب وتقول: لا تتدخل في شؤون أطفالي! أنت عصبي المزاج! لا تستطيع... وإذا اتفق أن قلت للأولاد شيئاً أو كلمتهم بعنف فإنها تحتج عليّ ونتيجة لذلك فإن أطفالي باتوا متحيرين لا يدرون ماذا يفعلون. فهم لا يدرون هل تصرفي معهم صحيح أم تصرف والدتهم؟! وبالتالي فهم يبقون مترددين، هل يعملون بما أقوله لهم أم بما تقوله لهم والدتهم. ولكي لا تتأزم الأمور وتتوتر أجواء البيت فإني أتنازل أمام زوجتي وأحياناً أفقد أعصابي...

هذا هو أحد جوانب القضية، أما الجانب الآخر فهو أن زوجتي وبسبب محبتها الزائدة هذه تفضل أولادي عليّ. فمثلاً عندما أمرض وأكون بحاجة للرعاية والاهتمام تهملني وتهتم بالأطفال وتطبخ لهم الطعام... كما أنها لا تهتم بي من جهات كثيرة أُخرى... وتؤذيني، فماذا أفعل؟

١ ـ في البداية يجب أن تعلم بأن عاطفة الأمومة عند المرأة هي من أقوى العواطف فهي تكرّس كل شيء حتى راحتها وسعادتها ووجودها من أجل أولادها. ولذلك يجب أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار وأن تنبهها إلى أن هذا الاختلاف في أسلوب تربية الأطفال، كثيراً ما يؤدي إلى ظهور حالة من التمرد والعصيان عند أولادها ويكون سبباً في ضياعهم وانحرافهم عن جادة الصواب وعليها أن تكف عن عنادها ومخالفتها إن هي أرادت أن يعيش أولادها في سعادة وهناء.

٢ ـ وعليك أنت أيضاً أيها الأخ الكريم أن تكبح جماح غضبك وتحدّ من عصبيتك وتسيطر على أعصابك مهما أمكن وأن تقدم توجيهاتك وإرشاداتك بمزيد من الهدوء والمحبة وعليك أن لا تغضب إلاّ في حالات الضرورة القصوى وعندما ترى بأن معارضة زوجتك وأولادك لك يترتب عليها معصية الله وارتكاب ذنب من الذنوب، أثبت لزوجتك بشكل عملي بأنك تحب أولادك كما تحبهم هي وأنك مثلها تفكر في مستقبلهم وسعادتهم وأن مسؤولية تربيتهم تقع على عاتقك كما تقع على عاتقها هي.

٣ ـ إن أفضل طريقة هي أن تقوما معاً ومن خلال التفاهم والتنسيق بينكما، بتربية الأولاد ومن أجل الوصول إلى ذلك فإن على كلٍّ منكما أن يتعرف وبشكل أفضل على الجوانب العاطفية والمعلومات والأفكار التربوية للآخر. ولتحقيق هذه

وتستشيراه في القضايا المتعلقة بتربية الأولاد وعليكما أن تسمعا كلامه وتجعلاه حكماً بينكما، يحكم في القضايا التي هي مورد خلاف بينكما. كما أن عليكما مطالعة الكتب التربوية والتشاور فيما بينكما.

٤ ـ يجب على زوجتك أن تعلم بأن عليها القيام بواجباتها تجاه زوجها في نفس الوقت الذي تقوم فيه بواجب الأمومة حيث عليها أن تهتم بك وتلبّي حاجاتك وتقوم بحسن التبعل مثلما تهتم بأطفالها وترعاهم وتلبّي حاجاتهم، لكي يرضى الله عنها وتستمتع بسعيها وجهدها وحياتها الزوجية. عامل زوجتك يا أخي الكريم برفق ومحبة لكي تكون هي أيضاً مطيعة ورفيقة لك تهتم بك وترعاك. اذكرا الله تعالى واحرصا على طاعته وعبادته لتعيشا معاً حياة ملؤها السعادة والنشاط والتفاهم والوئام. أتمنى لكما التوفيق والنجاح.

الفصل (٣٧)

اكبحوا جماح هذا العدو المفترس

هل تعرفون ما هو الغضب؟ هل هو صديق لكم وتعرفونه حق المعرفة أم هو عدو لدود وخبيث؟ هل زاركم الغضب حتى الآن في منزلكم؟ وإذا كان قد زاركم، فلا بد وأنكم شعرتم بهجومه الوحشي وقوة مخالبه الفولاذية وهي تضغط على خناقكم ورقبتكم وقلبكم. ولا بدّ أنكم شاهدتم كيف أن الغضب يضغط على قلبكم بقبضته ومخالبه القوية ويجعلكم تصرخون تألماً ويسوقكم إلى حيث يشاء ويرغمكم على القيام بأي عمل يريده.

هل تستطيعون طرد الغضب عنكم وإبعاده عن بيوتكم؟ وتخليص قلوبكم منه؟ لعلكم تقولون إنه يتمتع بقوة هائلة لا طاقة لنا نحن الضعفاء به؟! صحيح أن التخلص من مخالب وأسنان هذا العدو المفترس والمجنون المتوحش يحتاج إلى قوة في الإرادة والتصميم ولكن من المؤكد أن الإنسان يستطيع أن يكتسب مثل هذه القوة الفائقة وبإمكانه أن يتغلب على هذا العفريت المتمرد ـ الذي يقبع مع الأسف داخل بيوتنا ويعيش داخل صدورنا ـ وأن يكبّله من خلال عزمه وإرادته بالسلاسل والأغلال ويجعله خاضعاً ومطيعاً ومستسلماً له. والآن لنطالع معاً هذه الرسالة التي بعثت بها إلينا إحدى الأخوات الكريمات:

الرسالة: ... السلام عليكم والشكر لكم، أرجو لكم التوفيق في مهمتكم، منذ حوالي ثلاثة أو أربعة أعوام وأنا أزداد عصبية يوماً بعد آخر وكل يوم يمرّ كانت حالتي تزداد سوءً وأزداد توتراً. راجعت الكثير من أطباء الأمراض العصبية ولكن دون جدوى! لقد كنت أفقد أعصابي مع زوجي ومع أطفالي

لأنفه الأسباب فقد كنت أصرخ في وجههم وأزعجهم وأثير أعصابهم وبعد فترة عندما كنت أهدأ كنت أتأثر وأتألم لحال أطفالي الأبرياء وعندها كنت أفهم بأنه لم يكن هناك أي داع لذلك كنت أشعر بالأسف والندم. ولم يكن يؤثر فيّ كلام والدتي التي كانت تنصحني وتقول لي: «تكلّمي باحترام مع زوجك وكوني صبورة مع أطفالك وتعاملي معهم بلطف ولين ولا تثيري كل هذا الضجيج والنزاع». نعم لم أكن أسمع كلامها وكنت أستمر في تصرفاتي هذه. لم أكن أريد أن أكون هكذا، ولكني كنت أقوم بتلك التصرفات رغماً عنّي وخلافاً لرغبتي وكأن هناك من يجبرني على ذلك، كدت أتلف وأموت من شدة التأثر والقلق ومن التوتر العصبي المستمر وقد راجعت الكثير من الأطباء ولكن دون جدوى ولم تتحسن حالتي رغم استعمالي الكثير من الأدوية. اسمحوا لي أن أشير إلى أن بعض الحالات التي كنت أفقد فيها أعصابي وأصاب بالتوتر العصبي: في أحد الأيام تناقشت مع زوجي حول موضوع بسيط وتافه جداً. فمثلاً طلب مني أن نذهب إلى منزل والدته ولكني كنت أرفض ذلك وانزعجت كثيراً لهذا الأمر وسيطر عليّ الغضب فتناولت حذائي ورميته باتجاه طفلي فأصاب الحذاء النافذة فتحطم زجاجها وتساقط فوق رؤوس الأطفال الذين كانوا يلعبون في الشارع... وقد تألمت كثيراً لهذا الأمر وشعرت بالخجل من هذا التصرف. ومع الأسف فإن زوجي لم يكن أقل عصبية مني. فمثلاً عندما كان يسأل أولاده عن دروسهم أو يطرح عليهم سؤالاً في الرياضيات ويحلّ لهم المسألة الرياضية فإنه كان يشرح لهم طريقة الحل مرة ومرتين ولكنهم إذا لم يفهموا طريقة الحلّ عند ذلك كان يحاول أن يجعلهم يفهمون الدرس بالقوة والتهديد والضرب والصراخ في وجههم... فكنت أفقد أعصابي وأقول له: الطفل لا يتعلم دروسه بالقوة والتهديد والضرب، بل على العكس فإن هذا الأسلوب يجعله ينسى ما تعلمه من دروس... فكان يردّ عليّ بعصبية: أنت لا تتدخلي! في الوقت الذي أرى فيه أولادي يبكون... وخلاصة الكلام فإن بيتي كان يسوده دائماً الصراخ والعويل والغضب والبكاء والخوف والرعب وفي نهاية المطاف الخجل والندم

واللوم والانتقاد. وفي الأيام الأخيرة صار أولادي يصرخون في وجهي أيضاً... وقد صادف أن تحدثتم في إحدى حلقات برنامج «أسس التعامل بين أفراد الأسرة»، عن الغضب وقلتم: «على الإنسان أن ينتصر على الغضب، لأن رسول الله ﷺ يقول: [أقوى الناس من كظم غيظه][1] وكما ناجى الله عز وجلّ به موسى في التوراة: «يا موسى أمسك غضبك عمّن ملكتك عليه أكف عنك غضبي»[2].

إن ربة البيت ليس فقط يجب أن لا تكون عصبية وحادة المزاج بل عليها من خلال هدوئها وبرودة أعصابها أن تهدىء أعصاب زوجها وتجعله يكفّ عن التهكم والسباب ويكفي أن تمتنع ربة البيت أو رب البيت عن القيام بأي تصرف أو ردة فعل لمدة خمس دقائق فقط ويلتزم الهدوء عندما يشعر بتوتر عصبي وكونوا على ثقة أنكم إذا كررتم هذا العمل أو هذا التمرين عدة مرات فإنكم سوف تتغلبون على غضبكم. لا تقولوا إننا لا نستطيع ذلك، قرروا من هذه اللحظة القيام بهذه الخطوة، وإنكم بالتأكيد سوف تنتصرون على شيطان الغضب...

إن كلامكم وأنتم تتحدثون بكل هدوء وثقة كان لطيفاً وممتعاً إلى درجة أنه ترك فيّ أبلغ الأثر وقد بكيت وأنا أستمع إلى حديثكم من على شاشة التلفزيون وتأثرت كثيراً لأطفالي الأبرياء - لأني مارست بحقهم كل هذا الظلم - وبعد انتهاء البرنامج جلست مع زوجي وتحدثنا معاً واتخذنا قرارنا...

توضيح وردّ: أختي الكريمة! تقبلي سلامي وتحياتي، وتقبلي أيضاً تقديري وتهانيّ لك على هذا النصر الكبير، إن أولادك على حق عندما قالوا «لقد أصبح بيتنا جحيماً» لأن البيت الذي تتصاعد في كل ركن من أركانه ألسنة نيران الغضب هو في الحقيقة جهنم، حيث يقول رسول الله ﷺ: [الغضب جمرة من الشيطان][3] تحرق أولاً روح وقلب صاحبها ومن ثم تحول بيته وحياته إلى جحيم

---

(1) تحف العقول.
(2) الكافي، ج٢ ص ٣٠٧ باب ١٢١ ح٧.
(3) بحار الأنوار، ج٧٣ ص ٢٦٥.

لا يطاق وكل من تستطيع ـ مثلك أيتها الأخت الكريمة ـ أن تطفيء شعلة هذه النار المدمرة المستعرة في قلبها، فإنها تكون قد انتصرت على الشيطان المريد وطردته من قلبها ومن بيتها واستدعت إليها ملائكة الجنان وأعادت السعادة والهناء إلى بيتها وجعلت قلبها مفعماً بالطمأنينة والاستقرار ومليئاً بالحب والوفاء.

الانتصار على الغضب

قال أمير المؤمنين عليه السلام: [أقدر الناس على الصواب من لم يغضب][١].

إن الانتصار على الغضب هو انتصار على الشيطان. فقد سأل النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله جماعة من الناس: [أليس بينكم بطل مقدام؟ من هو البطل برأيكم؟ فقالوا: إنه ذلك الشخص القوي الذي لا يستطيع أحد أن يلقيه أرضاً. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن البطل الحقيقي هو الذي إذا دخل الشيطان قلبه وأغضبه وانتفخت أوداجه، ذكر الله وطرح الغضب الشيطاني أرضاً»]. ويقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المجال: [ظفر بالشيطان من غلب غضبه، ظفر الشيطان بمن ملكه غضبه][٢].

ولكن كيف يمكن السيطرة على الغضب؟

الغضب ينجم عن النظرة الاستعلائية والشعور بالقوة. فالذي يغضب ويسخط على الآخرين يرى نفسه متفوقاً عليهم ويعتبرهم أقل منه شأناً وعندما يتعرض هو ومصالحه لأدنى تهديد نراه يضطرب ويثور ويزمجر ويصرخ. أما الشخص الذي يقدّر الآخرين ويحترمهم ويحترم مطاليبهم واهتماماتهم وأعمالهم، فإنه لا يضطرب ولا يغضب بين الحين والآخر لأنه يعلم بأن الآخرين هم مثله بل وأفضل منه. ومن حقهم أن يتصرفوا بطريقة تختلف عن التصرف الذي يريده هو. كما أنه يتصرف حيال الأطفال والأولاد بمزيد من الصبر والمرونة واللطف ويتذكر أيام صباه ويقارن تصرفات وهفوات الأطفال مع تصرفاته وهفواته عندما كان طفلاً وصبياً يانعاً ويدرك

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم حرف الألف.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلام حرف الظاء.

بالتالي ضعفهم فيسعى لتربيتهم وتأديبهم بمزيد من الملاطفة والمحبة والحنان. إذن فلكي ننتصر على الغضب علينا أن نتذكر ضعفنا وأننا من التراب وإلى التراب ولدى مشاهدتنا شرارة الغضب الأولى «نجلس فوراً على الأرض وننظر إلى السماء»[1]. علينا عند شعورنا بالغضب أن نجلس على الأرض لنتذكر ضعفنا وذلتنا أمام خالقنا وعلينا أن ننظر إلى السماء لنتذكر قدرة الله المطلقة التي وسعت كل شيء ونشاهد في السماء، هذه المرآة العالية والمضيئة، علم وقدرة وغنى الباري العلي القدير ونكف بالتالي عن الغضب والتشاجر والحدّة مع عباده الذين يقف سبحانه وتعالى إلى جانبهم ويدافع عنهم.

وخلاصة الكلام ما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: [الغضب مصدره الجهل والذي يغضب بسرعة يجهل نفسه ومستقبله ونقاط قوته وضعفه ويجهل قيمته ومكانة الآخرين ويجهل بيئته وما حوله وخالقه ولكي يتخلص من الغضب عليه أن يتخلص من الجهل وعليه أن يعالج غضبه بالصمت][2].

وأما الغضب المقدس؟

نيران الغضب يجب اطفاؤها بالجلوس على التراب ما عدا نيران الغضب المقدس التي يجب أن تؤجج أكثر فأكثر ونقصد به الغضب في مواجهة الظلم والظالمين والغضب لانتهاك حرمات الله وتخطي حدود الإيمان والعفة والشرف. فمثل هذا الغضب يكون مقدساً ومكرماً. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: [إن الله سبحانه وتعالى يحب أن يرى الأحرار الكرام من عباده يقفون كالطود الشامخ والأسد الهائج بوجه الظالمين والكفار ويهجمون عليهم كالنمر الجريح][3].

فآلاف التبريكات نقدمها لشعبنا العظيم المنتصر هذا الشعب الأبي الذي أظهر

---

(١) مستخرج من حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله ورد في كتاب تحف العقول.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٣) وسائل الشيعة ج١١.

غضبه المقدس في مواجهة الظلم والعدوان، وآلاف البشائر نسوقها اليوم لهذا الشعب الذي يعيش في قمة العزة والكرامة والذي سيكون أبناؤه في الآخرة في ظل الرحمة الإلهية الواسعة وهم «في مقعد صدق عند مليك مقتدر» ينعمون بالسعادة الأبدية.

* * *

الفصل (٣٨)

كيف يمكننا أن نتحلى بالهدوء والصبر ونحافظ على برودة أعصابنا؟

أيام شهر رمضان هي أيام العزيمة والإرادة والإيمان أيام الحرية والانعتاق والإحسان. أنتم تعلمون بأن أصعب أنواع الأسر هي أن يكون الإنسان أسيراً لشهواته وغرائزه وأسوأ أنواع القيود هي قيود الميول والأهواء النفسية، وشهر رمضان هو شهر التخلص من عبودية البطن وشهر الانعتاق من قيود الغضب والشهوة وشهر التخلص من سيطرة غرائز الحدّة والجوع والعطش وبالتالي فإن شهر رمضان هو شهر العزيمة والإرادة والانتصار.

الإنسان المؤمن الذي يصوم شهر رمضان امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى فإنه بالتزامه بالمبادىء الخلقية السامية وتمسكه بآداب الصوم يحطم في كل لحظة من لحظات صومه قيود الأسر واحداً بعد الآخر ويتخلص من الضغوط ومن غرائزه الحيوانية. وكل من يسأل كيف يمكنني أن أحدّ من غضبي وأسيطر على أعصابي؟ كيف يمكنني أن أكون هادئاً وصبوراً؟ كيف أستطيع السيطرة على نفسي؟ كيف يمكنني أن أكون حسن الأخلاق والطباع؟ وكيف...؟ فإننا نقول له بأن عليك أن تمتثل لأمر الله وتصوم كما يصوم سائر المؤمنين وأن تلتزم بآداب الصيام بدقة لكي تصل إلى قمة الشرف والكرامة والحرية. والآن لنقرأ هذه الرسالة:

الرسالة: ... لأني أعلم بأنكم لا تكشفون سرّي فإني أستطيع أن أتحدث عن نفسي وعن أخلاقي بحرية وأطلب منكم أن ترشدوني... إني أبدو في ظاهري

أنيقاً حسن المظهر والأخلاق ولكني في الحقيقة حاد المزاج شديد العصبية وسريع الغضب وعندما أغضب لا أستطيع السيطرة على نفسي إلى درجة أني أرمي لا إرادياً ما بيدي من صحن أو إناء أو إبريق فيه ماء مغلي، وكأني أفقد كل إدراكي وفهمي ومشاعري وأحياناً أضرب رأسي بشدة بحيث تسيل الدماء منّي. ولم تمض سوى عدة أشهر على زواجي، حتى فقدت أعصابي مرة فرميت إبريق الشاي الذي في يدي باتجاه زوجتي فتحطم الإبريق وصرخت زوجتي من شدة الفزع والخوف وسقطت على الأرض... وبعد عدة ساعات من هذا الحادث شعرت بخجل شديد واعتذرت منها وقررت أن لا أغضب بعد ذلك وعاهدتها على ذلك...

ولكن مع الأسف تخليت عن قراري مرات عديدة ونقضت عهدي وارتكبت نفس الأعمال السابقة بل أقبح وأخطر منها وفي كل مرة كنت أشعر بالخجل والندم... أريد أن أسيطر على نفسي أريد أن أتغلب على غضبي ولكني لا أستطيع ذلك، حيث يجتاح الغضب كل كياني ووجودي وكأنه كابوس مرعب ويجعلني أنسى كل شيء... قولوا لي كيف يمكنني أن...؟

الغضب له بداية ونهاية. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: [الحدةُ ضرب من الجنون، لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونُهُ مُستحكم][1].

ولكي لا تبتلوا بالجنون ولكي لا تتعرضوا للذلّ والخجل والندامة فلا تستعجلوا في الاستجابة لغريزة الغضب لأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [من طبائع الجهال التسرع إلى الغضب في كل حال][2].

ويقول عليه السلام أيضاً: [الغضب نار موقدة من كظمه أطفاها، ومن أطلقه كان أول محترق بها][3] أي إن الغضب نار إن استوعبتها في بدايتها والتزمت الصمت فإنك تكون قد أطفأتها وإذا تركتها وبدأت بالصراخ فإنها تستعر أكثر وتحرقك أنت

---

(١) نهج البلاغة ص ٦٨١ قصار الكلمات رقم ٢٥٧.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم حرف الميم.
(٣) غرر الحكم حرف الغين.

ومن حولك وتنتج عن ذلك الحوادث السيئة التي ذكرتها. ومن أجل أن تريد وتستطيع أن تحقق ما تريده ومن أجل أن لا تنقض عهودك مرات ومرات ولا تضرب رأسك ومن أجل أن لا تحرق نفسك وأسرتك ومحبتك وسعادتك في نار الغضب عليك أن تقوي عزيمتك وإرادتك وتمرّن نفسك على «ضبط النفس والسيطرة على الغرائز» أي عليك أن تصوم صياماً واقعياً لأن الصيام يقوي العزيمة والإرادة ويسيطر على الغرائز قبل أن تتمرد ويفلت زمامها من أيدينا. الصيام يكبح جماح أقوى الغرائز وهما غريزتي الجوع والعطش ويحدّ من سيطرتهما على وجود الإنسان وكيانه. وبذلك فالصيام يزيد من قدرة الفرد على التغلب على سائر الغرائز ولا سيما غريزة الغضب أو الغيظ.

ما هي حكمة الصوم؟

تمعنوا في الحديث الشريف التالي ومن خلال تفكركم بحكمة الصوم اجعلوا أنفسكم في عداد الصائمين. اصبروا وصابروا وخلصوا أنفسكم من شيطان الغضب. فقد جاء رجل إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وسأله عن حكمة وجوب الصيام فقال له عليه السلام: [إنما أُمروا بالصوم لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات ويكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ورائضاً لهم على أداء ما كلفهم. . .][(١)].

وفي الختام أعرب عن شكري وتقديري لك أيها الأخ الكريم لتحليك بهذه الشجاعة التي جعلتك تكتب لي عن أخلاقك. وأنهي كلامي بكلام للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: [من خاف الله لم يشف غيظه ولا يشفي غليل غضبه][(٢)].

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ ص ٤ حديث ١٢٧٠٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم حرف الميم.

الفصل (٣٩)

«المرض العضال»

هل تعلمون ما هو أصعب بلاء يتعرض له الإنسان؟ الفقر والعوز، هو أحد أصعب البلايا؟ صحيح. بلاء الفقر والفاقة صعب جداً، ولكنه ليس من أصعب البلايا جميعاً. المرض؟ المرض هو أصعب من الفقر والحاجة، لأنكم إذا كنتم تملكون جميع ثروات الدنيا وتمتلكون الغابات والسهول والبحار، ولكنكم تعانون من مرض ما، فكيف بإمكانكم أن تستفيدوا من كل تلك الثروات؟ إنها جميعها تبدو في نظركم تافهة لا قيمة لها.

نعم إن المرض هو أصعب على الإنسان من الفقر. ولكنه مع ذلك ليس أصعب البلايا التي تقع على الإنسان. فأصعب البلايا هو مرض النفس واعتلال الروح. لعلنا لم نشعر بالأمس وحتى الآن بمرض النفس الذي نعاني منه ولم نكن على علم بما يسببه لنا من ألم يرهق النفس، ولكن عندما نصل في المستقبل إلى مرحلة الوعي سنشعر بمرض الروح والنفس وسنضطرب ونعاني من شدة الألم والعذاب. وإذا كنتم لم تشعروا عن كثب وبشكل ملموس بمرض الروح فإن بإمكانكم أن تلاحظوا من خلال الرسالة التالية نموذجاً لأكثر البلايا إيلاماً:

الرسالة: ... **إن كل لحظة هي بالنسبة لي كقرن من الزمان، الحياة بالنسبة لي مرّة وثقيلة، فأنا وحيد لا ملجأ لي ولا مأوى، أصدقائي غير أوفياء ولا يدركون معاناتي وآلامي وهم يكتفون بالكلام وإعطاء الوعود وعند التنفيذ يصبحون عديمي الإرادة والقدرة... والأسوأ من ذلك أن لي أيضاً نفس الطباع. فقد قرت مرات ومرات أن أغير من طباعي هذه ووضعت خططاً**

وبرامج لنفسي لهذا الغرض ولكني لم أتمكن من تنفيذ ما صممت عليه ونقضت جميع عهودي وتعهداتي. فأسوأ ما كنت أعاني منه هو فقدان وعدم القدرة على اتخاذ القرار وعبادة المال والثروة والنفاق. أحياناً كنت أتصور نفسي إنساناً صالحاً وطيباً ولكن عندما كان يحين وقت العمل والتنفيذ كنت أرى نفسي أضحي بكل شيء وأتخلى عن الجميع من أجل المادة والمكسب المادي... أريد أن أهرب من نفسي ولكن أينما ذهبت أرى ظل إرادتي الضعيفة المهتزة يلاحقني...
أحياناً أقرر أن أصحح تصرفاتي وأتعامل مع أهلي وأسرتي بمحبة وحنان، أقرر أن أكون صادقاً مع الآخرين ووفياً لهم، ولكني سرعان ما أرى أمامي من يضحك عليّ بصوت عالٍ ويستهزىء بي ويجعلني أتخلى عن قراري. وكلما أهرب منه لا يبتعد عنّي. يلازمني دائماً ويقض مضجعي بابتسامته اللاذعة ووساوسه المشينة ويعزّز فيّ حالة انعدام الإرادة والمراء والنفاق. حبذا لو كنت أستطيع الانتحار، لقتلت نفسي واسترحت وهدأت ولو للحظة واحدة. رغم أني أعيش حالة رفاه مادي كامل ولكني أشعر بالتفاهة والضعف...
إني أعرف ماذا سيكون ردكم عليّ: تقولون لي: الانتحار حرام... يتبعه العذاب ونار جهنم... لا تفقد الأمل تخلص من هذه الأفكار والأوهام. ولكن كيف أستطيع ذلك؟! كيف يمكنني أن أبعد عن نفسي هذا الشعور بالتفاهة وعدم الإرادة؟ كيف يكون لدي أمل في حياة مرّة قاسية يسودها التردد والشك؟ كيف يمكنني أن أقرر بأن أصبح إنساناً صالحاً؟ وفي وقت أرى فيه أن الإرادة قد ماتت في وجودي!..

أخي العزيز! كن واثقاً أن الإنسان طالما هو حي يرزق فإن إرادته أيضاً حية وباقية، نعم! قد تكون هذه الإرادة ضعيفة ومنهكة ومنهارة ولكن بالإمكان معالجتها وجعلها تقف على قدميها. إن السبيل لمعالجة فقدان الإرادة وعدم القدرة على التصميم وجميع الأمراض النفسية الأُخرى التي أشرت إليها (كالشعور بالتفاهة والشك والتردد والشعور بالإحباط واليأس والوحدة والرياء وعدم الوفاء و...). يكمن في العودة عن الطريق الذي وصلت إلى نهايته والذي أوصلك إلى هذه

المساوىء وألحق بك هذه الأشرار. وإني أتصور بأن هذه الأمراض المرهقة على الأرجح نتيجة «الحياة المرفهة التي تعيشها ومجالستك لأصدقاء غير أوفياء لا إيمان لهم».

تسألون: كيف نستطيع أن نستعيد إرادتنا المنهارة؟ ونعود إلى طريق الصواب؟ ورداً على سؤالك نقول: يحلّ علينا الآن شهر رمضان بأيامه النورانية المضيئة ولياليه الروحانية. وبمناسبة هذا الشعر الكريم، أطلب منك أيها الأخ الكريم أن تبتعد عن أصدقاء السوء الذين لا وفاء لهم وتنضم إلى عباد الله الصائمين وتكون معهم وقت الإفطار ووقت السحر وعليك أن تعرف قدر هذه الفرصة الثمينة وأن تبادر ـ بنية إلهية خالصة وبصدق ووعي ـ إلى الصيام والعبادة والمناجاة مع الله وخدمة خلق الله. حيث يقول النبي الأكرم ﷺ: [صوموا تصحوا] فالصيام سلامة وصحة للجسم والروح كما أن الصيام يقوي العزيمة والإيمان. فالصائم بتحمّله للجوع والعطش، يصقل روحه ويبعد عن نفسه الأدران والأقذار ويقوي بذلك ملكة الصبر والإرادة لديه. وقد أوجب الله سبحانه وتعالى الذي هو الطبيب الحقيقي لروح الإنسان، الصيام وفرضه على الناس للوقاية من تلك الأمراض ومعالجتها. فقد جاء في كتاب وسائل الشيعة الجزء السابع في باب وجوب الصوم، عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام ما مضمونه:

فقد فرض الله الصيام لكي نشعر بمشقة الجوع وحرقة العطش ونتخلص من حياة الترف والرفاهية وحب الراحة ولكي نتذكر عالم الآخرة والقيامة ولا ننسى فقرنا في ذلك اليوم ونأخذ الزاد إلى يوم المعاد حيث إن الجوع والعطش الحقيقيين يؤذي الفقراء المعذبين في أعماق نفوسهم ونحمل زاد التقوى إلى ذلك اليوم. ولكي نقوي قدرتنا وعزيمتنا أمام أهواء النفس والشهوات ولكي نثبت خضوعنا وتذللنا أمام خالقنا الرحمن الرحيم، وندرك الهدف من الحياة وندرك بالتالي أنفسنا ونتخلص من الشعور بالتفاهة. وإن الله فرض علينا الصيام لكي نزداد أملاً وثقة بالحياة ونقوي لدينا القدرة على الصبر والتحمّل ونكون راضين ومتشوقين لأداء الفرائض والواجبات الإلهية. وذلك من خلال الاستئناس مع الله وتأمّل لطفه ورحمته.

وكن على ثقة بأنك إذا ما أدّيت فريضة الصيام والتحقت بجموع المصلين في

المساجد آخذاً بعين الاعتبار تلك القيم والآداب والسنن الدقيقة والمحكمة التي شرعها الله سبحانه وتعالى للصائمين وفرض عليهم الالتزام بها، فإنك تكون قد طهرت جسمك وروحك من تلك الأمراض الناتجة عن الأقذار والأدران وعند ذلك فإن الحياة ستصبح في نظرك نظيفة ونقية وممتعة وستصبح إرادتك وتصميمك أقوى وأمتن وأكثر تحركاً من ذي قبل. وكن واثقاً بأنك إذا اتبعت هذا الأسلوب فإنك وفي ختام شهر رمضان المبارك ستنال ـ بفضل الله تعالى وكرمه ـ مغفرة الباري تعالى ورحمته وعفوه وعند ذلك ستشعر وتلمس بنفسك حالة من الصفاء والحيوية والسعادة تغمر وجودك وستلاحظ في الأيام الأخيرة من شهر رمضان بأن روحك مفعمة بالنشاط والعزيمة والإيمان وعندها ستدرك بأن شهر رمضان هو شهر البركة شهر الشفاء شهر العزيمة والإرادة وشهر الكفاح والمقاومة والشوق والأمل والإيمان.

بشرى لجابر ولجميع المسلمين

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبدالله: يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله[1] وعفّ بطنه وفرجه وكف لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر[2].

نسأله تعالى أن يوفقنا لنكون من الصائمين الحقيقيين وأن نرافقهم إلى ضيافة الله لنصل إلى الهدف الأسمى وأن نحظى بالأجر والمكافأة الخاصة من الباري سبحانه وتعالى ونأمل أن نأخذ من فريضة الصيام دروساً في الخوف من الله والتقوى ونتغلب بالتالي على الغضب وعلى كل الصفات الذميمة..

(١) أي قسماً منه.
(٢) الفروع من الكافي، ج٤ ص ٨٩ باب ١١ ح٢.

الفصل (٤٠)

ما هي الصلاة؟ ولماذا نصلي؟
كيف أعيش مع زوجي الذي لا يصلي؟

الصلاة هي ذكر الله، وذهاب إلى ضيافة الله الكبرى والوقوف أمام عظمته بأمل وأدب والإعراب عن الشكر والامتنان له وطلب الحاجة منه والتضرع إليه. فالمصلي يقف بكل خضوع وخشوع أمام الله العزيز العظيم ويقرّ بربوبيته ويطرد عن نفسه كل أنواع الشرك بالله ويعترف بوحدانية الباري جل وعلا ويلتمس منه العذر والمغفرة لذنوبه السابقة. فالمصلي يضع وجهه على الأرض خمس مرات في اليوم لكي لا ينسى خالقه الذي خلق الإنسان من نطفة مهينة وأعطاه السمع والبصر والعقل والذكاء ومنحه الحياة ولكي لا يتمرد على ما أمر به الله ولا يرتكب المعاصي والموبقات وينسى نفسه والهدف من وجوده وخلقه. الإنسان يصلي لكي لا ينسى الله الرؤوف الرحيم الذي خلقه ورزقه وهو مولاه ومدبّر أموره ومعيشته وبالتالي لكي لا ينجرف أو يميل إلى السوء والضلال.

نبي الإسلام الرسول المصطفى ﷺ يعتبر الصلاة كنبع الماء الزلال الصافي وكالعين التي يتدفق منها الماء حيث يغتسل فيها الإنسان المؤمن ويطهّر نفسه بها خمس مرات في اليوم وينظف روحه من جميع القبائح والمساوىء ويتخلص من جميع الأقذار والأدران. الصلاة هي ذكر لله وهذا الذكر النوراني والسماوي يمنع الإنسان الذي يعيش فوق هذه الأرض الترابية من ارتكاب الذنوب والمعاصي ويحفظه من المفاسد على اختلاف أنواعها وبالتالي فإن ذكر الله يسمو بالإنسان ويجعله يقترب من خالقه.

والآن ومع الأخذ بعين الاعتبار مفهوم الصلاة وأهميتها من الناحية المعنوية ومن الناحية التربوية أيضاً، ما هو ردكم على السؤال الذي ورد من خلال الرسالة التالية التي بعثت بها إلينا إحدى الأخوات الكريمات:

الرسالة: . . . منذ فترة جاء شاب يطلب يدي للزواج وأكثر والدا هذا الشاب في التردد على بيتنا وهما يصرّان على أن يخطباني لابنهما. أسرة الشاب أسرة محترمة ومعروفة ويقولون بأن والده ووالدته طيبان ومؤمنان ولكن الشاب نفسه لا يصلي. فهو بنفسه قال لي: القلب يجب أن يكون نظيفاً ومع الله. الصلاة ليست مهمة، ما علاقة الصلاة بالحياة؟ إذا أردت أن تصلّي، فصلّي، ما شأنك أنت إن أنا صليت أم لا؟ والدي ووالدتي تركا لي الخيار في قبول هذا الشاب أو رفضه، فهل أقبل به وأتزوجه؟ وهل سأعيش حياة سعيدة معه؟ ماذا أقول له. . . أرجو أن ترشدوني. .

أيتها الأخت الكريمة!

إن الشاب الذي لا يصلّي ولا يقبل الإرشاد والهداية فإنه لا يفهم حقيقة الدين. فالصلاة هي حقّ الله فكيف تتوقعين من الشخص الذي لا يراعي حق الله ولا يفي بما عاهد الله به، أن يؤدي حقك ويفي بما تعهد به لك؟! فالذي لا يطهّر نفسه بينبوع الصلاة فإن الأوساخ والأدران تكسو جسمه فتنبعث منه رائحة كريهة ويصبح عبداً للشيطان الذي يحثه على ارتكاب المزيد من الأعمال القبيحة والمعاصي ويجعله ينجرف نحو معاصٍ أعظم وذنوب أكبر. إذن كيف يمكنك أن تعيشي حياة سعيدة هانئة مع شخص كهذا؟ كيف يمكنك أن تثقي بأمانته ووفائه؟ كيف يمكنك أن تقبلي به زوجاً لك؟ ولكي تدركي بشكل أفضل النتائج السيئة والمؤذية التي تترتب على ترك الصلاة وعدم الاعتناء بها وكيف أن الشخص الذي لا يصلّي يخسر ويضيّع دنياه وآخرته وأن الاستخفاف بالصلاة والاستهانة بها يجعل الشخص سيىء الخلق يعيش حياة قلقة مضطربة مظلمة، لكي تفهمي كل هذه الأمور طالعي هذه الرسالة التي وصلتنا من أخ كريم:

الرسالة: . . . في عام. . . عرّفوني على فتاة لغرض الزواج منها فذهبنا لخطبتها وتحدثنا عن كل شيء. . . وقد طرحت أنا بعض الأسئلة على أهل الفتاة

منها، هل أن ابنتكم تصلي؟ وهل تعمل بواجباتها الشرعية؟... فكان ردهم عليّ بالإيجاب، ولكن بعد أن تحققت في الأمر قليلاً اكتشفت أن بعض ما أخبروني به لم يكن صحيحاً ولذلك قررت أن أغض النظر عن الزواج منها. ولكن نتيجة لإصرار والدتي اضطررت أن أسمع كلامها وأتزوج من تلك الفتاة. في بداية حياتنا الزوجية كانت تصرفاتها وأخلاقها جيدة جداً... ولكن ذلك لم يستمر سوى عدة أشهر فقط حيث بدأت زوجتي تتخلّى عن كل شيء فهي لا تصلي ولا تصوم وتثير النقاش والجدل والنزاع معي حول أمور تافهة وتضرب الأطفال بقسوة وبدأت تظهر عليها آلاف الخصال والصفات السيئة. فهي لا تعرف شيئاً سوى ارتداء الملابس الأنيقة والذهاب إلى المآدب والحفلات دون إذن مني وهي تكرر القول: «إني لا أستطيع أن أعيش وحيدة في هذا المنزل»... قررت أن أطلقها ولكني ومن أجل طفليّ لم أطلقها بعد. أرجوكم أن تنصحوها من خلال برامج التلفزيون وتتكلموا عن أهمية الصلاة، كما أرجو أن تجيبوني خطياً وتقولوا لي ماذا أفعل؟

لاحظت أيتها الأخت الكريمة كيف أن تارك الصلاة يتنكّر لكل شيء ويتخلى عن كل شيء ويفقد صفاته وخصاله الحسنة تدريجياً؟! فعندما ينسى الشخص صلاته ويغفل عنها فإنه يغفل شيئاً فشيئاً عن ذكر الله ويفقد طهارة ونظافة قلبه وينطفىء نور الإيمان فيه ويصبح مظلماً، وتعمّه القساوة وعدم الوفاء. وأنت أيها الأخ الكريم يجب أن تعلم بأن الصلاة هي غصن يانع من أغصان شجرة المعرفة والوعي وعندما تكون جذور هذه الشجرة ميتة فكيف يمكننا أن نتصور أن تكون أغصانها خضراء يانعة؟!

وعلى هذا الأساس عليك أولاً أن تحيي في قلب زوجك الإيمان بالله والاعتقاد بالآخرة ويوم المعاد، وتجعليه يؤمن بأن الإنسان لم يخلق عبثاً وهو سيعيش بعد الموت حياة خالدة وباقية لا تفنى وأن الله الخالق القدير سوف يحاسبه يوم القيامة على أعماله وتصرفاته. وبعد ذلك قولي له بأن جميع الأنبياء والمرسلين ولا سيما خاتمهم محمد المصطفى ﷺ أكدوا كثيراً على الصلاة ووجوب الالتزام بها. حيث قال النبي ﷺ: [حافظوا على الصلوات الخمس فإن الله

تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد، فأول شيء يسأل عنه الصلاة فإن جاء بها تاماً وإلا زخ في النار][1].

وجاء في الحديث الشريف أيضاً: [الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها][2].

ونحن كلنا أمل في أن تتمكني من جعل زوجك يعي ويدرك قيمة وأهمية وجوده في هذه الدنيا وتجعليه أيضاً يتعرف على الله ويعيد علاقته بخالقه بعد أن كان قد قطع صلته بالباري سبحانه وتعالى وعليك أن تحثيه وتشجعيه على معاشرة ومصادقة الأفراد المؤمنين الملتزمين بصلاتهم لكي يتعرف بذلك على هذا الينبوع الوضاء ألا وهو الصلاة.

نتمنى لك التوفيق.

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠ ص ٣٦٩.

(٢) المترجم.

الفصل (٤١)

علاج اليأس والقلق

هل دعوتم الله مرة وهل لا زلتم تدعونه؟ هل اكتشفتم دور الدعاء في إيجاد حالة من الخشوع والاستقرار النفسي لدى الإنسان؟ وهل تعرفون ما هو الدعاء وما هي قيمته وأهميته؟

الدعاء يعني أن يدعو الشخص ربّه إليه ويسلّم له قلبه ويصارحه بما يختلج في نفسه، الدعاء هو أن يأنس الإنسان مع الله ويتكلّم معه ويطلب منه حاجة ويرجوه أمراً ما فقد قال أبو عبدالله عليه السلام : [الدعاءُ يردُ القضاء بعدما أُبرم إبراماً. فأكثر من الدعاء فإنه مفتاحُ كلِّ رحمةٍ ونجاح كلّ حاجة ولا يُنال ما عند الله عز وجل إلاّ بالدعاء وإنه ليس باب يكثر قرعه إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه][١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : [الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح][٢].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : [عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء][٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : [ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى. قال: تدعون ربّكم بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء][٤].

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص ٤٥٩ باب ٣. وبحار الأنوار ج٩٣ باب الدعاء.

(٢) أصول الكافي ج٢ ص ٤٥٧ باب الدعاء.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مكارم الأخلاق، ص ٢٩٧.

ولكن ما هي حقيقة الدعاء بحيث احتل هذه المكانة الرفيعة وأصبح بهذا القدر من القيمة والأهمية؟ وما يفعل الدعاء بالإنسان بحيث إن الله سبحانه وتعالى جعل قيمة الإنسان كلها مرتبطة بالدعاء حيث خاطب تبارك وتعالى نبيه الكريم: **﴿قُل ما يَعبأ بكُم ربّي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لِزاماً﴾**[1].

إن الدعاء في حقيقته هو الارتباط الذي يحصل عن وعي ومعرفة بين قلب الإنسان (روح الإنسان ومشاعره) وبين ربّه الغني الحميد. هذه البركة الصغيرة تتصل من خلال الدعاء بالرحمة الإلهية الواسعة التي هي كالبحر لا حدود لها وبهذا الاتصال فإن هذه البركة الصغيرة (التي هي روح الإنسان وفؤاده الواعي) تنجو من التعب والذبول وبالتالي يجد الإنسان أن جميع آماله قد تحققت وبشكل أفضل وأنه وصل إلى كل ما كان يصبو إليه وتخلّص من الفقر والفاقة وعندها يدرك المعنى والمفهوم الحقيقي للحياة وينسى الكآبة والإحساس بالضياع وعدم جدوى هذه الحياة وينفض عنه كل أنواع العذاب والشقاء ويصل بالتالي إلى ساحل الاستقرار والسلامة بفضل أمواج الرحمة الإلهية. وخلاصة الكلام إنّ الإنسان عندما يدعو الله فهو يطلق وجوده وكيانه المتناهي في الصغر في البحر اللامتناهي فيغرق في العزّة والكرامة وعلى هذا الأساس ومن منطلق هذا المعنى السامي فإن قيمة الوجود الإنساني بأكمله تتمثل في الدعاء والمناجاة حيث إن [الدعاء هو شفاء من كل داء][2].

وبإمكانك أيها القارىء الكريم أن تلاحظ من خلال الرسالة التالية كيف تتجلى هذه الأهمية العظيمة للدعاء والتي من شأنها أن تمنح تلك القيمة الكبرى للوجود الإنساني.

الرسالة: . . . لقد مررت بأيام صعبة وعصيبة. فقد كنت أعاني من الاضطراب والقلق، كما كنت أشعر بالضياع وعدم جدوى العيش في هذه الدنيا وعدم جدوى حياتي كلها، فقد مللت وسئمت من كل شيء. . وقد أشار عليّ أحد الأصدقاء أن ألجأ إلى الدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعالى وأن

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٧.

(٢) أصول الكافي ج٢ عن أمير المؤمنين والإمام الصادق عليهما السلام.

أطلب منه جل وعلا أن يعيد إليّ الطمأنينة والاستقرار والراحة النفسية وبالفعل فقد اتجهت إلى الدعاء وصرت أدعو الله بدعاء علّمني إياه صديقي المذكور، فزال عنّي القلق والاضطراب وبت أشعر بهدوء واستقرار عجيبين. . . ولحد الآن عندما أشعر بأن المشاكل والصعوبات قد تراكمت عليّ وأن بعض الأمور باتت تسبب لي القلق والاضطراب فإني أتوجه إلى مرقد أحد الأولياء الصالحين من أبناء أحد الأئمة عليهم السلام وهذا المرقد يقع بالقرب من منزلنا وهناك أدعو الله وأتحدث معه بكل بساطة وبعد فترة من الدعاء والابتهال إلى الله أشعر بنور يغمر أعماق قلبي وأشعر بروح تنبعث في كياني من جديد وتبدو مشاكلي بسيطة وهينة وتافهة وتسيطر عليّ حالة أشعر معها وكأني لا أحتاج إلاّ إلى الدعاء والمناجاة مع الله، وعندما أشعر بارتياح عجيب ويزول عني القلق والاضطراب نهائياً وأبدأ أقول في نفسي، «تكلم مع الله فقط وليكن أملك بالله وحده. . .».

وأنت أيضاً أيها القارىء الكريم هل ترغب بأن يغمر النور قلبك؟ وهل تريد التخلص من القلق والاضطراب وهل تريد أن يستجاب دعاؤك؟ إذن أُدع الله بقلبٍ واعٍ وسليم.

ولكن قبل أن تنطق بالدعاء والابتهال إلى الله عليك أن تطهّر نفسك وتنظف قلبك من الضغينة والقساوة والبغضاء فقد جاء في رواية منقولة عن أمير المؤمنين والإمام جعفر الصادق عليهما السلام: [عندما تخشع قلوبكم النظيفة أثناء المناجاة والدعاء وتنهمر دموعكم فذلك دليل على قبول دعائكم وتحقق أمنياتكم][1].

ولكن هل تعلمون متى يكون الدعاء أعظم أثراً وأسرع استجابة من قبل الله؟ إنه الدعاء الذي ينطلق من قلب متّق ونزيه ونظيف بعيداً عن الحقد والكذب والحسد[2].

---

(١) أصول الكافي ج٢.

(٢) تنبيه الخواطر عن الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

إذن حريّ بنا أن نحيي ليالينا في الدعاء ومناجاة الله تبارك وتعالى ونبكي من خشية الله لكي نطهر بذلك قلوبنا ولندعو ربنا ونتضرع ونتوسل إليه ما استطعنا ذلك فإن الله تعالى يتقبل دعاء عباده ويلبّي حاجاتهم.

الفصل (٤٢)

الزوج والزوجة كيف يجب أن يصلح أحدهما أخطاء وعيوب الآخر؟

إذا قيل لكم إن واحدةً من أسنانكم أصبحت تالفة ويجب استئصالها فماذا تقولون وماذا سيكون ردّكم؟ في البداية قد تتألمون قليلاً وترفضون استئصال هذه السنّ التالفة. لأنه من الصعب على الإنسان أن يقبل ويعترف بوجود عيب أو نقص فيه وبالتالي فهو لا يصدق أن يكون عضو من أعضاء جسمه مصاباً بالتلف. ولكن ما هو الحل؟ يجب على الإنسان أن يطلع على عيوبه ونقائصه ويحاول أن يعالجها ويصلحها رغم أن هذا الاطلاع على العيوب والنقائص قد يجعل صاحبها ينزعج ويتألم. ولكن من المؤكد أنكم عندما تطلعون على عيوبكم، تحصل لديكم القناعة بأن هذه السنّ أصبحت متآكلة وتالفة مما يجعل رائحة الفم كريهة وبالتالي يعرض صحتكم للخطر وعليه فمن الضروري استئصال هذه السنّ والتخلص منها. ولكن هل يستطيع أياً كان أن يقوم بهذه العملية الجراحية؟ وإذا ما حاول شخص غير متخصص استئصال السن التالفة المؤذية فإن ذلك يسبب لكم ألماً شديداً. إذن فالأمر يحتاج إلى شخص متخصص وواعٍ وخبير يقوم بالعمل بكل دقة وعناية بعد القيام بالاستعدادات وتوفير الإمكانات اللّازمة لذلك. إن التعرف على جانب من الفساد الخلقي في المجتمع والعمل على إزالته هو أصعب بكثير من عملية استئصال السنّ التالفة. لأن كل إنسان يؤمن عادة بأن مطاليبه وأفكاره وأسلوبه في الحياة هو من أفضل الأساليب وأكثرها دقة. والإنسان لا يعترف بهذه السهولة بوجود نبتة فاسدة في قلبه ولا يقرّ بأن تصرفاته المنحرفة جعلت من وجوده وجوداً

مريضاً وأن أخلاقه السيئة المهترئة جعلت منه شخصاً قبيحاً كريه الرائحة.

إذن ما هو الحل؟ هل أننا لا نستطيع أن نبادر إلى إصلاح الآخرين لأنهم لا يقبلون كلام أحد وينزعجون ويتأثرون ممن يحاول أن ينصحهم ويلفت انتباههم إلى عيوبهم؟ وهل لا يجب أن نذكر الآخرين بعيوبهم ومساوئهم؟ ألا يجب أن نطلعهم على حقيقة أخلاقهم وتصرفاتهم؟ بلى! يجب أن نطلعهم على عيوبهم ونلفت انتباههم إلى الجوانب السيئة في أخلاقهم وتصرفاتهم ونحاول إصلاحهم شريطة أن نقوم بذلك بعد إيجاد التمهيدات وإعداد المقدمات واتخاذ الاستعدادات اللازمة والمطلوبة للقيام بهذه المهمة وذلك بشكل دقيق ومدروس وفي إطار من الودّ والصداقة ومراقبة كل جوانب الأمر وعلى النحو التالي:

أ ـ إذا كنا حقيقة نعتبر العيوب الخلقية عند الآخرين عاراً وفساداً وأمراضاً يصاب بها الشخص وإذا كنا نتألم ونتعذب لمشاهدتنا تلك الأمراض الخلقية والسلوكية عند بعض الناس وقررنا المساهمة في إصلاح تلك العيوب وجعل مثل هؤلاء الأشخاص يستعيدون سلامتهم على الصعيد الخلقي والسلوكي فيجب علينا أولاً أن ننظر إلى أنفسنا ونتعرف على أمراضنا الخلقية ونفكر في معالجة أنفسنا واستعادة سلامتنا. فالإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: [عجبت لمن ينكر عيوب الناس ونفسه أكثر شيء معاباً ولا يبصرها][1].

ب ـ لنقم بدور الطبيب لمعالجة وإصلاح عيوب الآخرين ونتجنب البحث عن عيوبهم وتوجيه اللوم والانتقاد إليهم.

ج ـ لنكن حذرين وواعين لكي لا تواجه جهودنا السامية من أجل إصلاح الآخرين وضمان سلامتهم الخلقية أية عقبات أو عراقيل ولكي لا يتحول أسلوبنا ونهجنا في معالجة عيوب وانحرافات الآخرين إلى أداة للبحث عن عيوبهم واستغلال أخطائهم للتشهير بهم وتوجيه الانتقادات إليهم. لأن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: [تتبع العيوب من أقبح العيوب وشر السيئات][2].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي حرف العين.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.

ويقول عليه السلام أيضاً: [العيّاب هو من أبغض الناس][1]. إن البحث عن عيوب الآخرين يذبل شجرة الصداقة والمحبة والنظر إلى عيوب الآخرين ينبت أشواك الغضب والعداوة والبغضاء في القلب ويفكك عرى الحياة العائلية ويجعلها مرّة ومضطربة لأن «كل من يبحث وينظر إلى عيوب الآخرين فإن الله تبارك وتعالى يحرمه من محبة الآخرين».

لاحظوا الرسالة التالية. فقد بدأت الأمور بحسن النية ومحاولة إصلاح العيوب وعلاجها ولكنها انتهت بعد ذلك بسوء العاقبة وبروز المشاكل بين الزوج والزوجة:

الرسالة: ... **لقد قررت أنا وزوجي في بداية زواجنا أن نراعي ضمن أسرتنا الصغيرة مبادىء الأدب والأخلاق الحسنة في تعامل كل واحدٍ منا مع الآخر وأن ينبه كل واحد منا الآخر على عيوبه وأن نصارح بعضنا بعضاً بتلك العيوب لغرض إصلاحها... ومضت الأشهر الأولى بشكل جيد ولكن الوضع أخذ يتغير شيئاً فشيئاً حيث أصبح كل واحد منا يصر على إثبات صحة كلامه وتصرفاته ويتشبث بكلامه ولا يتراجع عنه وكان كل منّا يحاول لفت انتباه الآخر لعيوبه وأخطائه... حتى وصل الأمر إلى استخدام القوة والعنف. فبدل أن يصارحني بعيوبي وأخطائي فإنه يهينني ويحقرني باستمرار ويوجه لي انتقادات لا مبرر ولا داعي لها ويقول لي: إنك لا تجيدين أي عمل. إنك لست فنانة وبارعة كزوجات أصدقائي. إنك لا تجيدين تربية الأطفال. الطعام الذي تعدينه لا يؤكل إطلاقاً... إني لا أرتاح إلى مظهرك وشكلك لا يعجبني. ليتني تزوجت من المرأة الفلانية فهي أجمل منك وأكثر فهماً وتدبيراً... ما أسوأ حظي الذي جعلني أُبتلى بك...**

ونحن الآن على وشك الطلاق، بالله عليكم ساعدوني لأني لا أريد الطلاق أبداً.

١ ـ لعلك أنت أيضاً تبالغين في انتقاد زوجك وتصرّين على إظهار عيوبه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.

وأخطائه. وطبقاً لما اتفقت عليه مع زوجك بأن يبين كل واحد للآخر عيوبه ـ وهو اتفاق غير صحيح بطبيعة الحال ـ فإنك كنت تتصورين بأنك تلفتين انتباهه إلى أخطائه وعيوبه وتنبهينه إليها (لكي يبادر هو إلى إصلاحها) ولكن الحقيقة هي أنك بأسلوبك هذا جعلتِه يتألم ويتأذى ويفقد صبره ويغضب وأوجدت نوعاً من المنافسة الباطلة بينكما (هذه المنافسة وهذا التحدي الذي أدى بكِ إلى هذا الحال). وليتك أدركت منذ البداية بأن البحث بشكل مستمر عن عيوب وأخطاء أي إنسان وطرحها أمامه بشكل غير مدروس ودون الأخذ بعين الاعتبار مدى تقبل هذا الشخص وتحمّله للانتقاد، يمكن أن تترتب عليه مثل هذه النتائج غير المطلوبة.

٢ ـ صحيح أن معرفة المرء بعيوب نفسه أنفع المعارف كما يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام [١] ولكن الزوج والزوجة كليهما يجب أن يعرفا بأن الإنسان لا يمكنه بهذه البساطة والسرعة أن يتوصل إلى هذه القناعة وهذا الوعي والتفهم (في مجال معرفته بعيوبه ونقائصه) وبالتالي يجب إيصاله إلى قمة هذا الوعي والإدراك (لحقيقة عيوبه وأمراضه الخلقية) باتباع أسلوب لطيف جداً مع مراعاة أصول الأدب والاحترام بشكل كامل ودقيق ولنعلم بأن اتباع أسلوب العنف والتشبث بالرأي لا ينتج عنه سوى العناد والملل والتذمّر والامتعاض. حيث يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال: [اخلط الشدة برفق وارفق ما كان الرفق أوفق][٢] ما يعنيه الإمام عليه السلام أن الشدة والعنف من أسوأ الأخلاق وأقبح الأساليب والرفق والمداراة مفتاح كل نجاح وأعظم الحسنات وأنجح الأساليب.

٣ ـ قبل أن يتطرق الزوجان إلى عيوب بعضهما البعض ويستعرض كل منهما المساوىء الخلقية للآخر، يجب على كل منهما أن يتأمل ويفكر في عيوبه ومساوئه ونقائصه الخلقية ويحاسب نفسه ويحاكمها لأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [من حاسب نفسه على العيوب وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه واستقال الذنوب وأصلح العيوب][٣]. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: [من أبصر عيب

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.

نفسه اشتغل عن عيب غيره][1].

٤ ـ الحل هو أن تكفّا عن استعراض عيوب ومساوىء بعضكما البعض لأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [العيّاب مذموم][2] وعليك أيتها الأخت الكريمة أن تزيدي من احترامك وإكرامك وتقديرك لزوجك وتصوريه بأنه أفضل زوج يمكن أن تحظي به. إبحثي عن محاسنه وصفاته وخصاله الحسنة والطيبة والمميزة واعثري عليها واذكريها له ولأقاربه وذويه في حضوره وفي غيابه وأثني عليه وقدّريه على تلك الصفات والسجايا الحسنة.

٥ ـ إن إدارة شؤون المنزل والطبخ والتفنن في أعمال البيت ورعاية الأطفال وحسن التبعل والاهتمام بالزوج ورعايته هي من الأمور الضرورية التي يجب أن تتقنها المرأة. فالمرأة عندما تتزوج يجب أن تكون مستعدة لإدارة شؤون الحياة الزوجية العائلية بكل كفاءة وجدارة وأن تسير بحياتها الزوجية قُدماً إلى الأمام والمرأة التي لم تتعلم أصول وفنون الحياة ولا تتمتع بالخلق والإبداع والموهبة والاقتدار لا يمكنها أن تنشىء وتكوّن وتبني حياة سليمة هادئة وراسخة وقوية وبالتالي لا تستطيع أن تؤمن السعادة والهناء لزوجها وأطفالها.

وإذا كنت أيتها الأخت الفاضلة لم تكتسبي الخبرة الكامنة ولم تكن لديك الإمكانية اللازمة في المجالات التي ذكرناها من قبل فعليكِ أن تعوضي ما فاتك وأن تتعلّمي ممن هم أكبر منك سناً (وأكثر منك تجربة وخبرة).

نحن نأمل وعلى ضوء هذه التوجيهات والعمل بها أن تعود السعادة والهناء إلى بيتك كما كانت في بداية حياتك الزوجية. ونتمنى لك التوفيق والنجاح. وسوف أكتب إن شاء الله في رسالة خاصة ملاحظات مهمة إلى زوجك الكريم.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.

الفصل (٤٣)

من يلجأ إلى أسلوب السحر والشعوذة لا يجد طريقه إلى السعادة والفلاح أبداً

كتبت لنا إحدى الأخوات الكريمات رسالة تقول فيها: لقد تعرفت على سيدة وقعت في شباك بعض النساء المحتالات المخادعات اللواتي يمارسن السحر والشعوذة الأمر الذي دمّر حياتها وحياة زوجها وأولادها وأقربائها. فهذه السيدة لجأت إلى السحر والشعوذة لتغير من أخلاق زوجها وتجعله حسن الخلق ويكفّ عن أسلوب التهكم والشجار في البيت. ومع الأسف فإن هذه السيدة كانت معتقدة أشد الاعتقاد بأساليب السحر والشعوذة هذه حيث أنفقت الكثير من المال في هذا المجال ولكنها واجهت في النهاية مصيراً مأساوياً إذ لم يطرأ أي تحسّن على حياتها الزوجية بل على العكس ازدادت حياتها تدهوراً واضطراباً حيث طلقها زوجها وأصبحت تعاني من التشرد والفقر والفاقة. إن اللجوء إلى السحر والشعوذة يجعل الإنسان يواجه مشاكل وصعوبات متتالية كما أنه يعمي القلب ويلقي عليه غشاوة. يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿.. **ولا يُفلحُ الساحِرُ حيث أتىٰ**﴾[1].

وقد نهى الإسلام بشدة عن ممارسة السحر والشعوذة وما شابهها من أعمال وممارسات. فقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: [من تعلم شيئاً من السحر كان آخر عهده بربه وحدّه القتل إلاّ أن يتوب][2].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: [أقبلت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة طه، آية: ٦٩.

(٢) وسائل الشيعة ج١٨، ص ٥٧٧ حديث ٣٤٩٥٨.

فقالت: يا رسول الله إن لي زوجاً وله عليّ غلظة وإني صنعت به شيئاً لأعطفه علي فقال رسول الله عليه السلام: أف لك كدرت دينك لعنتك الملائكة الأخيار لعنتك الملائكة الأخيار لعنتك ملائكة السماء لعنتك ملائكة الأرض. فصامت نهارها وقامت ليلها ولبست المسوح ثم حلقت رأسها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن حلق الرأس لا يقبل منها حتى ترضي الزوج][1].

إن السحر هو من عمل الشيطان وهو يوحي للأفراد بتصورات باطلة فالشياطين ومن خلال ممارسة السحر والشعوذة توسوس للأفراد وتجرهم إلى أعمال منحرفة وباطلة. والسحر هو كفر بالله وهو عبث وعمل ضار ومخالف للقوانين والسنن التي وضعها وقرّرها الله تبارك وتعالى. إن ملائكة الله الأخيار تبطل وبشكل عاجل أي عمل من أعمال السحر والشعوذة وذلك من خلال ذكر الله والتوسل إليه والاستعاذة به. والآن طالع أيها القارىء الكريم هذه الرسالة التي وصلتنا من إحدى الأخوات الكريمات والتي ترتبط بموضوع السحر والشعوذة.

الرسالة: ... بيتي تسوده المشاكل والنزاعات والمشاجرات باستمرار. أقربائي يقولون لي، بأن هذا الوضع هو سبب عمل من أعمال السحر. إننا في البيت لم نذق طعم الراحة والهناء والفرح والعيد.

إن بيتي يلفه الحزن والأسى وتسوده الكآبة واليأس...

والدتي تؤمن بالسحر وهي تلجأ إلى أعمال السحر باستمرار من أجل إصلاح الأمور وتحقيق السعادة لشقيقتي ولتغيير أخلاق والدي السيئة. وهي لهذا الغرض تدعو بعض النساء إلى البيت لممارسة أعمال السحر...

وأنا الوحيدة التي لا أؤمن بالسحر وأقول للجميع: علينا أن نتوكل على الله ونلجأ إليه وحده... أرجوكم أرشدوني، ماذا أقول لوالدتي التي أقلقت الجميع بممارستها السحر والشعوذة قولوا لي ماذا يجب أن أفعل؟ كيف أنقذ والدتي من أيدي هؤلاء النسوة اللواتي يمارسن السحر والشعوذة؟ هل صحيح ما يقال عن السحر وممارسته؟ هل تترتب عليه آثار واقعية؟ وإذا

(١) بحار الأنوار ج٧٩ ص ٢١٤ باب ٩٦ ح ١٣.

وقع شخص ما في شراك السحر والسحرة، فكيف يمكن إنقاذه منه وتخليصه منهم؟..

أختكم...

أيتها الأخت الكريمة! لقد قلت أفضل وأروع عبارة «علينا أن نتوكّل على الله ونلجأ إليه وحده» وإننا نقول أيضاً «علينا أن نلجأ إلى الله وحده».

قد يكون هناك تأثير للسحر وقد تترتب عليه آثار ونتائج ولكن التوكل على الباري تبارك وتعالى واللجوء إليه يبطل ويزيل أثر كل ما ينسجه السحرة من خيوط واهية. حيث يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿.. **فلمّا جاءَ السَّحَرَةُ قال لهُم موسىٰ ألقوا ما أنتم مُلقون، فلمّا ألقوا قال موسىٰ ما جئتم به السّحرُ إنّ الله سيبطلُهُ إنَّ الله لا يُصلحُ عَمَل المفسدين**﴾[1].

ولكي نتخلص من شرّ السحر والسحرة علينا أن نداوم على قراءة سورتي «الفلق» و«الناس». وفهم معناهما وأن نستعيذ بالله من شرّ النساء الآثمات وعند ذلك ستنهار أحابيلهن وترتد شرورهن ومكائدهن إلى نحورهن.

أختي الفاضلة الواعية!

كوني على ثقة بأنك إذا قرأت هاتين السورتين وتوكلت على الله وفوضت أمرك إليه فإنه سوف لن يصيبك أي سوء أو مكروه. وقولي أيضاً لوالدتك بأن تكف عن هذه الأعمال والممارسات، وأنها إذا كانت لم تحصل حتى الآن على نتيجة من جراء هذه الأعمال ولم تحصل على السعادة والاستقرار فإن أوضاعها وأوضاع أسرتها وذويها ستزداد سوءً وشقاءً وستواجه المزيد من المشاكل والمآسي والويلات إذا استمرت في ممارسة أعمال السحر والشعوذة. عليها أن تكف بأسرع ما يمكن عن مثل هذه الأعمال وتتوجه إلى الله وتتوكّل عليه لتصبح حياتها مليئة بالسعادة والهناء وتنجو من مشاكل ومصائب الدنيا ومن عذاب الآخرة. لنتوكل جميعاً على الله ونعتمد عليه ونلجأ إليه ونلوذ به ليخلصنا من الشرور والمكاره.

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٨٠ و٨١.

الفصل (٤٤)

كيف نعالج سوء الظن؟

على ضوء الحوادث التي تقع في البيت، تبرز التصورات والتوقعات المختلفة في أذهاننا. فمثلاً عند الظهيرة نسمع من يطرق باب البيت باستعجال أو عندما يقرع جرس البيت مرات متتالية، فإن هذا الحادث يخلق في أذهان أفراد المنزل تصورات وتكهنات عديدة: فربّة البيت التي تنتظر ضيفاً تتصور أن الضيوف قد وصلوا وأنهم يطرقون الباب بهذا الشكل لأنهم وصلوا إلى منزل مضيفهم متأخرين عن الموعد المقرر ولأنهم مشتاقون كثيراً لرؤية أصحاب المنزل. أما رب البيت الذي يعلم بأن جاره أعدّ وليمة عامة حيث نذر لله بأن يوزع الطعام مجاناً على جيرانه وأن جاره صاحب الوليمة هو الذي أخبره بذلك عندما التقى به في الصباح وهو ذاهب إلى عمله. نقول إن ربّ البيت يتبادر إلى ذهنه تصور آخر. فهو يتصور أن الطارق يحمل معه طعاماً من بيت جاره صاحب الدعوة وأن الطارق يطرق الباب بهذا الاستعجال لأنه يريد توزيع الطعام إلى سائر بيوت الجيران. والجدة التي تعاني من المرض منذ فترة وهي مطلعة على أحوال وأوضاع الجيران، تصاب بصعقة لدى سماعها قرع الباب وتقول وهي مذعورة: يا إلهي! لا بد وأن أمراً ما حصل للحاجة أم محمد حتى تطرق بابنا بهذا الشكل، رحم الله أم محمد! فقد كانت امرأة طيبة!...

أما ابن العائلة الذي يبلغ من العمر اثني عشر عاماً وعلى علاقة بأطفال الحارة فيقول لدى سماعه صوت قرع الباب أعتقد أنهم أبناء الجيران وهم جاؤوا يسألون عن كرتهم...

إذن فكل واحد من أفراد البيت يتبادر إلى ذهنه تصور خاص. وهنا نقول بأن الاختلاف في التصورات يرتبط بالحالات الروحية والنفسية للأفراد كما يرتبط بخبراتهم وتجاربهم ومستوى وعيهم ومعلوماتهم. فطبيعة التصور عند الإنسان تمتد جذورها في هذه العوامل المذكورة أعلاه ويتغذى منها. وبالطبع فكلما كان الشخص يتمتع بوعي أكثر وذكاء أكبر وكلما كان إحساسه الباطني أكثر نقاوة وشفافية كلما اقترب الظنّ أو التصور من الحقيقة والواقع ولكن في كل الأحوال، طالما لم يفتح باب البيت ولم تتضح الحقيقة الكامنة خلف الباب فلا يمكننا الجزم بصحة هذا الظن أو التصور أو عدم صحته.

ما هو سوء الظن؟

سوء الظن يعني أننا نقوم بتحليل وتفسير الأحداث وأعمال وأقوال الآخرين من خلال تصورنا الخاطىء وظننا السيىء بهم ودون معرفة صحيحة بخلفيات تلك الأحداث والتصرفات والأقوال وبدون أي دليل أو إثبات واضح وصريح وبالتالي نعتبر تحليلنا وتفسيرنا هذا مؤكداً ومحققاً، وسوء الظن هذا يكون ذنباً من الذنوب عندما يكشف الفرد عن سوء ظنه ويؤذي الطرف الآخر ويسبب له الإزعاج والامتعاض. يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنَّ بعضَ الظنّ إثم﴾**[1] كما يقول سبحانه وتعالى: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءَكُم فاسقٌ بِنبإٍ فتبيّنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**[2].

والأسوأ من ذلك أن يسود سوء الظن بين أفراد الأسرة الواحدة. مثلاً تزور أم الزوج بيت ابنها. يكون الطعام الذي أعدته كنّتها مالحاً بطريق الصدفة. وهنا يقول الزوج لزوجته لقد وضعت ملحاً إضافياً في الطعام ليصبح مالحاً فتنزعج والدتي ولا تتناول الطعام فتؤكد له زوجته أنها لم تفعل ذلك عن عمد ولكن الزوج لا يقبل كلامها ويصرّ على سوء ظنه بزوجته.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١١.
(٢) سورة الحجرات، آية: ٥.

إن سوء الظن ينشأ في الغالب من الباطن السيىء والنفس المريضة والشخص السيىء لا يحسن الظن بأحد لأن مرآة باطنة سيئة ووسخة ومهشّمة. ولذلك فهو لا يستطيع بواسطة هذه المرآة المهشمة والوسخة أن يرى وجوه الآخرين نظيفة وبشكلها الحقيقي الصحيح. حيث يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: [الشرير لا يظن بأحد خيراً لأنه لا يراه إلا بطبع نفسه][1]. والأسوأ من ذلك كله هو أن تسيء الزوجة الظنّ بزوجها. فهي في هذه الحالة تدمّر حياتها وحياة زوجها. طالعوا هذه الرسالة التي تتضمن سوء ظن الزوجة بزوجها.

الرسالة: ... زوجتي تريد أن تعرف وتطلع على كل شيء وتسأل وتستجوب أياً كان، فهي تراقب كل داخل وخارج وتتنصت على كلام الآخرين وأحاديثهم، إنها تسيء الظن بالجميع وهي تتصور دائماً أن الآخرين ينصبون لها الأفخاخ ويريدون الإيقاع بها وأن هناك دسيسة في الأمر ونظرة سوء تجاهها.

إنها مجبولة بالشك وسوء الظن وتريد دائماً أن تعرف أين أذهب مع من أتحدث وما هي الأمور التي أتحدث عنها مع الآخرين ولماذا تحدثت حول تلك الأمور وأحياناً تتعقبني بصورة سرية إلى مكان عملي... وأحياناً عندما كنت ألبس حذائي كانت تنظف حذائي وتربط أشرطة الحذاء وكنت في البداية أتصور أنها تفعل ذلك بدافع حبها لي وتعلقها بي ولكني اكتشفت بعد ذلك أنها تقوم بفحص أحذيتي والتدقيق فيها لدى عودتي إلى المنزل لتتأكد من أنني لم أذهب إلى أي مكان آخر غير مكان عملي، ولكي تتأكد هل فككت أشرطة حذائي أم لا؟!.

لقد تعبت من هذه التصرفات وأريد أن أتخلص من هذه الحياة المليئة بالعذاب والآلام... فماذا أفعل؟

١ ـ إن مثل هذه الأفكار والظنون قد تظهر أحياناً عند النساء والزوجات نتيجة عواطفهم الجياشة ومحبتهم الشديدة. فالمرأة تقلق وتضطرب وتقوم بمثل هذه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم حرف الشين.

التصرفات ظناً منها أن امرأة أُخرى قد تأخذ زوجها منها وتستولي على قلبه ومشاعره والحل في مثل هذه الحالة هو أن يطلع الزوج زوجته برواحه ومجيئه والأماكن التي يتردد عليها وذلك في إطار ما يقرّه العقل ويسمح به الشرع ويطمئنها بأنه لا يزال وفياً لها وملتزماً بما تعهد به لها.

٢ ـ وأحياناً تظهر مثل هذه الحالة وهذه التصرفات عند المرأة نتيجة مجالسة النساء الشريرات والخبيثات اللواتي يبدأن بتلفيق الأكاذيب عن هذا وذاك وينسبن إلى الآخرين، مختلف التهم والافتراءات ما يترك القلق والاضطراب في قلب هذه الزوجة الشابة المسكينة حيث تعشعش الوساوس والأوهام في كيانها وأفكارها وكأن هناك في أعماقها من يحذرها ويقول لها: إياك أن تغفلي عن زوجك لحظة واحدة فهو عديم الوفاء وطائش. وفي مثل هذه الحالة فإن على هذه الزوجة أن لا تعاشر مثل هؤلاء النسوة الخبيثات الماكرات لأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار[(1)] إلى جانب ذلك فإن على الزوجة أن تملأ أوقات فراغها بالأعمال المفيدة النافعة التي تبعث الأمل في نفسها وتقوي ثقتها بذاتها كما أن عليها مصادقة ومعاشرة الصالحات والطيبات والمؤمنات من النساء.

٣ ـ اعلم أيها الأخ الكريم بأن جذور سوء الظن تنشأ وتنمو في الأدمغة الضحلة والنفوس الضعيفة وتضيق الخناق على الأفكار القويمة والصحيحة وتقضي على حصيلة العمر وسعادة وهناء الحياة. كما أن سوء الظن هو دافع لارتكاب مزيد من الأخطاء والانجراف نحو مزيد من الآثام والمعاصي وقبائح الأعمال والتصرفات وخلاصة القول إن سوء الظن هو «آفة تهدد سلامة الحياة العائلية». وعليه يجب أن نقوي الروح من خلال ذكر الله ومن خلال ترسيخ الإيمان بالله والالتزام أكثر فأكثر بالورع والتقوى.

وعلينا أن نعمّق أفكارنا بالحكمة والمعرفة وأن نحول دون تنامي سوء الظن واستفحاله من خلال الالتزام بمبادىء الأمانة والصدق والوفاء والعفة ونؤمن بذلك حياة هادئة لائقة وموفقة لنا ولأفراد أسرتنا وللجميع. ونحن كلنا أمل في أن تعملوا

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٤ ص ١٩٧.

بهذه التوجيهات وتنفذوا هذه الإرشادات لتنعموا أنتم وأفراد أسركم بالسعادة والهناء ويعود الوئام والمحبة إلى بيوتكم.

نتمنى لك التوفيق أيها الأخ الفاضل واطلب العون والسداد من الباري تبارك وتعالى.

الفصل (٤٥)

الكذب يدمّر الحياة الزوجية

ما هي أسوأ صفة يمكن أن تتصف بها المرأة؟

ورداً على هذا السؤال كتبت إحدى الأخوات المثقفات تقول:

الرسالة: . . . إن أسوأ صفة يمكن أن تتصف بها المرأة هي:

١ ـ الكذب ٢ ـ سوء الخلق ٣ ـ الكلام البذيء والتهكم ٤ ـ . . . . .

فالكذب هو صفة سيئة ومذمومة سواء كان الكذب بجدّ أو بهزل ومزاح والمرأة يجب أن لا تكذب أبداً على زوجها وأولادها مهما كانت الظروف، والويل لتلك المرأة التي تتعود على الكذب. لأن الحياة الزوجية إذا سادها الكذب فإن جواً من عدم الثقة وعدم الوئام والتنازع والخلافات سيحلّ محل الألفة والمحبة والصفاء بين أفراد الأسرة ولا سيما بين الزوج والزوجة وسيجعل كلاً منهما لا يقبل بكلام الآخر ويسيء الظن به وتكون النتيجة أن يعيش كل من الزوج والزوجة كل لحظة في قلق واضطراب. . .

ولكن في بعض الأحيان تضطر الزوجة للكذب نتيجة تعنت الزوج واستبداده برأيه. فعلى سبيل المثال يأتي ضيف إلى المنزل وبعد فترة يغادر البيت. ثم يأتي الزوج إلى المنزل ويسأل زوجته: من جاء إلى البيت؟ ونظراً لأن الزوجة تخاف أن ينزعج زوجها وتثور ثائرته ويغضب فإنها تضطر لأن تكذب عليه وتقول له: لم يأت أحد إلى البيت. لأنها تخشى إن هي أخبرته بالحقيقة أن يثير نزاعاً وشجاراً في البيت ويقول لها: ماذا حدث؟ لماذا يأتون إلينا في كل يوم؟ إني لم أذهب إلى بيتهم إلا نادراً.

حبذا لو نصحتم الأزواج بأن لا يتخذوا موقفاً متشدداً إلى هذا الحدّ وفي نفس الوقت انصحوا الزوجات بالامتناع عن الكذب. . .

دعونا نتحدث أولاً عن قباحة الكذب الذي هو من أكبر أخطاء اللسان، لأن الأخلاق والعادات وأساليب الكلام وكذلك مظهر الوجه كلّها تختلف من شخص لآخر فبعضها قبيح وبعضها جميل وحسن وبعضها الآخر أكثر جمالاً من غيره أو أن بعض تلك الأخلاق والعادات والصفات أقبح من غيره. وفيما يتعلق بأساليب الكلام والأقوال فإن الكذب هو من أقبح الكلام وأرذل الصفات ويقال إن العبد عندما يكذب فإن الملائكة تنفر وتبتعد عنه لشدة رائحة الميتة النتنة التي تنبعث منه. الكذب هو بمثابة الفأس التي تدمّر بناء وكيان الأسرة المتين وتقتلع جذورها من الأساس وتزلزل أمنها واستقرارها. الرجل أو الزوج عندما يعود إلى البيت يحب أن يرى المنزل مشرقاً تنبعث منه رائحة زكية طيبة. ولك ن الكذب يجعل البيت مظلماً ومصيره ومستقبله غامضاً مجهولاً ويجعل من القضايا والأمور غير الواقعية التي تحدث في البيت قضايا واقعية. والكذب يفصم عرى الثقة بين أفراد الأسرة الواحدة. إذ لا يمكن الاعتماد على الشخص الكذاب والوثوق به والاطمئنان إلى كلامه وحديثه الكاذب. كيف لا يكون الشخص الكذاب كذلك وهو الذي قضى على سمعته وأساء إلى علاقاته مع الآخرين ودمّر تلك الثقة التي كان الآخرون يولونها له بل إن الشخص الكذاب هو إنسان فقد حياته وأصبح ميتة تنبعث منه رائحة نتنة. . . لأن الحيّ يمتاز على الميت بكونه يمكن الاتصال به والاعتماد عليه والشخص الكذاب ليس جديراً بالثقة وبالتالي فهو يجعل نفسه في عداد الموتى.

إذن ما أقبح أن يكذب الزوج والزوجة أحدهما على الآخر ويقضيا على شجرة الحياة اليانعة ويقتلعا جذور الثقة فيما بينهما. فقد ثبت من خلال التجربة بأن الكذب لا يدوم وسرعان ما تنكشف وتتضح الحقيقة من خلال تصرف معين أو كلام يبوح به الشخص الكذاب دون وعي. والسبب هو أن نظام الخلقة والحوادث التي تقع ضمن هذا النظام مرتبطة تماماً ببعضها البعض وأن أي إنسان أو غير إنسان لا يمكنه أن يخفي جميع حلقات ووقائع حادث ما أو عدة حوادث وإذا افترضنا أنه استطاع أن يخفي حقيقة حادثٍ ما فإنه لا يستطيع أبداً أن يخفي كافة العناصر والوقائع العديدة المرتبطة بذلك الحادث، إذ إن بعض جوانبه ووقائعه تتكشف

وتظهر للعيان لا محالة ويتضح كذب هذا الشخص وعدم أهمية وتفاهة كلامه. والقرآن الكريم يحدثنا عن قصة يوسف عليه السلام وكيف أن إخوته كذبوا على أبيهم حيث يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿وجاءوا أباهم عشاءً يبكون، قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبقُ وتركنا يوسف عند متاعِنا فأكله الذئبُ وما أنتَ بمؤمن لنا ولو كنا صادقين. وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ قال بل سوّلت لكم أنفسُكُم أمراً. . .﴾**[1].

فأخذ الوالد يعقوب عليه السلام قميص يوسف عليه السلام ونظر إليه بدهشة وتعجّب وتساءل قائلاً: كيف أن الذئب افترس ابني وقطع أوصاله في حين أن ثيابه لم تتمزق وبقيت سليمة؟!.

* * *

الزوجة التي تكذب على زوجها وتقول له: «لم يأت أحد إلى بيتنا» قد ترتاح لبعض الوقت من الضجة التي يثيرها زوجها ولكن الحقيقة سوف تتضح وتتكشف عاجلاً أم آجلاً ويظهر كذبها وعندها ستحدث مشكلة أكبر وضجة أعنف. فالزوج يقول في نفسه: من المؤكد أن أشخاصاً آخرين يترددون على بيتي وأن هذه المرأة الكذابة تخفي بمكرها وخداعها الحقيقة عليَّ وتخدعني. وتكون هذه بداية سوء الظن بين الزوج وزوجته حيث تحرق نار سوء الظن شجرة الحياة الزوجية اليانعة الخضراء وتقضي على سعادة الأسرة وكيانها وقد يشعل الكذب في حالات كثيرة شرارة تحرق كيان الأسرة وتقضي على هنائها وسعادتها وتفاؤلها واستقرارها وتحولها إلى رماد. إذن وعلى ضوء ما ذكرناه علينا أن نقرّ ونعترف بأن الكذب هو من أسوأ الصفات ويجب على الزوج والزوجة أن لا يكذب أحدهما على الآخر وعلى الأبوين أن لا يكذبا على أبنائهما فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [الكذب آفة تفسد كل شيء وليست هناك صفة أقبح من الكذب][2].

وفق الله الجميع للالتزام بالصدق واجتناب الخداع والكذب والخيانة وسوف نتحدث فيما بعد عن ضرورة أن يعامل الزوج زوجته برفق ولطف ومحبة.

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٥، ١٦، ١٧.

(٢) نهج البلاغة.

الفصل (٤٦)

الالتزام بالحجاب والعفة يجعل الحياة الزوجية والعائلية مستقرة يسودها التفاهم والمحبة والوئام

من أجل المحافظة على أمن وسلامة كيان الأسرة وتأمين سعادتها واستقرارها وتعزيز أركانها، هناك واجبات ومسؤوليات تقع على عاتق كل من الزوج والزوجة: فيجب على الزوجة أن لا تتبرج أمام غير المحارم من الرجال وأن تلتزم بالرصانة والعفة ولا تبدي زينتها وجمال جسمها ومفاتنها أمام سائر الرجال ولا تتبختر أمامهم لتثير غرائزهم الجنسية وإذا التزمت بهذه الأمور فإنها تكون وفية لزوجها وتثبت بذلك حبها وإخلاصها له، والزوج أيضاً يجب أن يكون وفياً ومخلصاً لزوجته ويمتنع عن النظر إلى غير المحارم من النساء ويغض بصره عنهنّ. وإذا ما وقع بصره على امرأة أجنبية بصورة لا إرادية وعن غير قصد فيجب عليه أن يغض بصره عنها فوراً. لأن مواصلة النظر إلى المرأة الأجنبية يثير نار الشهوة ويؤدي بالتالي إلى الانحراف كما قال الإمام الصادق عليه السلام: [النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة][1] لأن العين لا تشبع من النظر إلى جمال المرأة وهي ترغب بكل ما تراه من وجوه جميلة وتكون نتيجة ذلك الخروج عن طريق العفة والوفاء والأمانة والوقوع في شرك الرذيلة والخيانة الزوجية حيث إن النظر الحرام إلى المرأة الأجنبية هو سهم مسموم من سهام الشيطان، يعكّر صفو الحياة العائلية ويهدد سلامتها ويقوّض أركانها ويهدم جدران الأمن والسلامة

(١) وسائل الشيعة، ج١٤ ص ١٣٩ باب ١٠٤ ح٦.

والسعادة التي تحيط بالبيت، مما يجعل الحياة العائلية والزوجية عرضة للانحرافات والمشاكل والخيانة وعدم الوفاء. فالرجل الذي يرمي بنظراته إلى هذه المرأة الأجنبية أو تلك لا يعود ينظر إلى جمال زوجته وبيته وأولاده ولا تعود زوجته تعني في نظره شيئاً ومهما تزينت ولبست أجمل الملابس وأفخرها فإن ذلك كله لا يعود يعني شيئاً في نظر زوجها المتهتك الذي يسعى وراء شهواته وملذاته، والإمام الصادق عليه السلام يقول: النظرة سهم من سهام إبليس مسموم[1]. والآن لنقرأ هذه الرسالة التي وصلتنا من إحدى الأخوات الفاضلات.

الرسالة: . . . **يعلم زوجي كم أنا ضحّيت وقترت على نفسي واقتصدت في نفقات البيت حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، عشنا معاً مدة خمسة عشر عاماً حياة سعيدة جداً وأنجبت له طفلين. كنا نحب بعضنا بعضاً إلى أقصى الحدود. . . ولكنه اكتسب عادة سيئة في الآونة الأخيرة فهو ينتقدني على ما أرتديه من ملابس ويقول: زوجة فلان أجمل منك وأكثر روعة من حيث الملابس التي ترتديها. إنه يرمق النساء الأُخريات بنظرات مريبة ويتحدث أمامي دائماً عن هندامهن وجمالهن. . .**

وعندما نذهب لزيارة الأقارب والأصدقاء فإنه ينهمك في النظر إلى النساء الأُخريات والمزاح والضحك معهن وملاطفتهن ولا يهتم بي أبداً. . . عندها تستعر النار في قلبي وأنفجر بالبكاء. . . لقد نفد صبري ولم أعد أحتمل، أريد أن آخذ أطفالي وأفرّ إلى الصحاري والجبال. . . أرجوكم قدموا النصح والتوجيه لي ولزوجي. قولوا له لماذا يقوم بمثل هذه التصرفات، لماذا يحرق قلبي؟ لماذا يدمّر حياتنا الزوجية السعيدة التي كنا نعيشها من قبل؟ لماذا تخلى عن وفائه وإخلاصه لي؟. . .

إذن لكي لا تنهار الحياة الزوجية ولا يحترق قلب رفيقة العمر ولا تجرح مشاعرها وأحاسيسها يجب على الرجل أن يغض بصره عن غير المحارم من النساء. كما يجب على الزوجة (المرأة) التي تعتبر مسؤولية الأمومة شرفاً كبيراً لها ومن أغلى القيم التي يمكن أن تحظى بها وترى أن سلامة أسرتها مستمدة من

(١) وسائل الشيعة، ج١٤ ص ١٣٨ باب ١٠٤.

سلامة الأسر الأُخرى، أن لا تختلط أكثر من اللازم ولا تتمازح وتضحك مع غير المحارم من الرجال ولا تتبرج ولا تبدي أمامهم زينتها ومعالم جمال جسمها. (إن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام تدعو كلها إلى ذلك وتطلب من المرأة أن تلتزم بالحجاب وتمتنع عن مخالطة الرجال غير المحارم ولا تتبرج ولا تبدي زينتها ومعالم جمالها إلاّ لزوجها والهدف من ذلك كله الحفاظ على كيان الأسرة والحيلولة دون تفككها وانهيارها والذي يعني في الحقيقة انهيار المجتمع الذي يستند وجوده وكيانه على وجود وكيان الأسرة فكلما كانت الأسر سليمة متماسكة كلّما كان المجتمع قوياً وسليماً ومتماسكاً وإن ما نشهده اليوم من تفكك في المجتمعات الغربية والمجتمعات غير الإسلامية هو نتيجة لتفكك الأسر وانهيار القيم الخلقية فيها وهذا كله نتيجة تمادي النساء في تلك المجتمعات في مخالطة الرجال والتبرج دون حدود ونتيجة ما يسمّى بثقافة العري السائدة فيها ونتيجة لذلك كله باتت المجتمعات الغربية تواجه أزمات خطيرة تنعكس آثارها على كل فرد من أفرادها وبات الغرب اليوم مهدداً بالانهيار اجتماعياً وخلقياً)[1].

إذن على المرأة أن تتحجّب وتمتنع عن التبرج حتى أمام أقاربها من الرجال عندما يأتون إلى منزلها. إذ كثيراً ما تصدر عن الأقارب من الرجال تصرفات مشينة وهفوات، حيث لا تنتبه المرأة إلى النظرات المشبوهة والنوايا السيئة لهؤلاء الرجال ولا تدرك مغزاها، بسبب طهارة قلبها وصفاء مشاعرها وأحاسيسها. فزوج العمّة وزوج الخالة وابن العمّة وابن العم وابن الخالة وابن الخال وشقيق الزوج وزوج الأخت وزوج أخت الزوج و. . . هؤلاء كلهم ليسوا محارم بالنسبة للمرأة ويجب عليها أن تتحجّب ولا تتبرج أمامهم وتلتزم بما يفرضه عليها الشرع الإسلامي وهي ترتكب ذنباً إذا لم تلتزم بهذه الأمور التي ذكرناها وكثيراً ما تؤذي المرأة زوجها وتجعله يسخط عليها بسبب تصرفاتها هذه. كما أن عدم التزام المرأة بالحجاب الإسلامي وظهورها متبرجة أمام الرجال يهدم الحياة الزوجية ويؤثر سلبياً على الصفاء والمحبة والتفاهم الموجود بين الزوجين. الرسالة التالية وصلتنا من أحد الإخوة الأفاضل ويتحدث كاتبها عن هذا الموضوع الذي أشرنا إليه آنفاً:

---

(١) المترجم.

الرسالة: . . . تزوجت منها قبل حوالي ثماني سنوات ولي منها ولدان أحدهما في الخامسة والآخر في الثالثة من العمر. زوجتي امرأة طيبة وربة بيت بارعة وإني آخذ الدروس والعبر من أخلاقها وتضحياتها وإخلاصها. ولكن الشيء الذي يؤلمني ويعذبني هو أنها لا تلتزم بالحجاب كما يجب ولا سيما في البيت. فعندما يأتي إلينا ضيوف تكتفي بارتداء ملابس غير محتشمة وهي لا تغطي شعر رأسها بشكل كامل أمام الرجال الآخرين. وعندما أطلب أن تتحجب بشكل كامل تقول: المهم أن يكون القلب نظيفاً. أما الأمور الأُخرى فليست مهمة وليست ذنباً. أرجو منكم أن تقدموا النصائح والإرشادات والتوجيهات لزوجتي والنساء الأُخريات من أمثالها. لعلها تسمع كلامكم وتفهم حقيقة ما يقوله الشرع الإسلامي وتقرر الالتزام بالقوانين والمبادىء الشرعية، إني أحبها كثيراً وأريد أن أعيش معها حياة سعيدة وهانئة.

ملاحظة مهمة:

هناك نقطة مهمة جداً يجب أن يأخذها جميع الرجال بعين الاعتبار وهي: صحيح أن الغيرة والحرص على الشرف والكرامة هي من الصفات الحسنة والمحببة وأن كل رجل يجب أن يكون غيوراً بكل معنى الكلمة حفاظاً على عفة زوجته وشرف وكرامة بيته وأسرته ولكن الغيرة إذا تجاوزت حدودها تصبح أمراً قبيحاً وضاراً. وأساساً فإن القاعدة العامة في هذا المجال هي التي وردت في القرآن الكريم حيث يقول: **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يَدَي الله ورسُولِهِ واتّقوا الله إنّ الله سميعٌ عليم﴾**[1].

أي لا تطلبوا من عباد الله أموراً لم يطلبها منهم الله ورسوله. ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: [إنّما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالم بما يأمر، عالم بما ينهى، عادل فيما يأمر، عادل فيما ينهى، رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى][2].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول، ص ٢٦١. ط الأعلمي ـ بيروت.

لأن استخدام الشدة والعنف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل الآخرين الذين نريد أن ننصحهم ونرشدهم إلى الطريق الصحيح ينفرون ويتذمرون منّا. لنقرأ الرسالة التالية:

الرسالة: . . . تزوجت من فتاة غير واعية وغير ملتزمة بالحجاب وعندما تزوجنا اشترطت عليها ارتداء الحجاب الشرعي فوافقت على ذلك كما تعهدت بغض بصرها عن غير المحارم من الرجال وعدم مخالطتهم كما اشترطت عليها شروطاً أُخرى وافقت عليها جميعاً وتعهدت بأن تكون مخلصة ووفية لي.

. . . أما أنا فكنت أؤكد عليها كثيراً بخصوص الحجاب وكنت أنبهها باستمرار إلى هذا الموضوع والالتزام به. كنت ألحّ وأصرّ عليها كثيراً. صار عندي نوع من الوسواس، إذ كنت أقول لها دائماً، لماذا نظرت إلى الرجل الفلاني؟ . . . لماذا إزارك بهذا الشكل؟ لماذا ربطتك هكذا؟ لماذا ولماذا؟ . . .

والآن وبعد أن تخلّت زوجتي عن الحجاب الذي كنت أريده ولم تعد تقبل العيش معي، أدركت بأني كنت متشدداً جداً في هذا الأمر، وأني كنت أطلب منها أكثر بكثير مما يطلبه الإسلام منها. . . على أية حال فقد أصبح لديها نوع من التذمر والتنفّر تجاهي وهي الآن تريد الطلاق وتقول، بأنها لا تستطيع الاستمرار في هذه الحياة المليئة بالمعاناة والعذاب. . .

وحبذا لو ضغطت أيها الأخ الكريم على نفسك وتجنبت التعسّف والشدّة، بدل اتخاذك هذا الموقف المتصلب تجاه زوجتك. لأن الإمام الصادق عليه السلام يقول: [ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله عز وجلّ][1].

إن دين الله، له طريق قويم ومستقيم يؤدي إليه، وأي انحراف عن هذا الطريق وأي إفراط وغلو وأي إهمال وتقاعس، يعيق حركة الإنسان باتجاه تنفيذ مبادىء وأحكام الإسلام التي سنّها الباري تبارك وتعالى. نسأله تعالى أن يرشدنا دائماً إلى الطريق القويم وأن يثبتنا على طريق الحق.

---

(١) أصول الكافي، ج٢ ص ٣٣٣ باب ١٣٦ ح٤.

الفصل (٤٧)

النظر بشهوة وتلذذ إلى غير المحارم من النساء يعتبر ذنباً وخيانة للزوجة

إن الاستشارة وتبادل وجهات النظر تضيء دائماً معالم طريق الحياة أمام الإنسان. والذين يتشاورون ويتبادلون وجهات النظر مع الآخرين بصدق ومحبة من المؤكد أنهم يفتحون أمام أنفسهم أبواب السعادة والهناء وعلى هذا الأساس فإننا قررنا أن نتشاور معكم ونتبادل وإياكم وجهات النظر ونرد ـ ما أمكننا ذلك ـ على رسائلكم وتساؤلاتكم ونستفيد من توجيهاتكم وإرشاداتكم ونشير هنا إلى أننا نختار من بين الرسائل التي تصلنا تلك التي نرى أنها ضرورية ومفيدة للقارىء الكريم أكثر من غيرها. والآن لنطالع معاً هذه الرسالة التي وصلتنا من إحدى الأخوات الكريمات:

الرسالة: ... **تحية لكم والسلام عليكم... تزوجت منه قبل حوالي أربع سنوات ولي منه ولدان. تمنيت أن أعيش مع زوجي في محبة ووئام كما كنا في الأيام الأولى لزواجنا. ولكن هناك بعض التصرفات تصدر عنه تجعلني أتألم وأتعذب وهذه التصرفات تركت آثارها السلبية على حياتنا الزوجية. فمثلاً عندما أخرج معه من البيت لا يتورع عن النظر إلى النساء والفتيات الجميلات وعندما أعترض على تصرفه هذا يقول: أنت على خطأ، فليست لدي أية نوايا سيئة. وأحياناً يقول لي: لا بأس أن ينظر الرجل إلى النساء الجميلات ويتلذذ من ذلك. الرجل يستطيع أن ينظر إلى أية امرأة يشاء. أما المرأة فلا يصح أن تنظر إلى رجل آخر...**

والآن برأيكم ماذا عليّ أن أفعل لكي يكف زوجي عن هذا التصرف القبيح؟ وأقولها بصراحة إنه يخونني أحياناً أمام عينيّ. أصبحت أكرهه تماماً. تصرفاته هذه تثير أعصابي إلى درجة تجعلني أصرخ من الغيظ وأفضحه أمام الآخرين...
هذا الأمر يعذبني كثيراً ويجعلني أيأس من الحياة. وخاصة عندما يخرج زوجي من البيت فينتابني قلق شديد.

أيتها الأخت الكريمة، إن الزواج هو رباط محبوب ومقدّس، حيث يتعهد الزوجان بالعيش سوية بمحبة ووئام ووفاء فالزوجة تتعهد بأن لا تجعل في حياتها أي رجل آخر غير زوجها والرجل يتعهد بأن لا يرغب ويتمنى أية امرأة أخرى غير زوجته. والآن لنرَ ماذا يستفيد زوجك ـ الذي على حد قولك ينظر إلى هذه المرأة وتلك ويسبب لك الأذى والمعاناة ـ ماذا يستفيد حقاً من النظر إلى النساء الأُخريات وما هي الأضرار التي تعود عليه من جراء ذلك؟

* لقد قال زوجك بنفسه إنه يشعر باللذة من النظر إلى النساء. ولكن ليعلم بأن الأمر لا ينتهي عند مجرد النظر والشعور باللذة. فالقلب والمشاعر أيضاً تتحرك وتتهيج وتتمنى. لأن النظرات المتتالية إلى المرأة الأجنبية توقد نار الرغبة والشهوة في القلب ويتبع ذلك الانجرار نحو الفساد والوقوع في المعصية. فالقلب في هذه الحالة لا يقرّ له قرار. فنرى مثل هذا الرجل المهووس يوجه نظراته إلى هنا وهناك ولكنه يعود بعد فترة تعباً يائساً تعتصر الحسرة قلبه.

* لماذا؟ لأن العين تنظر إلى هذا وذاك بسرعة البرق. أما القلب فإنه مهما تحرك بسرعة فهو لا يلحق بنظرة واحدة تنظر بها العين وبالتالي فإن القلب سرعان ما يسقط من شدة اليأس والتعب. وعليه فإن مجرد نظرة خاطفة ولذة عابرة تكون سبباً في عناء وعذاب طويلين ودائمين وشعور مرهق ومضنٍ ويستتبع ذلك شعور بالإحباط والحرمان وكأن مئات الأشواك تخترق قلبه الواحدة تلو الأُخرى.

* إن الرجل الذي يوجه نظراته المشبوهة إلى غير المحارم من النساء يفقد رغبته بزوجته وتصبح حياته الزوجية خاملة فاترة لأن الجمال الذي تتمتع به زوجته

تتمتع به أيضاً النساء الأُخريات. إن الذي يؤمن بأن المرأة المتزوجة لا يجوز أن تنظر إلى الرجال الآخرين عليه أن يقبل بأن الرجل أيضاً يجب أن لا ينظر بتلذذ وشهوة إلى غير زوجته من سائر النساء. لأن الرجل إذا رمق النساء الأُخريات بنظرات مريبة يكون قد أساء عملياً إلى سلامة المجتمع وعفّته وفسح مجال التعدي والخيانة أمام زوجته.

* ألا يعلم زوجك ما للنظرة من قوة سحرية؟! إذ إن نظرة عابرة واحدة قد تجلب للإنسان المصائب والبلاء. كما أن مجرد نظرة واحدة قد تثير عاصفة هوجاء تدمّر بيوتاً وتقضي على أُسرٍ بأكملها. ونظرة واحدة عن حرام قد تشعل نار الحسرة وتسلب من قلب صاحبها السعادة والاستقرار والنشاط والقناعة وتجعله لا يرضى عن أي شيء ويعيش حالة اضطراب وقلق دائمين لأن «النظرة الحرام سهم مسموم من سهام الشيطان تجعل صاحبها يعيش في حسرة وحزن وأسى لفترة طويلة جداً».

* ولتجنب الوقوع في هذه العناء والعذاب وللتخلص من هذا الاضطراب وعدم الاستقرار وهذه الانحرافات والآثام النفسية فقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله الكريم ﷺ أن يقول للمؤمنين ويطلب منهم أن يغضوا من أبصارهم حيث قال تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: **﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهُم إنّ الله خبير بما يصنعون﴾**[(١)].

ولهذا فليس عبثاً أن الذين يرتكبون مثل هذا الذنب أي النظر بشهوة إلى غير المحارم من النساء «يعذبون يوم القيامة بإدخال قضبان حديدية ملتهبة في عيونهم» وهذا هو أقل عذاب يمكن أن يواجهوه يوم القيامة لأن مثل هؤلاء المذنبين السفلة ومن خلال نظراتهم المشبوهة ورغباتهم غير المشروعة إنما يكونون سبباً في شقاء أنفسهم وتفكك أُسرهم والعشرات من العائلات الأُخرى. (ويجب أن نشير هنا إلى أن المرأة التي لا تلتزم بالحجاب وتظهر متبرجة أمام غير المحارم من الرجال وتبدي زينتها ومفاتنها أمامهم تعذب يوم القيامة بعذاب أدهى وأمر لأن المرأة بتبرجها هي السبب في إغواء الرجل وجره إلى المعاصي والذنوب. فقد جاء في

(١) سورة النور، آية: ٢٩.

بعض الأحاديث الشريفة، أن المرأة التي تكشف عن شعرها للرجل الأجنبي تعلّق يوم القيامة من شعر رأسها في نار جهنم. وكذلك المرأة التي تتطيّب وتتزيّن خارج بيتها ولغير زوجها فهي تلقى يوم القيامة عذاباً أليماً جداً لأنها بعملها هذا تجلب انتباه الرجال إليها الأمر الذي يشجع على انتشار المعاصي والفساد)[1].

والآن نتابع بقية الرسالة التي بعثت بها هذه الأخت الفاضلة:

الرسالة: ... النقطة الثانية التي أود أن أشير إليها هي أن النساء عادة يقارن أنفسهن وحياتهن مع النساء الأُخريات ولكن زوجي يشذّ مع الأسف الشديد عن هذه القاعدة فهو دائماً يقيسني ويقارنني بالآخرين ويسبب لي الحزن والأسى، فهو يقول لي باستمرار: تعلمي من شقيقتي التي... انظري إلى والدتي كيف تدير شؤون المنزل وتدبّر شؤون البيت والعائلة إنها حقاً ربة بيت حقيقية. يجب أن تتعلمي منها، انظري إلى زوجة فلان يتناثر من أناملها الدرّ والمجوهرات. هنيئاً له ما أسعده! إنه إنسان محظوظ لأن زوجته أنيقة وطيبة الرائحة وجميلة إلى هذا الحدّ، أما زوجتي...

توضيح وردّ: لعل السبب الرئيسي لهذه الانتقادات التي يوجهها لك زوجك هو كثرة نظره إلى غير المحارم من النساء الأمر الذي جعله قليل الرضا وكثير الطلبات. وقد تتحملين أنت أيتها الأخت الكريمة جانباً من المسؤولية في هذا المجال. فعليك أن تهتمي بزوجك أكثر وتلبسي ما يطلبه كل زوج من زوجته وعليك أن تهتمي بمظهرك وهندامك وتتزيني وتتجمّلي له وتلبسي أفخر ثيابك ولا تمنعيه من نفسك مهما كانت الظروف لأن هذا من حقه عليك حتى لا يطمع بهذه المرأة وتلك وبالتالي يغض بصره عن سائر النساء.

* ونقول لتلك المرأة (زوجة فلان): لماذا تتعطرين وتتزينين وتبرزين جمالك وزينتك للرجال غير المحارم؟! لماذا تهددين بعملك هذا كيان وعفة وسلامة أسرتك والأُسر الأُخرى؟! ولماذا تجعلين أنظار الرجال تتجه إليك ويسترقون النظرات المسمومة وتخربين بيوتهم وتتسببين في إثارة المشاكل بين

---

(١) المترجم.

الأزواج وزوجاتهم؟! ولماذا تجرين الرجال الآخرين إلى مستنقع المعصية والفساد؟! ألا تعلمين بأن خروجك من منزلك وأنت متزينة ومتبرجة هو بمثابة فخ خطير تنصبينه للإيقاع بالرجال من ذوي الإرادة الضعيفة (بل وللإيقاع بالشباب الذين يمرون بمرحلة عاطفية حساسة وحرجة هؤلاء الشباب الذين لا يستطيعون الزواج لأسباب عديدة)[1] وتجعلين الرجال المتزوجين يهملون بيوتهم وأُسرهم وزوجاتهم؟! ألا تعلمين بأن تصرفاتك هذه تزرع اليأس والمرارة في قلوب الزوجات المخلصات العفيفات؟... من المؤكد أنك لا تريدين أن تنهار وتتفكك حياتك الزوجية إذن لا تكوني سبباً في انهيار الحياة العائلية للآخرين ولا تزرعي اليأس والمرارة والأذى والقلق في قلوب غيرك من الزوجات. وأنت أيها الأخ الكريم لا تساهم في خراب بيوت الأُسر الأُخرى وعليك أن لا تدع زوجتك أو ابنتك أو أختك تخرج من البيت متعطرة متزينة متبرجة بشكل يثير شهوة كل من ينظر إليها من الرجال. ألست يا أخي حريصاً على عرضك وشرفك. أترضى أن ينظر الرجال إلى زوجتك أو أختك أو ابنتك نظرة رغبة وإعجاب. أنت يا أخي مسؤول عن ذلك أمام الله يوم القيامة.

* من أجل الحفاظ على عفة وسلامة المجتمع وتجنيبه الانحراف والفساد وكل هذه المصائب والويلات فقد خاطب الله تبارك وتعالى نبيه الكريم بالقول: **﴿وقُل للمؤمناتِ يَغضُضنَ من أبصارِهنَّ ويحفظنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبدينَ زينتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَر منها وليضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ على جيوبِهِنَّ ولا يبدينَ زينتهنَّ إلاّ لبعولتِهِنَّ...﴾**[2].

* ولعل تلك السيدة (زوجة فلان) لا تعلم بأن المرأة إذا ما تطيّبت وخرجت من منزلها وتظاهرت أمام الرجال غير المحارم فإنها تكون قد ارتكبت ذنباً كبيراً جداً وقد نهى الإسلام عن ذلك بشكل مؤكد حفاظاً على سلامة الفرد النفسية وسلامة وتماسك وعفة المجتمع.

* أما أنت أيتها الأخت العزيزة! التي تتساءلين كيف يجب عليَّ أن أتصرف

(١) المترجم.
(٢) سورة النور، آية: ٣٠.

وماذا عليَّ أن أعمل لكي يكفّ زوجي عن هذا التصرف المشين القبيح؟ عليك أن تظهري له مزيداً من المحبة والإخلاص وتطلعيه على ما ذكرناه آنفاً عن الرجل الذي ينظر إلى أعراض الناس ونسائهم وذكريه بهذه الآية الشريفة: **﴿يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدور﴾**[1].

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بسلامة وعفة البصر والقلب. نتمنى لك التوفيق.

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٩.

الفصل (٤٨)

ما هي حكمة الحجاب؟ وكيف يكون الحجاب الإسلامي؟

ما هو الحجاب الإسلامي؟ ولماذا فرض الإسلام الحجاب؟ لقد أعطى الله تبارك وتعالى الإنسان شعاعاً من جلاله وجماله، فجعل الرجل تجسيداً وتجلياً لجلاله وعظمته وجعل المرأة ومضة وانعكاساً لجماله وبالتالي فإنه سبحانه وتعالى خلقهما لبعضهما وليكمّلا وجود بعضهما البعض وجعل الحياة مصدر لذة ومتعة واستقرار وسكينة بفضل وجود المودة والرحمة والعشق والمحبة بين الاثنين (الرجل والمرأة)، والحجاب أيضاً فرض من أجل الحفاظ على الاستقرار والسكينة والصدق والإخلاص والسعادة والوئام داخل الأسرة وضمن الحياة العائلية. الحجاب فرض لكي لا تتفكك حياة الأُسر ولكي لا ينظر الرجل بشهوة إلى النساء والفتيات العفيفات وبالتالي لكي لا تتصدع وتنهار دعائم البيت والأسرة (والمجتمع في نهاية الأمر). الحجاب هو من أجل تجنب الوقوع في الفساد والفحشاء والرذيلة وبالتالي المحافظة على سلامة المجتمع والأجيال. وهكذا فإن الإسلام فرض على المرأة ارتداء الحجاب لكي يحظى الأبناء بآباء وأمهات صالحين وملتزمين ينتسبون إليهم ولكي يتمتع هؤلاء الأبناء بتربية الوالدين ومحبتهما وعطفهما ومن أجل كل هذه المصالح والمنافع التي تعود على الإنسان فقد فرض الباري تبارك وتعالى واجبات محدّدة على الرجال والنساء في مجال يتعلق باللباس وبالنظر حيث إن الحجاب هو أحد أفضل الواجبات وأكثرها تأميناً لسلامة وعفة الأفراد والمجتمع. وبالطبع فإن الله تعالى يعرف جيداً مصلحة عباده كما يعلم حالهم وأعمالهم وتصرفاتهم فهل من الممكن أن لا يكون الله عالماً وخبيراً وهو الخالق لكل شيء؟

ولكن ما هو الحجاب الإسلامي؟ وكيف يكون؟

يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وقُل للمؤمناتِ يَغضُضنَ من أبصارِهنَّ ويحفظنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبدينَ زينتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَر منها وليضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ على جيوبِهنَّ ولا يبدينَ زينتهنَّ إلاّ لبعولتِهنَّ﴾[1] فالحجاب الإسلامي هو:

أ ـ أن تغطي المرأة شعر رأسها وجسدها ومعالم بدنها بشكل كامل ما عدا الوجه والكفَين بحيث لا يرى غير المحارم من الرجال أجزاء جسم المرأة هذه وذلك شرط أن لا يتضمن الوجه والكفّان أي نوع من أنواع الزينة والماكياج، أما إذا كان وجه المرأة وكفيها فيها شيء من الزينة والماكياج فلا يجوز لها الكشف عن وجهها ويديها أمام الرجل غير المحرم (الأجنبي).

ب ـ أن ترتدي ملابس غير مثيرة وغير ضيقة ولا تبرز مفاتن الجسم ومعالمه حتى لا تثير الرجال وتلفت أنظارهم إليها.

إن المرأة لا يمكنها أن تحافظ على عفتها وشرفها وكرامتها ومكانتها كأم، إلاّ إذا كانت محجّبة والتزمت بالحجاب الإسلامي وعملت بموجب ما جاء في الآية الكريمة التي ذكرناها آنفاً وأطاعت أمر ربها وأبرزت جمالها ومفاتنها أمام زوجها الذي يجعل في هذه الحالة وجوده وكيانه المتطلب يفيض من جمالها ونظراتها وابتسامتها. والمرأة التي لا تلتزم بالحجاب والعفّة تغضب الله عليها وتجعل نفسها مستحقة لعذابه وعقابه.

الرسالة: . . . سؤالي الثاني هو: لماذا يصرون في بعض الأماكن أن ترتدي المرأة الملابس ذات الألوان الغامقة أو الداكنة؟ هل أن اللون يؤثر على طبيعة حجاب المرأة؟ حقاً لماذا علينا نحن الفتيات والشابات أن نرتدي ملابس ذات ألوان داكنة؟ وبالطبع فإني هنا لا أقصد الألوان الضاربة أو الصارخة ـ إني أتساءل أليست الملابس الداكنة تؤدي إلى الكآبة والحزن؟ إذا كانت الألوان دليلاً على الصلاح والتقرب إلى الله لما خلق الله الألوان المفرحة ولخلق الزهور بألوان داكنة كالبني الغامق واللون الكحلي (النيلي)

---

(١) سورة النور، آية: ٣٠.

والأسود و... في فصل الصيف عندما أتوجه من المنزل إلى الكلية وأنا أضع ربطة رأس سوداء أشعر وكأن رأسي يغلي من شدة الحر... والحقيقة أني لا أدري لماذا لا تستطيع المرأة أن ترتدي ملابس ذات ألوان فاتحة كالرمادي والأصفر والأزرق وغيرها من الألوان؟! إذا كنتم تعرفون أي سبب لذلك أرجو أن تذكروه لنا.

وشكراً لكم أختكم...

الحقيقة أني أيضاً لم أعثر على أي دليل على هذا الإصرار على ضرورة عدم ارتداء المرأة ملابس ذات ألوان زاهية وبرأيي لا مانع من أن ترتدي المرأة ملابس ذات ألوان عادية وفاتحة في إطار التقاليد الجيدة والأصيلة وشرط أن لا يرافق ذلك أي نوع من التبرج والتظاهر أمام الآخرين من الرجال وأن لا تكون تلك الملابس التي ترتديها المرأة مما يطلق عليه اسم ملابس الشهرة.

فالله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بأن لا يفرضوا أموراً لم يوجبها الله حيث جاء في القرآن الكريم: **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تُقدّموا بين يدي الله ورَسوله واتّقوا الله إنّ الله سميعٌ عليم﴾**[1].

حبذا لو أن الذين يصرّون على هذا الأمر يقدمون الدليل المقنع لإثبات ما يقولون وإذا لم يكن هناك دليل يرضاه الله فعليهم أن يكفوا عن إصرارهم على هذه المسألة، لأن الإصرار والتطرف في هذه القضية قد يسيء إلى حقيقة الدين الرائعة ومبادئه وتعاليمه السهلة السمحاء التي لا تتضمن أي حرج أو صعوبة تؤدي إلى تنفر الفرد من الدين وابتعاده عنه وتمرده على تعاليمه وتذمّره منها. للوقوف على هذه الحقيقة اقرأوا الرسالة التالية:

الرسالة: **... إني فتاة كسائر الفتيات وأحب أن أهتم بمظهري وأبدو نظيفة وأنيقة أمام الآخرين. في خارج البيت ألتزم بالحجاب بشكل كامل وأعشق الصلاة وأؤدي الفرائض والواجبات الدينية حيثما أقدر وأستطيع ذلك.**

(١) سورة الحجرات، آية: ١.

ولكن لدي مشكلة وهي أن شقيقي متشدد جداً تجاهي. فهو يبحث دائماً عن ذريعة لكي يطعن بي وينتقدني. فعندما أسرّح شعري يأخذ في الاستهزاء بي ويوجه لي بعض الاتهامات. إذ إني لا أسلم من تعنته وانتقاداته اللاذعة لي. فهو لا يسمح لي حتى في داخل البيت أن أنزع ربطة رأسي أمام والدي وأشقائي ووالدتي وشقيقتي، إني منزعجة ومتأثرة جداً لتصرفه هذا معي ـ ومع أني أحبه جداً ـ فإن تصرفه معي بهذا الشكل تسبب في تساقط شعري.

لم أعثر على حل لهذه المشكلة. والدي أيضاً له نفس الموقف ولكنه لم يحاول أبداً فرض وجهة نظره...

لقد تعقّدت من هذه التصرفات، وقد أُصاب بالصلع وأفقد شعر رأسي بالكامل بعد عدة أشهر، إني أصبحت على وشك الجنون، دلّوني على حل لمشكلتي هذه، تكلموا مع شقيقي في هذا المجال. ولكم مني جزيل الشكر والامتنان.

أختكم...

أخي العزيز: إن المرأة بإمكانها أن تنزع حجابها أمام زوجها ووالدها وأشقائها وسائر المحارم من الرجال حيث يقول تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وقُل للمؤمناتِ يَغضُضنَ من أبصارِهنَّ ويحفظنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبدينَ زينتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَر منها وليضرِبنَ بخُمُرهنَّ على جيوبِهنَّ ولا يبدينَ زينتهنَّ إلاّ لبعولتِهنَّ أو آبائِهنَّ أو آباء بعولتِهنَّ أو أبنائِهنَّ أو أبناء بعولتهنَّ أو إخوانِهنَّ أو بني إخوانِهنَّ أو بني أخواتِهنَّ أو نسائِهنَّ أو ما ملكت أيمانُهُنَّ أو التّابعين غير أُولي الإربةِ من الرّجال أو الطفلِ الّذين لم يَظهروا على عوراتِ النساء...﴾.

فلماذا يا أخي هذا التشدد من جانبك؟ ولماذا تؤذي شقيقتك التي تعشق الحجاب وتفرض عليها رأيك وتجعلها تصل إلى حافة المرض والجنون؟ ألديك أي دليل يرضاه الله في هذا المجال؟ ألا تعلم أن الإنسان مثلما عليه أن يتجنب المعاصي والذنوب يجب عليه أن يستفيد من الأمور التي سمح بها الله وأجازها وحلّلها؟ إن شقيقتك يحق لها أن تنزع حجابها أمام الرجال المحارم في داخل

البيت. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: [إن الله يغضب على من لا يقبل رخصه][1].

فلماذا ترفض ما أجازه الله وسمح به؟! ولماذا تكره شقيقتك بهذا الشكل؟

إذا لم يكن لديك دليل يرضاه الله على تصرفك هذا فعليك أن تكفّ فوراً عن هذا التصرف وتمتنع عن إكراهها على وضع الحجاب في داخل البيت. عليك أن تخشى آهة المظلوم لأن آهة قلب شقيقتك الكسير والحزين المتألم قد يدمّر حياتك لأن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: [ما مِن مظلمة أشدُّ من مظلمةٍ لا يجدُ صاحبها عليها عوناً إلاّ الله عز وجل][2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: [لمّا حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال: يا بني إياك وظلم من لا يجدُ عليكَ ناصراً إلاّ الله][3].

نسأله تعالى أن يحفظنا من التطرف والتعصب الزائد عن الحدّ وأن يرشدنا في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل عمل نقوم به وكل كلام ننطق به إلى الصراط المستقيم وطريق الحق القويم لأن فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، رهن بعودتنا إلى طريق الله وإلى جادة الحق والصواب.

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٠ ص ٣٣٥ باب ٣٤ ح٧.
(٢) أصول الكافي، ج٢ ص ٣٣٣ باب ١٣٦ ح٤.
(٣) المصدر نفسه.

الفصل (٤٩)

الحياء أجمل لباس ترتديه المرأة

عندما توقع المرأة عقد الزواج المقدس فإنها تدخل في حصانة زوجها وهي تتقبل وتوافق على الكثير من التعهدات والالتزامات بمجرد توقيعها لهذا العقد. فهي تتعهد بأن تبقى إلى جانب زوجها تساعده وتؤنسه وتشاركه أفراحه وأحزانه وتقدم له كل جمالها الأنثوي وعواطفها وحبّها وبكلام مختصر فهي تتخلى عن أي رجل أجنبي من غير المحارم ما عدا زوجها. وهي تتعهد بأن تظهر أمام الرجال الآخرين بالحجاب الشرعي وتظهر بملابس محتشمة وفي إطار من الحياء والحشمة أمام والدها وإخوانها. فالإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: [أحسن ملابس الدنيا الحياء][١].

ويقول عليه السلام أيضاً: [الحياء زينة وعفاف][٢] فالمرأة عليها أن لا ترتدي أمام والدها وإخوتها (وسائر المحارم من الرجال) تلك الملابس التي ترتديها أمام زوجها وعليها أن لا تتحدث وتتمازح معهم كما تفعل مع زوجها عندما تختلي معه وتتحدث وإياه حديثاً مفعماً بالحب. وخلاصة الكلام أن الزوجة يجب عليها أن تتعرف على مشاعر الغيرة والحساسية لدى زوجها وتحترم هذه المشاعر والأحاسيس الموجودة لديه وتقبل توجيهاته وإرشاداته وتقدم له الطاعة. اقرأوا معنا هذه الرسالة التي وصلتنا من أحد الإخوة الكرام:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم حرف الحاء.

(٢) المصدر نفسه.

الرسالة: ... تحية لكم، أرجو أن تكونوا بخير... إني شاب حديث العهد بالزواج، إني راضٍ إلى حد بعيد عن أخلاق زوجتي. فهي امرأة حسنة الخلق بشوشة وطيبة... لها ذوق جيد وسليم. ولكن ما يزعجني فيها هو كثرة تحدثها ومزاحها مع والدي وشقيقي وبشكل عام مع الأقرباء رجالاً ونساءً.

وعندما أقول لها إن هذا المزاح يزعج شقيقتي ووالدتي تجيبني بالقول: ما شأني أنا إذا كانت أختك ووالدتك تنزعجان وتتأثران بسرعة؟ هل يجب عليَّ أن أغلق فمي من أجلهما؟!... أقول لها إن هذا المزاح مع والدي وشقيقي ليس محبباً ولا مناسباً، فتقول لي: إني لا أحب أن أراهم صامتين مكتئبين، أريد أن أتكلم لكي أبعث فيهم الفرح والسرور وأزرع الضحكة والابتسامة على وجوههم وكلما أنصحها وأقول لها إن المرأة لا يناسبها ولا يليق بها أن تتمازح مع والد زوجها وأشقائه تقول لي: ليست عندي نوايا سيئة، لماذا أنت تفسّر مزاحي بهذا الشكل؟

وأحياناً أشعر بالغيرة عليها وينتابني الغضب الشديد من تصرفها هذا إلى درجة أني أريد أن أصرخ.. ولكني مرة أُخرى أسيطر على أعصابي وألتزم الصمت ولا أقدم على أية خطوة... فماذا تقترحون عليَّ؟ هل تعتقدون أن هناك سبيلاً آخر غير الطلاق.

أيها الأخ العزيز! إن غيرتك على زوجتك هي في محلها تماماً لأن رسول الله ﷺ يقول: [الغيرة من الإيمان][1] ويقول ﷺ أيضاً: [إن الله يبغض الرجل الذي لا غيرة له] إن زوجتك يجب أن لا تتكلم بكلام أو تتصرف تصرفاً يزعجك ويجعلك تسيء الظن بها. يجب أن لا تضحك وتتمازح في غيابك مع والدك الذي هو محرم عليها ومع شقيقك الذي يعتبر من غير المحارم بالنسبة لها. لأن كثرة المزاح تقلل من قيمة الإنسان وتجعله يفقد حياءه ويفقد احترام الناس له. وفي هذا المجال يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: [عندما يقل

(١) بحار الأنوار، ج٧١ ص ٣٤٢.

الحياء ينهار جدار العفة][1] ويقول الرسول الأكرم ﷺ: [من خلع لباس الحياء فسدت أخلاقه][2].

وقال ﷺ: [إنَّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها المتبرّجة مع زوجها الحصان على غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها ولم تبذل كتبذل الرجل][3].

أما أنت أيها الأخ الكريم! لماذا تأخذ زوجتك إلى مجلس يحضره رجال من غير المحارم؟! ولِمَ تجلسها معك على مائدة يجلس حولها أولئك الرجال؟!

ذكّر زوجتك بقول أمير المؤمنين عليه السلام: [إن كثرة المزاح تقلل من قيمة الشخص وتجعل الآخرين يستخفون كلامه ويتخذونه هزواً ولا يصدقون حديثه].

إن المزاح العنيف المؤذي يسبب العداوة والبغضاء ويجعل الحياة علقماً مراً ويحدث الخلاف والتنافر والانفصال بين الزوجين.

أما بخصوص الطلاق:

صحيح أن الطلاق أمر وارد في القوانين الحقوقية للإسلام، ولكنه من أبغض الحلال عند الله. فالإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: [تزوجوا ولا تطلقوا فالطلاق يهزّ عرش الله وليس هناك أبغض عند الله من الطلاق][4].

وقال رسول الله عليه السلام: [أوصاني جبرئيل بالمرأة حتى ظننتُ أنه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشةٍ مبيّنة][5].

وبالتأكيد هناك طرق أُخرى غير الطلاق وأفضل هذه الطرق الاهتمام أكثر فأكثر بالزوجة والتحدث معها والاستماع إليها والتمازح معها لكي تشعر بأنك تحبّها فعلاً وتريد لها الخير والصلاح وأنك تدرك وتفهم احتياجاتها ومتطلباتها النفسية

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) بحار الأنوار ج٧١ ص ٣٣٣.
(٣) وسائل الشيعة ج١٤، الباب السادس، ص ١٤.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٢٦٧.
(٥) . مكارم الأخلاق ووسائل الشيعة، ج١٤ الباب ٨٦ ص ١٢١.

والعاطفية وتسعى لإشباعها وإرضائها. قدم لها الإرشاد والنصح وبيّن لها النتائج السيئة والعاقبة الوخيمة لهذه الاختلاطات واللقاءات اللامشروعة وهذا الاستهتار والمزاح. إلفت نظرها بشكل خاص إلى واجبات الزوجة الأساسية الثلاثة تجاه زوجها حيث يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى أهم ثلاث صفات في المرأة فيقول: [ولا غنًى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهنَّ: ١ ـ صيانة نفسها عن كل دَنَسٍ حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، ٢ ـ وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، ٣ ـ وإظهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه][١]. وكلّنا أمل في أن تعطي نصائحك وإرشاداتك لها النتائج المرجوة وتقبل توجيهاتك بما يضمن لها السير في طريق الخير والمعروف ويحقق لها السعادة والهناء. تمنياتنا أن تعيش أنت وهي وجميع الأزواج والأسر الأُخرى حياة سعيدة هانئة في ظل المحبة والتفاهم والوئام.

وفقك الله.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، طبعة مؤسسة الأعلمي، ص ٢٣٦.

الفصل (٥٠)

الصبر في الملمّات

«السلام على الحسين سيد الشهداء».

سلام على كل قطرة من دم الحسين حيث إن كل قطرة من دمه الطاهر سقطت على الأرض تحولت إلى شمس ارتفعت نحو السماء لتسطع وتجعل ليل الذل والضلال الدامس مشرقاً بنور العزة والهداية والتحرر وتنفض عن وجه البشرية غبار الجهل ونكبة الظلم والجور.

فالحسين عليه السلام وأصحابه ـ حيث إن جميع الشهداء في كل عصر وزمان هم أصحابه ـ بذلوا دماءهم لينقذوا عباد الله من الجهل ومن الحيرة والضلال ويسموا بهم إلى سماء الوعي وعالم الشهادة واليقين، وليفضحوا الظالمين ويحطموا قيود الظلم ويتخلصوا منها. فالإمام الحسين وأصحابه سلام الله عليه وعليهم اختاروا الشهادة في سبيل الله لتحقيق هذه الأهداف ولذلك نراهم تحلّوا بأعلى درجات الصبر للوصول إلى تلك القمم العالية الرفيعة. إنهم لم يكونوا صابرين فقط بل شاكرين لله وحامدين له، لأن الشهادة في سبيل الله في ظل هممهم العالية وعزائمهم الراسخة هي نعمة إلهية وموهبة من الباري تبارك وتعالى وهذه النعمة وتلك الموهبة تستحق الشكر وليس الصبر والتصبّر. فالشهادة في نظر الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام فوز عظيم ونعمة كبيرة وليست بلاء ولا محنة ولهذا فإن أولئك الأحرار الأبرار كانوا يشكرون الله على هذا الفوز العظيم وكانوا يتلقون نبأ الاستشهاد كبشارة ففرحوا بهذا النبأ وأسرعوا نحو الشهادة والتضحية في سبيل الله. الغرض من التطرق إلى هذا الكلام هو يوم عاشوراء هذا اليوم المليء بالأحداث والوقائع الخطيرة: «فكما كانت تضيق الأمور على الحسين بن

علي عليه السلام وتزداد المشاكل والصعوبات وكلما كان العدو يزداد تجرؤاً ووحشية وكلما كان يقترب شبح الموت كان الحسين عليه السلام والبعض من خاصة أصحابه تتفتح أساريرهم ويزدادون فرحاً وتطمئن قلوبهم أكثر فأكثر حيث لم يكن لديهم أي خوف من الموت»[1].

أمّا البعض الآخر من أصحابه فلم يكونوا بهذا المستوى من الثبات والصبر، فقد أرهبهم الموقف وأخذ يساورهم شيء من الخوف فالتفت الإمام الحسين سلام الله وملائكته عليه وعلى أصحابه قائلاً: [صبراً يا بني الكرام، فما الموت بالنسبة لكم إلاّ كجسر تمرون منه إلى الجنان وإلى النعيم الأبدي، فمن منكم لا يريد أن ينتقل من هذا السجن إلى قعر فسيح. فلقد أخبرني أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأن الموت هو الجسر الذي يعبر منه المؤمن إلى الجنان ويعبر منه الكافر إلى عذاب الجحيم. ألا إني لم أقل كذباً ولم أسمع عن آبائي كذباً][2].

وبذلك فقد دعا الحسين بن علي عليه السلام أصحابه بكلامه هذا، كما دعا جميع الأحرار وأصحاب العزة والكرامة للالتزام والتحلّي بالصبر على المكاره والمصائب التي تواجه كل من يسير على طريق الحق وطاعة الله. كما دعاهم للصبر في جهادهم ضد الكفر والظلم حتى الوصول إلى العزّة والكرامة أو نيل شرف الشهادة. لقد دعاهم جميعاً إلى الصبر قائلاً: «صبراً يا بني الكرام» كما طلب الحسين عليه السلام من جميع الأحرار والأبرار في كل عصر وزمان أن يواصلوا نهجه ويقتدوا به ويناصروا الحق وأصحابه ويخذلوا الباطل وأنصاره في كل وقت وزمان. وأوصى سيد الشهداء سلام الله عليه جميع ذوي الشهداء بالصبر على المصيبة التي حلّت بهم وخاطبهم بالقول: «صبراً يا أهل بيتي». إن شهداءنا العظام والكرام، الذين تربوا ونشأوا في مدرسة الحسين عليه السلام لبّوا نداء إمامهم وقائدهم واجتازوا الجسر المؤدي إلى جنان الخلد والسعادة الأبدية عن وعي ومعرفة وبكل شوق وصبر وهم مخضبون بدمائهم وتحرروا بذلك من قيود هذه الدنيا التي هي كالسجن بالنسبة للمؤمن ونالوا أجر وثواب صبرهم من الباري تبارك وتعالى: وجزاهم بما

(١) نهج الشهادة ص ١٩٥ عن إثبات الوصية للمسعودي.
(٢) المصدر السابق.

صبروا جنة ونعيماً حيث أسكنهم ربهم في أعلى درجات الجنان في جوار الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين.

على ذوي الشهداء الأعزاء أن يتعلموا الصبر من بطلة كربلاء العقيلة زينب الكبرى ويحافظوا على مشعل الهداية الذي حمله شهيدهم الغالي، متوقداً ووضّاءً في ظل ملحمة عاشوراء الخالدة وعليهم أن يرفعوا راية الصبر والكرامة ويبقوا على جذوة الشكر والعزة متوهجة متوقّدة ويتجنبوا اليأس والجزع.

والآن وبعد أن اطلعنا على شرف الشهادة ومنزلة الشهيد وكرامة الصبر وأجره وثوابه على المصائب. اقرأوا هذه الرسالة المليئة بالمشاعر والأحاسيس الجياشة وحاولوا أن تواسوا هذه الأخت المفجوعة وسائر المفجوعين والمنكوبين وتهدّئوا من روعهم:

الرسالة: ... كنت أنا وزوجي متحابين وسعيدين جداً وكنا ندبر شؤون البيت ونقوم بأعمال المنزل بالتشاور والتعاون فيما بيننا، وفي أوقات الفراغ كان ينشغل بالدراسة والمطالعة وكنت أنا أمارس الخياطة للمساهمة في تأمين نفقات المعيشة... وكنت أنظم برنامج عملي بحيث عندما كان زوجي يعود إلى البيت كنت أنتهي من جميع أعمالي وأشغالي البيتية وبذلك كان يتسنى لي أن أجلس وأتحدث معه. الأطفال دائماً كانوا نظيفين وأنيقين ينتظرون مجيء والدهم إلى البيت حيث كان يأخذهم معه إلى المسجد وبعد أداء صلاتي المغرب والعشاء كانوا يعودون معاً إلى البيت ليبدأ بملاطفتهم وملاعبتهم. في معظم الأوقات كان زوجي يتوجه إلى المسجد بمجرد سماعه صوت الأذان ويأخذ الأطفال معه وكان يوصيني دائماً بالذهاب إلى المسجد... وآخر لقاء لي مع زوجي كان لحظة توجهه إلى جبهة الحرب للمرة الخامسة. حيث ودعته في محطة القطار تحرك القطار وكان لا يزال ينظر إليّ ومع ابتعاد القطار عنّي شعرت بأنه ومن خلال نظراته الحنونة قد اقتلع فؤادي من موضعه وأخذه معه. آخر عبارة قالها لي هي: «أسلّم أطفالي بعد الله إليك». لقد قلت له بأني لا أستطيع العيش بدونه، قلت له بأن لا يذهب إلى الجبهة مرة أُخرى، ولكنه كان يقول لي:

لا أستطيع إن الواجب يفرض عليّ أن أذهب إلى جبهات الحرب. فقلت له: ألا تحبني؟ ألا تحب أطفالك؟ فكان يقول: نعم أحبكم ولكن حبّي لله أكثر، الدفاع عن بلادي وديني وشرفي وعِرضي هو أكثر وجوباً، إني لا أستطيع أن أترك إمامي وحيداً، لا أستطيع أن أسمع نداء الإمام الحسين ولا ألبّي نداءه... إني لا أطيق نار جهنّم.

... والآن رغم مرور أكثر من عام على استشهاد زوجي العزيز، فإني أمرّ بظروف صعبة، يعلم الله أني لا أستطيع الصبر ولم أذق طعم الراحة. أصبحت الدنيا أمامي مظلمة، لم يعد هناك شيء مهم بالنسبة لي، لا أدري ماذا أفعل؟ وأي سبيل أسلك؟ وأين أذهب حتى أشعر بالهدوء والاستقرار؟ لا أدري ماذا أفعل مع طفلين يتيمين؟...

أيتها الأخت الكريمة المفجوعة!

أعرف أن فراق المحبوب صعب جداً ولكن هذا البعد والفراق سيتحول إلى لقاء ووصال عندما تلتقين بشهيدك العزيز في جنة الخلد إن شاء الله حيث سيشفع لك يوم القيامة. ولكي يزداد صبرك ويعود إليك الهدوء والاستقرار ركزي اهتمامك بالأسئلة التالية وفكري فيها:

١ ـ هل فكّرت بالمقام السامي والمنزلة الرفيعة التي نالها الشهيد العظيم بعد ما لبّى نداء الإمام الحسين عليه السلام؟ تلك المنزلة الرفيعة التي يتمناها أصحاب الجنة أنفسهم.

٢ ـ هل فكّرت بما جلبه وحققه زوجك الشهيد من فخر وعزة وكرامة لأسرته ولشعبه (وبلاده)؟ ووقوفه بوجه ذلك الخطر الكبير الذي تعرضت له أسرته وبيته ووطنه؟

٣ ـ وهل تعلمين كم من أجر كبير وثواب عظيم لك عند الله على صبرك واهتمامك بتربية أبناء هذا الشهيد الجليل تربية صالحة؟

إذا ما فكّرت بهذه الأمور الثلاثة وأقمت مزيداً من العلاقات والاتصالات مع أسر الشهداء الصابرة فبالتأكيد سيكون من الأسهل عليك تحمّل هذه المصيبة

وسيهون عليك فراق زوجك الشهيد. يجب على أصدقائك وأقاربك ولا سيّما الأُسر الكريمة الصابرة أُسر الشهداء الأبرار أن يسلّوا خاطرك ويبعدوا عنك الهمّ والحزن والأسى من خلال زياراتهم وتفقدهم المستمر لك وإظهار المحبة والتعاطف معك ومع أسرتك وأطفالك. فهم بعملهم هذا وبحضورهم في بيت الشهيد وبين أهله وأسرته يكسبون رضا الله. وفي الختام ومن أجل أن أُهدّىء من روعك وأسلّي خاطرك وخاطر جميع المفجوعين مثلك بأعزتهم وأحبائهم، أهدي إليك هذه الرسالة الشريفة التي بعث بها رسول الله ﷺ إلى أحد أصحابه وهو معاذ بن جبل الذي توفي ابن له وأُصيب على أثر ذلك بحزن عميق، فبعث إليه النبي ﷺ برسالة تعزية ومواساة قال فيها:

[من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك، فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلاّ هو ـ أما بعد ـ فقد بلغني جزعكَ على ولدك الذي قضى الله عليه، وإنّما كان ابنك من مواهب الله الهنيئةِ وعواريه المستودعة عندك فمتعكَ الله به إلى أجل وقبضه لوقت معلوم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. لا يحبطنَّ جزعك أجرك ولو قدمت على ثواب مصيبتك لعلمت أن المصيبة قد قصرت لعظيم ما أعدّ الله عليها من الثواب لأهل التسليم والصبر واعلم أن الجزع لا يردّ ميتاً ولا يدفع قدراً فأحسن العزاء وتنجز الموعود فلا يذهبنّ أسفك على ما لازم لك ولجميع الخلق نازل بقدره والسلام عليك ورحمة الله وبركاته][(١)].

(١) بحار الأنوار ج٧٧ ص ١٧٤ ـ تحف العقول ص ٤٧.

الباب الثالث
واجبات الزوج والزوجة
وتعامل كل منهما مع والديه ووالدي الآخر

الفصل (٥١)

الزوجان الشابان بحاجة إلى نصائح وتوجيهات الكبار

يقول أمير المؤمنين عليه السلام [الموعظة والنصيحة تحيي القلب وتنير الفكر وتزيل رواسب الغفلة والغرور][١].

وهنيئاً لأولئك الأزواج والزوجات الذين تتوفر لديهم الفرصة للاستفادة بشكل مستمر من نصائح وتوجيهات الوالدين أو كبار العائلة. وما أروع أن يتجنب كل من الزوج والزوجة الحدّة والنزاع والكلام البذيء الذي لا جدوى منه لدى حصول خلاف بينهما ويلجآ إلى شخص أكبر منهما سناً يتمتع بالوعي والتجربة ليعرضا مشكلتهما عليه ويستمعا إلى توجيهاته ونصائحه بخصوص حياتهما الزوجية ويأخذا بتلك النصائح والتوجيهات ويعملا بها.

وما أروع أن تكون جميع الأمهات كهذه الأم التي سنتحدث عنها في الرسالة

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

التالية ـ واعيات ويتمتعن بالفهم والإدراك والصبر ويضعن تجاربهن المفيدة في الحياة تحت تصرف أولادهن حيث إن الحياة تقوم على أساس تقبل النصائح والاستفادة من التجارب.

الرسالة: . . . اتصلت في إحدى المرات هاتفياً بوالدتي وقلت لها بأن صبري قد نفد وأريد أن أترك أطفالي وكل شيء وآتي لأعيش معك. فردّت عليّ والدتي بالقول: أعرف بأنك تقولين هذا الكلام لأنك متضايقة وغير مرتاحة وأعرف بأنك لا تطيقين فراق أطفالك وزوجك والبعد عنهم وأعرف كم أنت تحبينهم، أعرف أنك إنسانة مسامحة تصفحين عمّن يسيء إليك ولا تنزعجين من الحياة ومن أطفالك. فلا تكتئبي يا ابنتي وكوني ضحوكة تحدثي وامزحي واضحكي ليزول عنك الحزن والغمّ. فأطفالك سيكبرون غداً وعندها سوف تنسين تعبك وتشعرين بالارتياح. . .

إذن إذهبي حالاً إلى زوجك وتصالحي معه وأنا سوف آتي غداً إلى بيتك، وأنت لا تأتي الآن إلينا. . .

* * *

وكلّما كنت أشعر بالملل والسأم بسبب الانتقادات غير المبررة التي كان زوجي يوجهها لي وكلما كنت أشعر بالتعب من هذا الوضع، كانت والدتي تنصحني وتهدىء من روعي وتسلّي خاطري وتحول دون حصول خلاف وشجار مع زوجي. فكانت تأتي إليّ بنفسها وتنصحني وترشدني وتقول لي بأن زوجك محقّ عندما ينزعج لدى رؤيته وضع البيت بهذا الشكل. وبالتالي فهي كانت تقنعني بكلامها وتمنعني من القيام بأية خطوة اعتباطية وغير مدروسة يمكن أن تسيء إلى حياتي الزوجية وتهدد مستقبلي ومستقبل أطفالي وتجعلهم يواجهون التشرّد والضياع. فكانت والدتي تقول لي، يا ابنتي أنا أيضاً في بداية زواجي واجهت بعض المشاكل مع والدك فلو أني تركت البيت في ذلك الوقت لكنتم واجهتم الضياع والتشرد ولما كنتم قد وصلتم إلى ما وصلتم إليه. لقد صبرت يا ابنتي وتحمّلت والآن كما تشاهدين تحسنت الأمور وأصبحت حياتنا حلوة حيث إني أشعر

الآن بالسعادة والفخر والاعتزاز بوجودكم . . .

أيتها الأخت الكريمة: إن إصلاح ذات البين ولا سيّما الإصلاح بين الزوج والزوجة هو بمثابة صدقة يحبها الله ويثيب عليها أعظم الثواب. وإنها حقاً أم عاقلة وذكية تلك التي تقول لابنتها: «أنا آتي إلى بيتك ولكنك الآن لا تأتي إلينا».

وليت جميع الأمهات (ولا سيما أمّهات الزوجات الشابات) كنّ مثل هذه الأم، يفكرن بمصلحة بناتهن ومستقبلهن ـ بعيداً عن عاطفة الأمومة ـ وبالتالي يعملن على تقوية أواصر المحبّة والتفاهم بين الزوجة وزوجها. ولكن البعض من الأمهات بدل أن يحثثن ويشجعن بناتهن على الصبر والتمسك ببيت الزوجية والتفاهم مع أزواجهن ويطفئن نار الخلافات والمشاكل بالموعظة الحسنة والنصيحة فإنهن على العكس من ذلك يؤججن نار الخلافات والمشاحنات بين الزوجين ويقمن بصب الزيت على النار من خلال تدخلهن بين الزوج وزوجته بصورة لا مبرر لها واتخاذهن مواقف مستعجلة وغير مدروسة. فنجد في بعض الحالات أن الأم بدل أن تنصح ابنتها وتقول لها: كوني متسامحة وعلّمي زوجك أصول الحياة الزوجية واجعليه يحسّن سلوكه وأخلاقه وتصرفاته من خلال تسامحك وتضحياتك، فهي تقول لابنتها: اتركي هذا الرجل السخيف، إنه حيوان، لقد دمّر حياتك ومستقبلك. مثل هذه الأم تحاول أن تعرب عن تعاطفها مع ابنتها فتقول: مسكينة ابنتي لقد تورطت مع رجل لئيم ظالم! ماذا أفعل؟! أنت المسؤولة يا ابنتي لما حصل لك، فقد جاء لخطبتك الكثيرون من خيرة الشباب! ولكنك رفضتِهم جميعاً ورضيت في النهاية بهذا الوحش عديم الثقافة والتربية. فهذه الأم بدل أن تنصح ابنتها وتشجعها على العيش مع زوجها والاتفاق والتفاهم معه تحثها على تدمير حياتها وترك بيتها وأطفالها وهي لا تعلم بأنها بعملها هذا إنما ترتكب ذنباً عظيماً وتدمّر حياتها وحياة ابنتها وتلقي بنفسها وبابنتها في نار جهنم. فعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي قال: [نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها فإن خرجت لعنها كلُّ مَلَكٍ في السماء وكل شيء تمرّ عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها][1].

---

(١) وسائل الشيعة ج١٤، ص ١١٥ حديث ٢٥٣١٠.

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: [أيّما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت قط من وجهك خيراً فقد حبط عملها][1].

عليّ بن جعفر في كتابه عن أخيه قال: سألته عن المرأة المغاضبة زوجها هل لها صلاة أو ما حالها؟ قال: [لا تزال عاصية حتى يرضى عنها][2].

أسأله تعالى أن يرفق علمنا ومعرفتنا بالصبر والتسامح ويجعل من لساننا وقلبنا وسيلتين لحل مشاكل الآخرين وتقديم المحبة والعطف لهم. وأنت أيضاً أيتها الأخت الفاضلة وفقك الله لحل مشاكل الآخرين وتقديم المحبة لهم.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٤، ص ١١٥ باب ٨٠ ح٨.
(٢) وسائل الشيعة ج١٤، ص ١١٥ باب ٨٠ ح٨.

الفصل (٥٢)

أحسن نصيحة تقدمها أم لابنتها الحديثة العهد بالزواج

عندما تغادر الفتاة الحديثة العهد بالزواج منزل والديها وتذهب إلى بيت الزوجية فإن والديها ـ ولا سيما والدتها ـ يقدمان لها جملة من النصائح والتوجيهات. أفضل وصية قدمتها أم عاقلة وواعية لابنتها الحديثة العهد بالزواج هي الوصية التالية: «أودعتك الله يا ابنتي، كوني خير عون وسندٍ لزوجك وخير أنيس ورفيق وحارس لوالدته...».

إذا ما ذهبت العروس الشابة إلى بيت زوجها مع هذا التصور بأن عليها أن تكون عوناً وفياً ودائماً لزوجها وممرضة مخلصة ووفية لأمّه فإنها:

أ ـ تشكر الله عز وجل وتقدّر تعب تلك الأم التي أنجبت لها مثل هذا الزوج الطيب المخلص.

ب ـ تفرح قلب زوجها ـ الذي يشعر بالمسؤولية تجاه والدته كما يشعر بواجب رعايتها والإحسان إليها والتضحية من أجلها.

ج ـ تكون بذلك قد علّمت أولادها الصغار الشكر والتقدير وخدمة الآخرين وتؤكد عليهم في كل لحظة من خلال عملها هذا بأن «الأم هي جوهرة ثمينة لا نظير لها ويجب رعايتها والاهتمام بها والتضحية من أجلها بكل محبة وعن طيب خاطر» حيث إن ما يستطيع الشخص تحقيقه بالعمل والفعل لا يستطيع أن يحققه بالكلام.

د ـ إن أولاد هذه الفتاة الحديثة العهد بالزواج الذين تربوا في ظل هذه التصرفات الحسنة لوالدتهم وأخذوا الدروس واختزنوا نور التوجيه والإرشاد

سيطبقون في المستقبل الدروس التي استوعبوها في المحبّة والتضحية وسيعاملون والدتهم في المستقبل بنفس الطريقة ويجعلونها تعيش حياة هانئة سعيدة. فعن الإمام الصادق عن رسول الله ﷺ أنه قال: [أحسنوا إلى والديكم ليحسن إليكم أبناؤكم][1].

لا فرق بين أم الزوج وأم الزوجة. فكلاهما أمّ لعائلة جديدة كوّنها العروسان. فوالدة كل منهما هي والدة للآخر ولهما حق على كلا الزوجين.

* * *

نعم، الوصية التي أوصت بها تلك الأم الواعية العاقلة ابنتها وأشرنا إليها آنفاً هي من أفضل الوصايا. أمّا الوصية التي سنقرؤها فيما يلي فهي أسوأ ما يمكن أن توصي به أمّ ابنتها وهي تنمّ عن جهل هذه الأم وغرورها وعدم وعيها:

الرسالة: ... «إن الأم واحدة ولكن الأزواج بالآلاف، بإمكانك استبدال زوج بآخر متى شئت ذلك» هذه العبارة تكررها عليّ والدتي باستمرار وبدل أن تنصحني وتدلّني على طريق الحياة الزوجية السعيدة وتقول لي: عليك أن تعيشي مع زوجك مهما كانت ظروفه. فهي على العكس من ذلك كانت تشجعني على التهكّم عليه والتنازع والتشاجر معه وتحثني على الإكثار من طلباتي منه وإثقال كاهله وإنهاكه بهذه الطلبات وقد كانت تقول لي: يجب أن يكون لديك بيت وحياة مستقلة، زوجك يجب أن يفخر بك ويلقي بالمجوهرات أمام قدميك... إن هذا الرجل لا يعرف قدرك. اتركيه وتعالي لتعيشي معنا. وابقي معنا حتى يهيىء لك زوجك بيتاً مستقلاً. وعندما يصبح زوجك صاحب بيت عليه أن يأتي إلى هنا ويقبّل يديك ويأخذك بكل عزّ واحترام.

... ونظراً لأنني لم تكن لديّ تجارب في هذه الحياة فقد صدقت كلام والدتي وبدأت بمشاكسة زوجي ورغم أني كنت أحبه وأرضى عن أخلاقه وتصرفاته فقد أخذت أتذرع بمختلف الذرائع والحجج وأعرب عن تذمري

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول.

وعدم ارتياحي من العيش في بيت والدة زوجي حيث خرجت من البيت عدة مرات دون علمه وذهبت إلى بيت والدتي. . . وبعد كثير من الأخذ والرد والنزاع والشجار استفحل الخلاف بيني وبين زوجي نتيجة تعنّت وعناد والدتي وكثرة توقعاتها التي لا داعي لها ونتيجة الإهانات التي كانت توجهها لزوجي. إنهارت حياتي الزوجية وطلقني زوجي وأخذوا منّي طفلي الصغير الذي كان عمره ثلاث سنوات والأسوأ من ذلك أن والدتي تمنعني من رؤية طفلي وهي لا تسمح لي حتى بذكر اسمه. . .

والآن وبعد أن طلقني وحصل ما حصل فإني عندما أتذكر حياتي السعيدة التي عشتها معه تنهمر دموعي على خدّي وأتمنى الموت في كل لحظة. . . ولكي أنسى مأساتي توجهت إلى الدراسة لفترة من الوقت وبعدها شغلت نفسي بالخياطة ولكن كل ذلك لم يقلّل من عذابي وتألّمي بسبب ما أعانيه من الوحدة والتشتت. لديّ شقيقة تصغرني سنّاً وعندما يأتون لخطبتها فإن عليّ أن أُخفي نفسي ولا أظهر أمامهم لكي لا يعرفوا بأني مطلقة. . . والآن عندما أصبحت وحيدة لا ملجأ لي ولا معين فإن والدتي تجرح مشاعري بكلامها القاسي فهي تقول لي دائماً: أنت عالة على المجتمع! يجب أن تقومي بعملٍ ما! ولكني لا أدري ماذا عليّ أن أفعل؟ لا أدري لمن أشكو همّي وغمّي؟ أريد منكم أن تنشروا رسالتي هذه مهما كلّف الأمر. لعلّ زوجي الحنون الطيب يقرأها ويفهم ماذا أعاني وكيف أتألم نتيجة بعده وطفلي عنّي، ولكن ماذا بوسعي أن أفعل؟! فأنا لا أجرؤ على معارضة والدتي. من يستطيع أن ينقذني من انتقاداتها اللاذعة والفضائح التي تسببها لي؟ من يستطيع إنقاذي من عذاب الوحدة وألم فراقي لطفلي ويرفع عن قلبي هذا العبء الثقيل؟ من يستطيع أن يقول لزوجي بأني أحبه وأحب طفلي الوحيد وأريد أن أعيش معه؟

. . . لعلّكم تستطيعون مساعدتي، أرجوكم لا تذكروا اسمي واسم مدينتي ومنطقتي. أستميحكم عذراً على أن رسالتي أصبحت بهذا الشكل لأني

كتبتها والدموع تنهمر على خدّي حيث ابتلّت الرسالة من دموعي.
أختكم...

أيتها الأخت الفاضلة! أنا أيضاً قرأت رسالتك بكل حزن وتأثر وعاودت قراءتها مرات عديدة. حبذا لو كتبت تلك العبارات الأخيرة التي ذكرتِها ضمن رسالة وبعثت بها إلى زوجك واعتذرت إليه وأظهرت له نواياك الصادقة وحبك له وعدتِ إلى بيتك الزوجي. لعل أحد العقلاء الواعين من أقربائك يستطيع أن ينصح والدتك المغرورة الكثيرة التوقعات ويقول لها بأن من أقبح الأعمال خلق الخلاف بين الزوجين اللذين يريدان العيش معاً.

وإن من أفضل الأعمال إصلاح ذات البين وإيجاد المحبة والوئام. نأمل أن نستطيع مساعدتك في هذا المجال، إمسكي القلم وابدأي باسم الله بكتابة رسالة إلى زوجك.

وفقك الله.

الفصل (٥٣)

كيف أتصرف مع هذا الصهر البخيل؟ وماذا أفعل معه؟

ما أروع أن يعيش الزوج والزوجة بمحبة وتوافق ووئام وأن يحفظ كل منهما سمعة وكرامة الآخر وما أحلى أن يشارك كل منهما الآخر أفراحه ومسرّاته وهمومه وشقاءه وأن لا يظهر أحدهما للآخر خلاف ما يضمره له وأن يتحدثا بكلام حسن في إطار من الأدب والاحترام المتبادل ويتعاملا مع بعضهما البعض بصدق وإخلاص ومحبة وأن لا يتخليا عن بعضهما البعض في الصعاب والملمّات والمصائب ويبذلا ما بوسعهما وينفقا ما يملكان من أجل سعادة حياتهما الزوجية المشتركة وتربية أولادهما وأبنائهما تربية صالحة ولائقة ومن أجل سعادة حياتهما الزوجية المشتركة وتربية أولادهما وأبنائهما تربية صالحة ولائقة ومن أجل أعمال الخير الأُخرى ليعيشا معاً عيشة سعيدة يرضاها الله وتكون مفعمة بالصفاء والمحبة والكرامة ويسعيا بشكل خاص لإحقاق حقوق كلٍّ منهما على الآخر ـ بكل دقة وأمانة. ومن بين حقوق المرأة على الرجل تأمين النفقات والمتطلبات الضرورية المتعارف عليها للزوجة. فالزوج يجب عليه أن يهيىء لزوجته كافة متطلبات الحياة الضرورية كالغذاء واللّباس والسكن بكل تقدير وبشكل لائق وبدون منّة. على أنّ المرأة لا تتحمّل مثل هذه المسؤولية على صعيد تأمين نفقات ومتطلبات الأسرة وإن كانت تستطيع وبعد موافقة زوجها أن تعمل وتحصل على إيراد مالي تكون هي مالكة له ويحق لها التصرف فيه كيفما شاءت. وليس للزوج أي حق في مال الزوجة أو راتبها أو أي إيراد مالي تحصل عليه نتيجة عملها وجهدها. لا يحق له أن يتصرف أدنى تصرف في ثروتها وأموالها التي كسبتها بنفسها دون رضاها

وموافقتها. كما لا يستطيع إجبارها على المساهمة في الإنفاق على البيت والأسرة.

«من وجهة نظر الإسلام ليس للرجل سلطة اقتصادية على المرأة ولا يحق له أن يستغل قدرتها على العمل ويستعبدها.

لقد أعطى الإسلام المرأة الاستقلالية الاقتصادية والمالية وسلب الرجل حق القيمومة على المرأة على صعيد العمل والمعاملات (حيث إن مثل هذه القيمومة كانت سائدة في العصور القديمة وكانت لا تزال رائجة ومتّبعة في أوروبا حتى بداية القرن العشرين) بالطبع فإن من مصلحة الزوج والزوجة ومن مصلحة كيان الأسرة والأولاد، أن تتجنّب الزوجة العمل خارج البيت ولا تمارس أعمالاً متعبة مرهقة غير ضرورية وأعمالاً شاقة ومضنية تؤثر عليها جسمياً ونفسياً..».

ولكن إذا مارست المرأة وبمحض رغبتها وبعد موافقة زوجها، عملاً مناسباً بإمكانها أن تتصرف في راتبها وإيرادها كيفما تشاء وتنفقه في أي عمل خير حيث لا يستطيع زوجها أن يمنعها من عمل الخير أو أن يتصرّف في مال أو ثروة حصلت عليها. كما لا يحق للزوج أن يطلب من زوجته أن تنفق على البيت ويمتنع هو بالتالي عن الإنفاق على بيته وأسرته. وإذا فعل الزوج ذلك يكون قد أرتكب ذنباً ويكون مديناً لزوجته بمالها الذي تعرف به وايضاً بالمبلغ الذي يجب عليه ان ينفقه على بيته وزوجته وعياله.

الرسالة: ... ابنتي ذكية وعاقلة وتعمل موظفة في إحدى الدوائر الحكومية. وفي آخر مرّة جاءنا من يخطبها فسألت والدة العريس عن ابنها. فأقسمت لي بأن ابنها يخلو من أي عيب سوى أنه يعاني قليلاً من البخل، فاطمأننا وعقدنا قران ابنتنا على هذا الشاب. مضت فترة من الوقت والوضع على ما يرام. ولكن مع مرور الوقت عرفنا بأن صهرنا إلى جانب كونه بخيلاً فإن فيه عيوباً خلقية أُخرى... فهو إنسان متقلّب، أحياناً يكون عصبي المزاج ويتخلى عن أصول الأدب والاحترام إلى درجة أنه لا يعود يميز بين الكبير والصغير والشيخ الطاعن في السنّ فيتهجم على الجميع ويسبّهم ويتهكّم عليهم. وأحياناً يكون هادئاً طيب الأخلاق مما يبعث على الدهشة والاستغراب. والأسوأ من ذلك أنه يصبح عاطلاً عن العمل في بعض

الأحيان ويتكاسل ولا يذهب إلى مكان عمله، بعبارة أُخرى يذهب أحياناً إلى العمل ويترك عمله لعدة أيام... وعلى زوجته أن تعمل لكي تنفق على زوجها وطفلها.

... إن تصرفاته جعلت ابنتي لا تجرؤ أن تشتري هدية بسيطة من مرتبها. فمثلاً تحصل ابنتي أحياناً على مواد تموينية من الدائرة التي تعمل فيها. ولكنها لا تجرؤ أن تقدم لي بعضاً منها لأنه إذا عرف بذلك يقيم الدنيا ويقعدها..

والآن أسألكم: إن الأم التي بذلت الجهود على مدى سنوات طويلة من أجل تربية ابنتها وهيأت لها جهاز العرس وأرسلتها إلى بيت زوجها. ألا يحق لها أن تحصل على شيء من مال ابنتها؟! رجائي منكم أن تنصحوا صهري لكي يعود إلى رشده ويدخل معترك الحياة ويذهب إلى العمل ولا يقضي أوقاته عاطلاً عنه وانصحوه أيضاً أن لا يكون بخيلاً إلى هذا الحدّ...

١ ـ أيتها الأخت الفاضلة، ليتك عرفت كل شيء عندما قالت والدة العريس «إن ابنها يعاني قليلاً من البخل» وليتك كنت تعرفين بأن البخل يضم جميع القبائح والعيوب ويقود إليها. الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول حول البخل: [البخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء][1].

إن البخل يقضي على المروءة ويضع الصفات الجمالية الحسنة في إطار من القبح والسوء ويزيد من المساوىء والعيوب ويؤجج نار الأحقاد والضغائن. كما أن البخل يجعل صاحبه يواجه الضيق والعار في الدنيا ويلقي به في نار جهنم في الآخرة وخلاصة القول إن البخل هو آفة تهدد سلامة الأسرة وكيانها.

٢ ـ إن ابنتك تستطيع ولها الحق أن تقدم لك هدية من مالها الذي اكتسبته من كدّها وعملها الشريف، كأن تشتري لكِ شيئاً ما وتستطيع أيضاً أن تعطيك بعضاً من المواد التموينية التي تحصل عليها من الدائرة التي تعمل فيها ولا يحق لزوجها أبداً

---

(١) نهج البلاغة ص ٧١٢ باب الحكم رقم ٣٧٧.

أن يعترض على ذلك، وإذا ما اعترض على ذلك وفتح فمه بالتهكّم والكلام البذيء فإنه يكون قد ارتكب إثماً يدخل على أثره نار جهنم. كما أنه إذا حاول أن يتصرف في مال ابنتك الخاص فإنه يكون قد أكل مالاً حراماً. فالرسول ﷺ يقول: [الحياء من الإيمان والمؤمن في الجنة والوقاحة قبح وسوء وكل قبيح وسيّىء في النار][1].

٣ ـ على أية حال أيتها الأخت الفاضلة باعتبارك تملكين تجارب قيمة في الحياة، حاولي أن لا تتدخلي في شؤون ابنتك وصهرك وعليك أن لا تتوقعي منهما شيئاً وادعي الله ليمنحهما السلامة والسعادة وينقذهما من هذه الأخلاق والسجايا غير المحببة، وعليك من منطلق الأمومة أن تقدمي لهما النصح والتوجيه والإرشاد بين الحين والآخر. وليكن عندك أمل بتحسن الوضع وزوال هذه المشاكل.

---

(١). بيت الأحزان عن دلائل الإمامة للطبري ص ٣٠ ط الأعلمي.

الفصل (٥٤)

هل تنزعجون من النصائح التي يقدمها الآباء والأمهات؟

الأم والأب هما أساس وجود الأبناء، والأبناء في جميع مراحل حياتهم منذ الولادة وقبل ذلك ومنذ مرحلة الرضاعة وحتى يصبح الواحد منهم طفلاً ثم فتًى وبعدها يصبح شاباً وحتى مرحلة البلوغ والكبر... دائماً وأبداً يحتاجون إلى مساعدة الوالدين ومراقبتهما وتوجيهاتهما بل ويحتاجون أيضاً إلى دعاء الوالدين الواعيين العاقلين ورضاهما. وهذه الحاجة تتجسّد وتتجلّى بشكل خاص عند الزواج وتشكيل الأسرة وعلى مدى الحياة الزوجية حيث إن الزوجين الشابين يجب أن يحظيا بشكل مستمر بعناية ومراقبة الوالدين ومساعدتهما وتوجيهاتهما وإرشاداتهما ونصائحهما القيمة وعلى الزوج والزوجة أن يأخذا بتلك النصائح المخلصة بكل رغبة ورحابة صدر ويلتزما بها في رحلة الحياة الزوجية. وحذارِ أن ينزعج الصهر ويتأذى من نصائح وتوجيهات والدة زوجته وبالتالي يقطع علاقته بها. وحذار أن تنزعج الزوجة من نصائح وتوجيهات والدة زوجها والتي تقدمها عن محبة وإخلاص. لأن الأمهات والآباء يقدمون لأبنائهم حصيلة التجارب التي حصلوا عليها طوال فترة حياتهم ويرغبون بأن يعيش أبناؤهم في ظل تلك النصائح والتوجيهات حياة حلوة ومشرقة وسعيدة.

إن توجيهات ونصائح الآباء والأمهات هي بمثابة درر ثمينة تسطع وتتلألأ لتضيء أمام الأبناء طريق الحياة المشرقة السعيدة. فالأزواج والزوجات الشباب هم بأمسّ الحاجة إلى هذا المطر الخفيف وإلى تلك الدرر المضيئة وإلى تلك الإرشادات والتوجيهات وإذا حرموا وهم في بداية الطريق وفي ربيع الحياة من مطر

الرحمة هذا فإن حياتهم سوف يصيبها الجفاف ولا تثمر شيئاً. الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [المعرفة أصل خير الإنسان وسعادته وتجارب الحياة هي أفضل أنواع المعرفة وكل من يستغني عن المعرفة وتجارب الحياة لا يرى مستقبله وينخدع][1].

إذن يجب على الأزواج والزوجات الشباب أن يسمعوا نصائح الآباء والأمهات (ولا سيما أمّ الزوج وأم الزوجة ويتقبلوا تلك النصائح ويأخذوا بأفضلها ويطبقوها، ويقول عليه السلام: [من لم يتعلم من الآخرين لم يحصل على المعرفة][2]، وعنه عليه السلام أيضاً: [من لم يكن له نصيب من المعرفة غرق في الجهل][3].

إياكم أن تقولوا عن جهل وعدم معرفة بأن الآباء والأمهات يتدخلون في حياتنا وتعتبروا توجيهاتهم ونصائحهم المخلصة بأنها تدخل في شؤونكم، بل عليكم أن تروا أنفسكم دائماً بحاجة إلى دعاء الوالدين ومساعدتهم وتقدموا لهم الشكر والامتنان لما اكتسبتموه منهم من فهم ومعرفة حيث إن شكر الوالدين هو شكر لله تبارك وتعالى ودعاء الوالدين ورضاهم هو سرّ السعادة والهناء في الحياة. وأوصيكم يا من تريدون أن تزوجوا ابنكم وتبحثون له عن الفتاة المناسبة، بأن تختاروا الفتاة التي هي من عائلة تتمتع بالفهم والإدراك ورجاحة العقل والحياء والعفّة والشرف والإيمان والوفاء، زوجوا ابنكم من عائلة تسودها المحبة والتفاهم والاحترام المتبادل بين أفرادها، عائلة بعيدة عن الطمع قليلة الطلبات والتوقعات أفرادها ملتزمون بالصلاة وأداء الواجبات الدينية وخدمة الآخرين. وعندما تختارون مثل هذه الفتاة كزوجة لابنكم فعليكم أن تحافظوا عليها وتعتزوا بها وتعتبروها كابنتكم. عليكم أن تدركوا لطافة روحها وحساسية مشاعرها وتتجاوزوا عن هفواتها وأخطائها وتغضوا النظر عن عيوبها وتستروها ولا تحكموها بعبارات تجرح مشاعرها ولا تمتدحوا أحداً وتتبجّحوا به أمامها ولا تنتقدوها في غيابها ولا تستغيبوها وتوجهوا التهم لها وتجعلوا زوجها يسيء الظن بها وتتغير أفكاره تجاهها

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [الغيبة إدام كلاب النار][1].

فإذا كنت أنت أيها القارىء الكريم وأفراد أسرتك تتمتعون بهذه الصفات الطيبة والسجايا الخلقية الكريمة فحبذا لو أعطيت جزءاً من وقتك الثمين لقراءة الرسالة التالية التي تعاتب فيها هذه الأخت الكريمة صاحبة الرسالة زوجها على بعض تصرفاته:

الرسالة: . . . **زوجي طيب الأخلاق وحسن التصرفات عادة في داخل المنزل، ولكنه في بعض الأحيان عندما يذهب إلى بيت والدته وشقيقته يعود إلى البيت منقلباً سيّء الأخلاق وكأنه سقط من السماء إلى الأرض وتنقلب أخلاقه رأساً على عقب، فيبدأ بالبحث عن مختلف الذرائع والحجج ويصرخ في وجهي. . . وعندما أسأله عن سبب ذلك يقول: أنت السبب في ذلك. لقد فعلت كذا وقلت كذا. . .**

علماً بأني لم أقم بذلك العمل ولم أتكلم قطّ بذلك الكلام. ورغم ذلك فإني أحاول السيطرة على أعصابي وأتجنب الغضب وأبذل ما في وسعي من الصبر والتأني لأُثبت له بأن هناك خطأ أو سوء فهم قد حصل ولم يكن الأمر أبداً كما يقول. وبالنتيجة يفهم هو الحقيقة ويذعن لها ويعترف بأن كل ذلك أخبرته به والدته وشقيقته. ولم تكن تمر عدة أسابيع حتى تتكرر هذه القضية ومرة أُخرى يستمع إلى ما ينقله الآخرون له عنّي واستغابتهم لي أمامه ويقبل ما يقولونه عني بدون أي دليل ويبدأ الشجار بيننا مرة أُخرى.

فحبذا لو نصحتم الأمهات وقلتم لهنَّ بأن لا يتدخلن في شؤون أبنائهن ويمتنعن عن الغيبة والنميمة ولا يدمّرن حياة هذين الزوجين الشابين وكل الزوجات والأزواج الحديثي العهد بالزواج.

وحبذا لو نصحتم الأزواج أيضاً وقلتم لهم بأن لا يصدقوا فوراً ودون أن يكون لديهم دليل كل كلام يقال لهم. . .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، حرف الغين.

ولكن لا تتصوروا بأن والدة زوجي من هذا النوع. كلا إنها ليست كذلك والحمد لله!... فكل ما ذكرته كان على لسان جارتي وأردت أن أنقله إليكم لكي تقدموا ما أمكنكم من نصح وإرشاد وتوجيه.

١ ـ هل تعلمين ما هي الغيبة وماذا يعني الافتراء على الآخرين واتهامهم بتهم باطلة؟ وما هي النتائج التي تترتب على الغيبة والافتراء؟ لقد خاطب الرسول الأعظم ﷺ أبا ذرّ سلام الله عليه قائلاً: [يا أبا ذر! تجنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار] فقال أبو ذر: يا رسول الله! وما الغيبة؟ فقال رسول الله ﷺ: [ذكرك أخاك بما يكره، قلت: يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به، قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته][١].

ويترتب على الغيبة والافتراء والاتهام، انتشار السيئات والآثام وزوال الصداقات وازدياد العداوات والأحقاد والأم التي تستغيب زوجة ابنها وتتكلم عنها في غيابها كلاماً سيئاً فهي في الحقيقة تقف من نفسها ومن ابنها موقف العداء والخصومة وتجلب لنفسها المزيد من العذاب والتألم والشقاء وفي الواقع تخدش وجهها بأظافرها. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: [مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم][٢].

ولهذا السبب فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أن [ترك الغيبة أحب إلى الله عز وجل من عشرة آلاف ركعة تطوعاً][٣].

٢ ـ المسألة الأُخرى هي الاستماع إلى ما يقوله الآخرون وتصديقه وإصدار الحكم على أساس ذلك. قال أمير المؤمنين عليه السلام: [لا تجعلوا يقينكم شكاً ولا علمكم جهلاً][٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٧٧ ص ٨٩ باب ٤.
(٢) ميزان الحكمة ج ٧ ص ٣٣٣ حديث ١٥١٧٧.
(٣) بحار الأنوار ج٧٥ ص ٢٦١.
(٤) ميزان الحكمة، ج١٠ ص ٧٨٤ حديث ٢٢٦٧١.

وقال علي عليه السلام : [المؤمنُ يرى يقينه في عمله وإنّ المنافق يرى شكّه في عمله][1].

وقال سلام الله عليه: [يفسدُ اليقينَ الشكُّ وغلبة الهوى][2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : [لا تدع اليقين بالشك والمكشوف بالخفي ولا تحكم على ما لم تره بما يروى لك عنه وقد عظم الله عز وجل أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك المؤمنين][3].

نسأله تعالى أن يجنبنا الغيبة والافتراء على الآخرين ويمنحنا الاستقامة في القول والعمل ويختم أعمارنا بالسعادة وحسن العاقبة. وليكن قلبكم سليماً ولسانكم مستقيماً.

---

(١) ميزان الحكمة، ج١٠ ص ٧٨٤ حديث ٢٢٦٦٨ و٢٢٦٧٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ميزان الحكمة، ج٧ ص ٣٣٦ حديث ١٥١٩٢.

الفصل (٥٥)

إطاعة الزوج؟ أم إطاعة الأم؟

الزواج ميثاق إلهي ويجب على المرأة والرجل (اللذين يوقعان) هذا الميثاق أن يتعهدا بتنفيذ بنود هذا الميثاق والالتزام والوفاء به ويقبلا بالشروط التي يتضمنها ويلتزما بها لكي يبقى هذا العقد (الميثاق) المقدس قوياً وثابتاً. فبموجب هذا الميثاق الإلهي تتعهد المرأة بإطاعة الرجل (الزوج). عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: [إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم. قال: وإن أباها قد مرض فبعثت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تستأذنه أن تعوده فقال: لا اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك قال: فثقل فأرسلت إليه ثانياً بذلك فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك قال: فمات أبوها فبعثت إليه إن أبي قد مات فتأمرني أن أصلّي عليه فقال: لا اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك قال: فدفن الرجل فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله ، إن الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك][1].

فعندما تدرك المرأة واجبها الإلهي هذا تكسب ودّ ومحبة زوجها الذي يقوم بدوره بخدمتها بمزيد من المحبة ويؤدي واجباته والتزاماته تجاهها بشكل أفضل. وبمزيد من الوفاء والإخلاص. والمرأة بإطاعتها لزوجها إنّما تطيع الله تبارك وتعالى ـ الذي جعل الرجل قيّماً ومسؤولاً عن شؤون البيت والأسرة وتكسب محبة الله لها ورضاه تبارك وتعالى عنها وبالتالي الفوز بالجنة والسعادة الأبدية في الآخرة. وأيّما امرأة صبرت وتحملت من أجل طاعة زوجها أعطاها الله مزيداً من الخير والثواب

(١) وسائل الشيعة ج١٤ باب وجوب طاعة الزوج على الزوجة ص ١٢٥.

جزاء لصبرها وطاعتها لزوجها. إذن فإن أفضل وأعقل امرأة هي تلك التي تقبل أن يكون زوجها مسؤولاً عن البيت ومديراً للأسرة وترفض تدخل الآخرين في شؤون بيتها وأسرتها وتقيم حياتها الزوجية على أساس التفاهم مع زوجها. هكذا تكون النساء المؤمنات الصالحات الكفؤات، فهن يطعن أزواجهن وصولاً إلى طاعة الخالق جلّ وعلا ويتجنبن المعاصي والعناد والتمرد على الزوج ولا يكترثن بما يقوله هذا وذاك. فالبيت الذي يكون مشرقاً وسعيداً وهانئاً بوجود امرأة كهذه فيه، مثل هذا البيت يسوده النظام والرضا والمحبة والاحترام المتبادل والقيم الخلقية السامية. حيث يشعر كل من الزوج والزوجة بحلاوة ولذة الحياة الزوجية ويربّون أولاداً صالحين يتمتعون بالصحة والسلامة.

ولكن ما يهدد هذا التفاهم والرضا والمحبة بين الزوجين هو التدخل الذي لا مبرر له من قبل أقارب وذوي الزوجة وأحياناً تدخل بعض الجاهلات الحسودات من أمهات الزوجات. الرسالة التالية التي وصلتنا من إحدى الأخوات الكريمات تبين بوضوح كيف أن أم الزوجة إذا كانت جاهلة وغير واعية وحسودة فإنها تدمّر حياة ابنتها وتقضي على سعادتها الزوجية.

الرسالة: ... إنني فتاة أدرس في كلية الطب. تزوجت منذ حوالي عام واحد، إني البنت الوحيدة في العائلة لدي شقيقان يواصلان دراستهما ونظراً لكوني الإبنة الوحيدة في العائلة وقد فقدت والدي الطيب الكادح قبل عامين، فإن والدتي أصبحت تنتظر وتتوقع مني الكثير. فهي دائماً تقول: يجب أن تتزوجي الرجل الذي يعجبني والذي أختاره بنفسي. لأن شقيقيك سوق يتزوجان ونظراً لأن أخلاقي لا تتلاءم مع زوجتيهما فسأضطر للعيش معك ومع زوجك المستقبلي، إذن كوني على علم بأنك لا يحق لك اختيار زوجك. وفي النهاية تم الزواج بعد أن اضطرت والدتي للموافقة عليه نتيجة إصرار شقيقيّ وتدخلهما في القضية. ولكن منذ الأيام الأولى لزواجي بدأت والدتي بإيجاد المشاكل ووضع العقبات أمامي. فلدى شرائنا متطلبات الزواج المختلفة فرضت والدتي على أهل العريس الكثير من النفقات الباهظة بحيث أثقلت كاهلهم وجعلتهم يشعرون بالذل والهوان وإني الآن أخجل من نفسي عندما أتذكر تصرفاتها تلك.

فعلى سبيل المثال طلبت والدتي إقامة حفل زواج كبير جداً وجعلت زوجي ينوء تحت عبء الديون، ويشهد الله بأني لم أكن أرغب بذلك ولم أكن أريد إقامة مثل هذا الحفل ولكن كل ذلك انقضى على ما يرام بفضل الأخلاق السامية التي يتمتع بها زوجي ووالدته وإنسانيتهما ومحبتهما وشهامتهما العالية التي تبعث على الاعجاب والتقدير.

... ورغم كل المشاكل والصعوبات فقد مرّت الأشهر الأولى من زواجنا بخير وسلام وبدأنا أنا وزوجي ووالدته حياتنا بمحبة وتفاهم ووئام تام. ولكن والدتي كانت تنغص عليّ حياتي. فهي تتحدث باستمرار عن طريق الهاتف وتذهب وتجيء وتسمّي بيتي زريبة حيوانات وتقول: إني لم أزوج ابنتي لكي يجعلوا منها خادمة ويستخدموها للعمل والسخرة. لقد كانت تحقرني وتهينني دائماً وتفضحني أمام صديقاتي وتذكرني أمامهنّ بسوء كانت تقول لي: أنت التي توشكين أن تصبحي... على الأقل كان بوسعك أن تتزوجي طبيباً مثلك... يجب عليك أن لا تسمعي كلام زوجك. بل عليك أن تطيعيني وتسمعي كلامي أنا...

إن زوجك وأمّه يريدان أن تكوني خادمة لهما، عليك أن تطردي أمّه من بيتك. فأقول لها: يا أمي العزيزة! عليّ أن أجدّ وأعمل لإدارة شؤون البيت. فإدارة شؤون المنزل من واجبي، كما أن من واجب زوجي السعي والعمل في خارج البيت لتأمين نفقات البيت والأسرة، وثانياً، أين تذهب والدته إذا طردتها من البيت؟! ليس عندها إلا هذا الابن ويجب أن تعيش معه إلى جانب ذلك فهي امرأة طيبة وعاقلة ومؤمنة منشغلة بالعبادة وتلاوة القرآن وإني أفخر وأعتز لكوني أقوم بخدمتها.

بالله عليكم، انصحوا مثل هؤلاء الأمهات وقولوا لهن بأن لا يتسببن في شقاء أولادهن وتدمير حياتهم. لماذا بدل أن تنصحني والدتي وترشدني وتوجّهني تقول لي: هذه أحسن فرصة لتطلبي الطلاق من زوجك. لأنك لم تنجبي منه طفلاً بعد. إني سأبحث لك عن زوج آخر؟ إني قلت وأقول لوالدتي بأني لا أتخلّى عن زوجي أبداً.. فتقول لي والدتي: إني لا أرضى عنك وأشكوك إلى الله وأعتبرك عاقّة. قولوا لي ماذا أفعل؟! هل

عليّ أن أطيع والدتي أم أطيع زوجي؟...

أيتها الأخت الفاضلة:

١ - إن كسب رضا الوالدين وإطاعتهما يأتي في الأولوية طالما أنك لم ترتبطي بعقد الزواج أما بعد الزواج فإن حسن التبعل يصبح من أهم وظائفك كما يصبح حق الزوج من أعظم الحقوق عليك. إذن يجب عليك أن تتفقي وتتفاهمي مع زوجك وتطيعيه لا أن تطيعي والدتك.

٢ - قولي لوالدتك بكل احترام يا أمي العزيزة! الآن وقد تزوجت من هذا الشاب وقبلت به ليكون شريك حياتي عليّ أن أصبر وأتحمّل معه حلو الحياة ومرها وأكسب ودّه ورضاه وأحترم ميثاق الزواج بكل جدّ وصدق وإخلاص. صحيح أن زوجي ليست فيه كل الصفات الحسنة ولكنه الرجل الوحيد الذي أعرفه وأفضل من تقدم لي، لقد عقدت معه ميثاقاً وأنا وفية لهذا الميثاق. نريد أن نعيش معاً ونكوّن لدى بعضنا بعضاً أخلاقاً جيدة وإذا ما واجهنا مشكلة في الحياة نعمل معاً على حلها بالتعاون فيما بيننا إن كل حياة زوجية تبدأ ببعض الصعوبات والمشاكل ولكن العشق والمحبة من شأنهما أن يذلّلا الصعوبات والعقبات ويعوّضا عن النقائص كما أن الجهود والمساعي المشتركة فيما بيننا تحدّ من المشاكل والصعوبات شيئاً فشيئاً.

٣ - يظهر من خلال رسالتك القيمة بأنك امرأة عاقلة وواعية وذكية، فحاولي بأسلوب رصين ومن خلال الفهم والإدراك الجيد للأمور أن تجدي الحل الأفضل والأمثل وحاولي بشكل خاص تجنب الشجار والنقاش الحاد مع والدتك. عليك أن تفهميها بتعاملك معها بأدب واحترام بأنك لا توافقين على وجهات نظرها الخاطئة وتدخلها غير المناسب في شؤونك وأنك لن تيأسي من الحياة ولن تختلفي وتتنازعي مع زوجك ووالدته وبهذه الطريقة تفهم والدتك بأن جميع تصرفاتها وأقوالها عديمة الفائدة ولا جدوى منها حيث تبدأ بالتدريج في التقليل من تدخلها غير المبرر في شؤونك.

٤ - قولي لشقيقيك بأن عليهما الاهتمام بوالدتهما فهذا من أهم واجباتهما ولا سيما بعد وفاة والدهم فإن والدتهما تشعر بالوحدة وهنا يبدو أكثر إلحاحاً

وضرورة قيامهما بهذا الواجب، واجب رعاية الأم والاهتمام بها. ذكّري شقيقيك وأوصيهما بأن يظهرا المحبة والعاطفة لوالدتهما أكثر من ذي قبل ويعتنيا بها ويقوما على خدمتها أكثر فأكثر ويطمئناها إلى أنهما لم ولن يتركاها وحدها. نسأله تعالى أن يعرفنا على حدود واجباتنا ووظائفنا ويوفقنا للعمل بما عرفناه من واجباتنا وأحكام ديننا.

الفصل (٥٦)

الوفاء للأم وفاء لأنفسنا وعدم الوفاء لها يعني عدم الوفاء لأنفسنا

هل هذا هو معنى الوفاء؟ ألا تسألين نفسك من ربى هذه الشجرة اليانعة؟ ومن هو الذي غرسها واعتنى بها؟ ألا تسألين من اعتنى بهذه الشجرة حتى أعطت ثمارها؟ هذه الشجرة التي تستظلين الآن بفيئها؟ لقد سقت هذه الشجرة وهي لم تزل صغيرة. سقتها بدم قلبها ودموع عينيها وغذّتها وأطعمتها حتى كبرت ونشأت واعتنت بها وحافظت عليها بعينها وأذنها ويدها ورجلها وشعرها ووجهها بكل رغبة وشوق. نعم لقد تحمل هذا الفلاح العذاب والعناء والألم لكي تنمو هذه الغرسة وتكبر وتثمر. لقد تحمّلت الأم الجوع والعطش والتعب ليرتوي طفلها ويشبع ويلبس ولتقيه الحرّ والبرد وسهرت لياليها لكي ينام براحة وهدوء. لقد ربته واحتضنته في حجرها لتحميه من الأخطار حتى كبر واشتد ساعده وصار شاباً قوياً وشجرة مظللة مثمرة، فهل يكون جزاء هذا الفلاح وهو الأم أن يحرم من التفيؤ بظل هذه الشجرة والاستراحة في بستانها؟ هل هذا هو معنى الوفاء؟!

الرسالة: ... زوجتي ربة بيت بارعة وصاحبة ذوق رفيع وذات خبرة واطلاع ونظيفة وطيبة، وخلاصة القول إن فيها الكثير من الصفات الحسنة، ولكن مع كل هذه الصفات الجيدة فإن فيها صفة تضايقني وتنغص عليّ حياتي. فوالدتي تعيش معنا وطبقاً لما يفرضه عليّ الواجب (الديني والأخلاقي والإنساني) فإني أقوم بتفقدها وآخذ لها الفاكهة والأشياء التي تحتاجها كما أقدم لها

بعض النقود... ولكن زوجتي لا ترتاح لهذا الأمر وتقول: هل أنت ابنها الوحيد حتى تهتم بها كل هذا الاهتمام وعندما تأتي إلى البيت تقوم أولاً بزيارتها وتفقدها؟ فأقول لها: إنها والدتي وأنا ابنها. فتقول لي زوجتي: إذا كانت هذه وظيفة الأبناء، فلماذا لا يقوم أشقاؤك الآخرون بمثل ما تقوم به أنت؟! مع أنهم أكبر منك سناً؟! إنك تعطي حقنا لوالدتك. إذا كان عندك مال إضافي فعليك أن توفره لتضمن مستقبل أطفالك...

وخلاصة القول إني إذا أردت أن أتفقد أحوال والدتي أو أحد أقاربي وآخذ لهم بعض الهدايا، فإنها تغتاظ وتحتجّ عليّ وتنزعج كثيراً إلى درجة أني أضطر أحياناً لإخفاء مساعداتي لوالدتي وأقربائي الأمر الذي يجعلني أواجه مشاكل من نوع آخر...

كلا يا أخي العزيز! تصرفك ليس خاطئاً. بل إن توقعات زوجتك ليست في محلها ولا هي مقبولة فهي تريد أن تحرم والدتك منك وتطردها من بستان اهتمامك بها ورعايتك لها وحرمانها من التفيؤ بظل ابنها العزيز.

لذلك فمن واجبك وواجب جميع أشقائك أن تستضيفوا والدتكم وتعتنوا بها وتقدموا لها كل خدمة ممكنة وتكرسوا وجودكم لخدمتها فإن لها أعظم الحقوق عليكم لأن وجودكم نما وترعرع وتغذى بدم قلبها. وإذا كان أشقاؤك لم يقوموا بواجبهم المقدس هذا فإنهم بذلك يتنكرون لفضل والدتهم عليهم وتضحياتها من أجلهم وبالتالي مذنبون. ولكن ذلك لا يعني سقوط التكليف والواجب عنك بل إن مسؤوليتك في رعاية والدتك والاهتمام بها تصبح أكبر وأكثر ضرورة. ومن الواجب عليك أن تنفق على والدتك بالشكل المتعارف عليه ـ إذا لم تكن تملك إيراداً مالياً ولا تستطيع الإنفاق على نفسها ـ أي كما تدير شؤون حياتك وتنفق على أسرتك وبيتك عليك أن تدير شؤون والدتك وتنفق عليها وتدبّر معيشتها ولا تجعلها محتاجة مادياً ومعنوياً تعاني من ضنك العيش ومن الفقر والفاقة. إسع كما كنت تفعل في السابق لجعل رضا والدتك مقدماً على رضاك ورضا زوجتك وأولادك.

وعليك أيضاً أن تقول لزوجتك بأن الاهتمام بالوالدة ورعايتها وتفقد أحوالها هو مظهر من مظاهر الإيمان ومن الصفات المحببة جداً عند الله ويؤدي إلى نزول

الخير والبركة على الشخص ويجعل حياته سعيدة هانئة. وعلى العكس من ذلك فإن عدم الوفاء لوالدة الزوج وعدم إظهار المحبة والتعاطف معها يعكّر صفو الحياة الزوجية ويؤدي إلى حدوث نزاعات ومشاحنات بين أفراد الأسرة. وهنا نتساءل: إذا كنت أيتها الزوجة عديمة الوفاء والمحبة تجاه والدتك أو والدة زوجك فيكف تتوقعين أن يكون أولادك وأبناؤك أوفياء ومحبين لك؟ إن الأبناء يجب أن يتعلموا منك أنت أيتها الأم والزوجة درس الإحسان والوفاء لوالديهم، أليس كذلك؟ كان المفروض بزوجتك الكريمة الواعية صاحبة الذوق الرفيع أن لا تمنعك من تفقد والدتك والمثابرة على خدمتها والاهتمام بها. بل كان المفروض بها أن تتصرف كتصرف هذه الزوجة الشابة ـ التي سنقرأ رسالتها فيما يلي ـ وكثير من الزوجات الأُخريات العاقلات المتفهمات الطيبات اللواتي لا يضمرن في قلوبهن أي نوع من الحسد والحقد والكراهية وتشجعك على القيام بواجبك كابن وكان المفروض بها هي أيضاً أن تؤدي إلى حدٍ ما حق والدة زوجها التي أنجبت وقدمت لها مثل هذا الزوج الطيب الكفؤ. ليتها أخذت العبرة من هذه الأخت الكريمة ولم تجعل حياتها مظلمة قاتمة يعلوها غبار الحسد ولم تجعل زوجها يعاني كل هذه الضغوط ومشاكل الحياة. لنقرأ الرسالة التالية:

الرسالة: قبل فترة تعرضت والدتي لحادث وعندما أخبروني أسرعت إلى المستشفى فوجدتها أصيبت بكسر في ساقها... وعندها اقترحت أن تبقى والدتي في المستشفى لتوفير عناية ومعالجة أفضل لها ولكني اضطررت ونتيجة لإصرار زوجي أن أنقل والدتي إلى البيت حيث تعتقد أن والدتي لا تلقى الاهتمام والرعاية المطلوبة في المستشفى. وبالفعل جئنا بوالدتي إلى البيت وتولت زوجتي بنفسها الاهتمام بها ورعايتها وتقديم الخدمة لها بشكل يفوق ما يمكن أن تقوم به أية ممرضة حتى شفيت تماماً. وقد أعربت والدتي عن شكرها وتقديرها لزوجتي وقالت: يا ليتني أنجبت ابنة مثل فلانة، ولكن مع الأسف لم أُنجب بنتاً.

كم كنت أود أن تزورونا في بيتنا لتشاهدوا عن كثب الطريقة التي تتعامل بها زوجتي مع والدتي ومدى اهتمامها بها ورعايتها لها وبالتالي تطلعوا الناس على ذلك من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة. إني أود

كثيراً أن أُعرب أمامكم عن شكري لزوجتي على أخلاقها الحسنة وحبّها لوالدتي في مساعدتها ورعايتها لها. . .

ونحن بدورنا نشكر هذه الأخت الفاضلة على حسن خلقها وتضحياتها، وكحسن ختام نشير إلى حديث مروي عن رسول الله ﷺ يقول: [من سرّهُ أن يُمدّ له في عمره ويزداد في رزقه فليبرّ والديه وليصل رحمه][١].

نسأله تعالى أن يوفقنا لنعرف قدر آبائنا وأمهاتنا أكثر فأكثر ونحسن إليهم ونقوم بخدمتهم ورعايتهم ما أمكننا ذلك فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [برّ الوالدين أكبر فريضة][٢].

(١) ميزان الحكمة ج١٠ باب الإحسان إلى الوالدين ص ٧٠٨ حديث ٢٢٣٧١ عن كتاب الترغيب والترهيب ج٣ ص ٣١٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

الفصل (٥٧)

اكسبوا رضا الأم وعاملوها بإحسان

يوصينا رسول الله ﷺ بالتراحم وصلة الأرحام حيث يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: [صلوا أرحامكم وتفقدوهم وأحسنوا إليهم وساعدوهم وأكرموهم][١].

ومن بين جميع الأقارب والأرحام فإن للوالدين ـ ولا سيما الوالدة ـ حقوقاً خاصة على الأبناء إلى درجة أن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحبّ إلى الله؟ قال: [الصلاة في وقتها].

قلت: ثم أيّ؟ قال: [برّ الوالدين][٢].

وهناك حديث عن رسول الله ﷺ مضمونه «إن العاق لوالديه لا يشمّ ريح الجنة».

ريح الجنة المنعش الذي يشم من مسافة ألف سنة ويمنح الحياة والسعادة والنشاط والابتهاج. إذن فإننا نوصي جميع الأبناء ولا سيما الأبناء الأجلّاء الفضلاء لهذه الأم ونقول لهم: عليكم أن تكسبوا رضا والدتكم وتعاملوها بلطف ومحبة وتزيلوا بقطرات دموع الاعتذار والندم رواسب التأثر والتألم والأسى من قلبها العطوف والآن لنقرأ معاً رسالة هذه الأم الفاضلة التي ضحّت بكل شيء من أجل

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ حديث ١٣٤٩٨.

(٢) ميزان الحكمة ج١٠ باب الإحسان إلى الوالدين، حديث ٢٢٣٧٥ ص ٧٠٩ عن كتاب الترغيب والترهيب ج٣ ص ٣١٤.

أولادها وبناتها ولكنهم قابلوها بالجفاء وهي تعيش الآن وحيدة كسيرة القلب.

الرسالة: . . . إني أم أبلغ من العمر خمسة وستين عاماً وقد ضحيت بفترة شبابي من أجل أولادي وأمرّ الآن بمرحلة شيخوخة سيئة. لقد كنت ـ وكما يشهد بذلك جميع الأقارب والأصدقاء ـ أمّاً نموذجية في التضحية والسماح. وقد ربيت أولادي بكثير من العناء والتعب فكنت أقوم بأعمال الخياطة وأبقى مستيقظة حتى ساعات متأخرة من الليل لكي أخيط الملابس وأقوم بأعمال الحياكة حيث كنت أحصل على مبلغ من المال لتأمين نفقات معيشتي ومعيشة أولادي وبهذه الطريقة استطعت لوحدي أن أُنفق على نفسي وعلى أولادي حتى كبروا جميعاً وواصلوا دراساتهم العليا. حيث إن ابني الأكبر يحمل الآن شهادة الدكتوراه والثاني يحمل شهادة في الهندسة وبناتي جميعهن منقفات يعملن في سلك التعليم، وبذلك فإن جميع أولادي يتمتعون الآن بمركز اجتماعي مرموق ويحظون باحترام الآخرين وتقديرهم.

. . . أما ابني الثاني، فقد كسر قلبي بشكل لا أعتقد أنه سوف ينجبر بعد ذلك أبداً.

وخلاصة الكلام أن ابني هذا غادر البيت وهو غاضب وأخذ زوجته وأولاده معه وتركني لوحدي، حيث إني لم أره منذ فترة وأتشوّق لرؤيته ورؤية أطفاله وأبكي بحرقة حزناً على فراقه وأحترق بنار الوحدة. إني أسألكم: هل هذا هو جزاء الأم التي تحمّلت كل هذا الشقاء والعناء والتعب وهل بهذه الطريقة تكافأ على محبتها وتضحياتها؟! أرجو منكم أن تنصحوا أولادي بأن لا يعاملوا والدتهم بهذه القساوة ولا يكسروا قلبها بهذا الشكل وبدون رحمة ولا شفقة.

وإذا كنت قد قلت لزوجته شيئاً فذلك بسبب حالة الضجر والملل التي أعاني منها، وهذا لا يجعلني أستحق هذه العقوبة. رجائي منكم كأم هو أن تتكلموا عن حق الأم على الأبناء، لعلهم يعودون إلى رشدهم وإلى طريق الصواب ولا يتركونني وحيدة كسيرة القلب والخاطر بهذا الشكل.

لا أدري ماذا أقول لأولاد هذه الأم، وهم متعلّمون ومثقفون؟! فالقرآن الكريم الذي هو بمثابة الشمس الساطعة التي تنير طريق الحياة أمام البشر أوصى مراراً بالوالدين خيراً وأمرنا بالإحسان إليهما ورعايتهما والاهتمام بهما وكسب رضاهما ولا سيما عندما يكونان في مرحلة الشيخوخة. يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: **﴿وقضىٰ ربُّكَ ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاهُ وبالوالدين إحساناً إمّا يبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أحدُهُما أو كلاهُما فلا تَقُل لَهُما أفٍ ولا تَنهرهُما وقُل لهما قولاً كريماً * واخفض لَهُما جَناحَ الذلِّ مِن الرَّحمةِ وقُل رَبِّ ارحمهُما كما ربّياني صغيراً﴾**(1).

إذاً فالقرآن الكريم يأمرنا بتفقد الوالدين ولا سيما عند الكبر ويحذرنا من إظهار الضجر والانزعاج من بعض التصرفات التي قد تصدر منهما أو كثرة طلباتهما وتوقعاتهما من أولادهما كما يحذرنا من نهرهما والتخلّي عنهما وتركهما وحيدين يعيشان في وحدة وعزلة قاتلة ويطلب منا أن نتذكر طفولتنا وضعفنا ولا ننسى متاعبهما وتضحياتهما وما بذلاه من جهود مضنية حتى أوصلانا إلى ما نحن عليه الآن من قوة وصحة وسلامة. إني لا أدري سبب ترك هذين الابنين أمهما وحيدة ولا سيما الابن الثاني؟ هل طلبت زوجته منه أن يترك بيت والدته؟ أو من المحتمل أن تكون زوجة الابن قد أصيبت بالضجر والملل فغادرت منزل والدة زوجها إلى الأبد.

إذا كان الأمر كذلك، فعلى هذه الزوجة الشابة أن تقرأ الرسالة التالية وتنظر من خلال هذه المرآة إلى تصرفاتها الحالية والآثار التي تتركها مثل هذه التصرفات على حياتها المستقبلية.

الرسالة: **... إني أشعر بالقلق والاضطراب ولا أستطيع النوم ولا أشعر برغبة في تناول الطعام، أعصابي متوترة وأستعمل الأقراص المهدئة بشكل مستمر... كل ذلك بسبب والدة زوجي التي هي امرأة سيئة الخلق كثيرة التوقعات، لقد حوّلت هذه المرأة حياتي إلى جحيم لا يطاق وعلقم مرّ لا يمكن تجرّعه. فعندما أخرج من البيت تفتح غرفتي وتعبث**

---

(1) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٢ و٢٣.

بمحتوياتها...
لقد سئمت حياتي ونفد صبري ولم أعد أحتمل. قلت لزوجي عليك أن تختار بين أمرين: فإما أن أكون أنا في البيت وإما أن تكون والدتك فيه. وإما أن تأخذ بيتاً لي وتخلصني من والدتك العجوز الثرثارة الكثيرة الانتقاد وإما أن ترسل والدتك إلى شقيقك الآخر لتعيش معه، أليست هي والدته كما هي والدتك؟...
وفي اليوم التالي قال لي ابني الذي بلغ الثانية عشرة من العمر: أماه إني لن أتزوج عندما أكبر. فقلت له ولماذا يا عزيزي؟! فقال: لأني سأضطر عندها إلى طردك من البيت. فقلت له ولماذا تطردني من البيت يا ولدي العزيز؟ فقال: لأن زوجتي قد تقول لي: إما أن أكون أنا في البيت أو تكون والدتك فيه!
كلام ابني هذا هزّ كياني بعنف. فقلت لنفسي: سأثبت لابني كيف عليه أن يعتني بوالدته ويهتم بها...
ومن ذلك الحين قررت أن أقدم أفضل خدمة ورعاية لوالدة زوجي. فلا أدعها تطبخ الطعام ولا أدعها تأكل وحدها بل أجلس معها على مائدة واحدة وصرت أتحمّل كل ما تقوله لي. كما أني صرت أوصي زوجي بتفقد والدته والاهتمام بها أكثر من ذي قبل وطلبت منه أن يتوجه أولاً إلى غرفة والدته ويتفقد أحوالها بمجرد أن يعود إلى البيت... ولم تكن تمضي سوى عدة أسابيع على قراري هذا حتى زال عني كل قلق واضطراب ولم أعد بحاجة إلى الأقراص المهدئة وبت أشعر بالصحة والسلامة والنشاط...
أما والدة زوجي فإنها التفتت إليّ في أحد الأيام وقالت لي بصوت مرتجف:
... يا ابنتي! كنت أتصور من قبل بأنك عدوة لي والآن أرى بأني كنت مخطئة تماماً في حكمي عليك.

والآن إذا كنت أيتها الأخت الكريمة تريدين أن تعرفي كيف يتصرف ابنك البالغ من العمر اثني عشر عاماً معك في المستقبل عندما يتقدم بك السنّ وتصلين

إلى مرحلة الشيخوخة، فانظري إلى تصرفك وتعاملك الحالي مع والدتك ومع جدتك ومع والدة زوجك ووالده. فالنبي الأكرم ﷺ يقول: [برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم][1].

* * *

وفي الختام أُعرب عن شكري وتقديري لك أيتها الأخت الكريمة لأنك ومن خلال تعاملك الكريم وأخلاقك السامية أمّنتِ سلامتك ومستقبلك وأعدت إلى حياتك العائلية صفاءها ونشاطها وسعادتها وحيويتها. وفقك الله وسدّد خطاك. ورجائي من أبناء هذه الأم الكسيرة القلب والمتألمة هو أن يسرعوا في زيارة والدتهم وتفقد أحوالها وكسب رضاها. عن أبي أمامة أنّ رجلاً قال يا رسول الله ما حقّ الوالدين على ولدهما؟ قال: [هما جنّتك ونارك][2].

وما أروع أن نظهر محبتنا وتعاطفنا لوالدينا وأن ندعو لهما بالخير والرحمة والمغفرة. نسأل الله العون والتوفيق.

(١) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٩ حديث ٢٢٣٧٤.
(٢) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٩ حديث ٢٢٣٦٩.

الفصل (٥٨)

ماذا أفعل والآخرون ينتظرون ويتوقعون مني الكثير؟

كيف أتعامل معهم؟

إن الشاب عندما يتزوج لا يمتلك التجربة الكافية والاطلاع اللازم على قضايا الحياة الزوجية وعندما يطلع ويتعرف شيئاً فشيئاً على قضايا الحياة اليومية ومشاكلها عليه أن يستخدم فكره ويستشير أصحاب الخبرة والتجربة ليعثر على أفضل الحلول ويعمل بها. ومن جملة هذه المشاكل توقعات وطلبات الآخرين منه: فالأم تنتظر من ابنها المتزوج حديثاً أن يكون في خدمتها بكل وجوده وكيانه كما كان قبل الزواج وشقيقته تتوقع منه أُموراً أُخرى وكذلك الأشقاء والوالد كل واحد منهم له توقعاته من الزوج الشاب. من ناحية أُخرى تجد أن والدة ووالد الزوجة وسائر أقربائها لهم أيضاً بعض التوقعات من الزوج ويريدون منه أن ينفذ ما يطلبونه منه على صعيد بعض الرسوم والتقاليد الخاصة بمراسم الخطوبة والزواج وغيرها[١].

---

(١) وهي رسوم وتقاليد لم ينزل بها الله من سلطان ولم يأمر بها الدين وهي تثقل كاهل الزوج وتحمّله أكثر مما يطيق وتجعله ينوء تحت عبء الديون أحياناً الأمر الذي قد تنعكس آثاره ونتائجه السلبية الضارة عل علاقة الزوجين الشابين مع بعضهما البعض في المستقبل. لذلك فعلى الآباء أن يسهلوا أمر تزويج بناتهم ولا يضعوا شروطاً قاسية وتعجيزية أحياناً أمام الشاب ذي الدخل المحدود والذي يريد أن يصون نفسه من الفساد والانحراف ويحفظ دينه كما أن على الآباء أن لا يكثروا من طلباتهم من الشبان الذين يتقدمون للزواج من بناتهم وتحميلهم نفقات لا قبل لهم بها. فهذه كلها أمور لا يرضاها الله ورسوله ويرفضها الدين ولا تقرها السنة النبوية الشريفة. إن تشدد الآباء في أمر تزويج بناتهم ووضعهم شروطاً صعبة أمام الشبان، جعلت هؤلاء الشبان يعزفون عن أمر الزواج ويلجأون إلى إقامة علاقات غير مشروعة مع الفتيات إرضاءاً للغريزة الجنسية لكلا الطرفين. =

نعم، الجميع عندهم توقعات من الزوج حتى زوجته التي تزوجته واختارته شريكاً لحياتها عندها آلاف الآمال والأحلام التي تصبو إليها وتتمنى تحقيقها. ولكن كيف يستطيع شاب قليل التجربة والخبرة أن يلبّي كل تلك الطلبات ويستجيب لكل هذه التوقعات؟ فواحد ينزعج وآخر ينتقد وثالث يمتعض ويقاطع وآخر يعتبر هذا الزوج الشاب شخصاً بليداً قليل التجربة بل ويعتبره إنساناً يفتقر إلى العاطفة والمحبة و. . . إذاً ما هو الحل؟ يجب على مثل هذا الشاب الحديث العهد بالزواج أن يستشير أصحاب الخبرة والدراية والتجربة والإيمان ليحصل منهم على الفهم والبصيرة والاطلاع على حقائق الأمور وخفايا الحياة الزوجية ومستلزماتها ومتطلباتها ومن ثم يتخذ قراره ويبدأ عملية التنفيذ بكل لطف وحزم وعليه أن يتفكّر ويتدبّر ويستشير ليعرف واجبه ويميز بين الحق والباطل وبالتالي يقتحم أمواج الحياة بزورق يقوده بمجذافي العزيمة والعمل ويشق طريقه نحو الأمام وإذا لم يفعل ذلك فإن الأمواج ستحطم زورقه وعندها سيجد نفسه في حالة من اليأس والضياع والحيرة يسير نحو الهاوية. الرسالة التالية تبين لنا مثل هذه الحالة. فالأخ الكريم كاتب الرسالة يبدو أنه يواجه بعض المشاكل وقد أخرج يده من تحت الأمواج مستغيثاً يطلب العون والإرشاد، فما هو الحل الذي تقترحونه عليه؟

الرسالة: . . . السلام عليكم، منذ سنوات وأنا أعيش بعيداً عن أهلي حيث أعمل في مدينة أُخرى لتأمين نفقات المعيشة وتوفير مبلغ من المال للزواج وشراء متطلبات بيت الزوجية. وقد تزوجت والحمد لله قبل عدة أشهر من فتاة من مدينتي ورغم أن زواجنا لم تمض عليه سوى عدة أشهر إلاّ أنني بدأت أواجه بعض المشاكل. ونظراً لأني أعمل في مدينة أُخرى فقد أخذت زوجتي لتعيش في بيت والدي وفي أثناء غيابي كانت زوجتي تبقى بعض الأيام هناك والأيام الأُخرى تقضيها في بيتها. والحق يقال إن زوجتي

= إن ما نشاهده اليوم في بلدان العالم من انتشار للفساد والفحشاء والبغاء والزنا بين الشبان والفتيات وما نراه من مظاهر التبرج والانحلال الخلقي في مجتمعاتنا ما هو إلاّ نتيجة لتشدد الآباء في أمر تزويج بناتهم وبالتالي عزوف الشبان عن الزواج وهذا ما يهدد بكارثة اجتماعية قد تحرق الأخضر واليابس. [المترجم]

امرأة طيبة وقنوعة وتحب بيتها وزوجها. . . ولكن المشكلة هي أني عندما أرجع من السفر إلى البيت تبدأ الانتقادات والتوقعات والعتاب: فوالدتي من جهة تعتب عليَّ وزوجتي من جهة أُخرى تحاول أن تفرغ أمامي ما في قلبها وتقدم لي طلباتها حيث ألاحظ بأنها منزعجة ومتأثرة جداً ويبدو عليها القلق والاضطراب وعدم الارتياح وأعتقد بأن عدم الارتياح هذا سببه كلام والدتي التي هي امرأة طيبة وذات أخلاق حسنة إلى أبعد الحدود ولكنها في نفس الوقت تحب الكلام والمزاح والضحك والنكات وعموماً فإن عائلتنا كلها بهذا الشكل، أما عائلة زوجتي وأهلها فهم أهل أدب واحترام وأخلاق فاضلة وبالتالي فهناك تناقض بين أخلاق الجانبين. أما أنا المسكين فقد تورطت بين هذه وتلك. . .

والسؤال الذي أطرحه في هذا المجال هو: على ضوء دخلي وراتبي المحدود هل استئجار بيت مستقل أعيش فيه أنا وزوجتي بعيداً عن والدي ووالدتي من شأنه أن يحل المشاكل؟ زوجتي تقول إن هذه المشاكل والمشاحنات ستبقى طالما أننا لا نعيش في بيت مستقل ـ ولكن أفكر بأن مغادرتي بيت والدي قد يؤلم والديّ ويؤذيهما، لأنهما تحملا الكثير من المصاعب من أجلي، فماذا أفعل وأنا أقف عند هذا المفترق؟

أيها الأخ الكريم! أولاً عليك أن تتجنب القيام بأي عمل يسخط والديك ويؤذيهم وتذكر دائماً بأن «عقوق الوالدين» حرام وهو من كبائر الذنوب. يقول الإمام الصادق عليه السلام: [من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة][1].

وعنه عليه السلام أيضاً: [لو عَلِمَ الله شيئاً أدنى من أفٍّ لنهى عنه وهو من أدنى العقوق ومن العقوق أن ينظر إلى والديه فيحدّ النظر إليهما][2].

٢ ـ صارح زوجتك واعتذر لها وقل لها بأنك متأسف لما قالته لها والدتك

(١) أصول الكافي ج٢ ص ٣٤٩ باب ١٤٣ ح ٥.
(٢) المصدر السابق.

وشقيقتك وأنك تشعر بالخجل للكلام الجارح الذي صدر عنهما وسبب لها الأذى وعدم الارتياح وقل لها بالحرف الواحد: «إنني وفي إطار من الأدب والاحترام الذي يجب عليّ أن ألتزم بهما تجاههما، أُحاول أن أنصحهما وألفت انتباههما إلى هذا الأمر في الوقت المناسب عندما تحين الفرصة أن ألتقي بهما على انفراد. وقل لزوجتك أيضاً أن بإمكانها أن تساعدك في عمل الخير هذا ومحاولة كسب ودّ ورضا والدتك وشقيقتك من خلال تقديم الخدمات وإظهار مزيد من المحبة لهما والتحدث معهما والتقرب إليهما بكل محبة وإخلاص. وقل لزوجتك أيضاً، إن الزوجة الشابة تحتاج بدون شك إلى توجيهات وتجارب من هم أكبر منها سناً وإذا ما انعزلت عنهم فإنها ستحرم من تلك التوجيهات والإرشادات. وقل لها أيضاً: إن عليها أن تتحمّل بعض تصرفات والديك وأهلك وتتجاهل البعض مما يقال لها. فالإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: [نصف العقل مداراة الناس ونصفه الآخر التغافل][1]. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: [من لم يتغافل عن كثير من أعمال الناس وأقوالهم ساءت معيشته][2].

وقل لزوجتك: إننا إذا قمنا بأي تصرف اعتباطي وغير مدروس يؤذي الوالدة ويجرح مشاعرها لا سمح الله ويجعلها تئنّ وتتألم، فإن حياتنا ستصبح جحيماً وهباءً منثوراً.

٣ ـ أيها الأخ الكريم لا تحاول أن تحل مشكلة من خلال خلق مشاكل أُخرى والدخول في متاهات لا تعرف عواقبها. فإذا افترضنا أنك قررت أن تكسر قلب والدتك وتستأجر بيتاً وتعيش بعيداً عنها، فهل أنت مطمئن بأن صاحب البيت لا يضايقك أنت وزوجتك ولا يوجه لكما الانتقادات والكلام اللآذع الجارح؟ وهل أنت واثق من أن جيرانك هم أناس طيبون من ذوي الأمانة والإخلاص والأخلاق والتعامل الحسن؟ ألا تفكر يا أخي من يأتي لمساعدتك ويسارع لنجدتك ونجدة زوجتك لدى غيابك عن البيت ولدى مواجهتك المشاكل والصعوبات؟ مهما يكن الأمر فإن والدتك وشقيقتك هما خير معين لك ولزوجتك عند الملمات وإذا افترضنا أنك لا تواجه مشكلة من هذه الناحية فماذا ستفعل مع الإيجارات المرتفعة

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) المصدر نفسه.

التي تثقل كاهلك وكيف بإمكانك أن تدفع إيجار الشقة أو البيت في ظل دخلك المحدود؟

٤ ـ إذن فمن الأفضل في هذه الحالة وأنت تقف على مفترق طرق أن تنتهج سبيل الوفاق والتفاهم وتتغاضى عن بعض الأمور وأن تتحمّل حالياً بعض المشاكل القائمة ولا تخلق لنفسك المئات من المشاكل الأخرى حتى تتمكن خلال تلك الفترة من توفير المبلغ اللازم لشراء السكن لك ولعيالك. عليك أن تتسامح وتصفح وتخدم الآخرين فالرسول ﷺ يقول: [عليكم بالعفو والتسامح فهو مصدر عزة لكم وسامحوا بعضكم بعضاً ليزيدكم الله عزة][1].

سلّمك الله ووفقك.

(١) راجع ميزان الحكمة. باب العزة والتسامح.

الفصل (٥٩)

كيف تتعاملين أيتها الأم مع كنّتك (زوجة ابنك)؟
وما هو شعورك تجاهها؟

أنت تعلم عزيزي القارىء بأن الأم في الأصل في وجود الأبناء وهي بمثابة الفلاح الذي يسهر ويشقى ويتعب من أجل أن يكبر هؤلاء الأبناء ويصلوا إلى مرحلة الاعتماد على النفس. ولهذا السبب فإن الأم تشعر بأن أبناءها ملك لها وبالتالي فهي تريدهم وتودهم وتحبهم وهي في بعض الحالات تغالي في حبها لابنها وتعلقها به بحيث إنها لا تستطيع أن ترى من يشاركه حياته حتى لو كانت زوجته التي اختارتها له بنفسها، وبعد أن تختار الأم الفتاة المناسبة لابنها وتمرّ الأيام الأولى للزواج، ترى فجأة أن هذه الفتاة قد سيطرت على ابنها واستملكته واستحوذت عليه وصادرت حصيلة أتعابها وجهودها التي بذلتها على مدى سنين طويلة من أجل تربية ابنها وإيصاله إلى هذه المرحلة. ولهذا فهي تنزعج وتثور لأنها ترى ابنها الذي هو ثمرة تعبها وفلذة كبدها الذي بذلت من أجله كل طاقاتها وجهودها وأفنت عمرها وضحت بسعادتها وراحتها لتراه يتحدث ويتمازح ويضحك مع امرأة كانت حتى الأمس القريب غريبة عنه... وهنا تشعر بالألم يعصر قلبها وبشعلة نار تستعر في كيانها، هذه الشعلة التي تحرق حياتها وحياة ابنها وزوجته ويتصاعد منها دخان ورماد يزعجها كما يزعجهما ويخلق لها المشاكل. لنقرأ هذه الرسالة التي وصلتنا من هذا الأخ الكريم:

الرسالة: ... أرجو أن تساعدوني لحل مشكلتي التي باتت تهدد حياتي، وتتمثل هذه المشكلة في الخلافات القائمة بين زوجتي ووالدتي.

هذه الخلافات التي تصعّدت كثيراً في الآونة الأخيرة وأنا أعاني كثيراً منها

حيث لا أستطيع أن أنفصل عن والدتي كما لا يمكنني الابتعاد عن زوجتي. لأن والدتي هي التي تولت تربيتي ورعايتي منذ أن توفي والدي وكان عمري آنذاك أربع سنوات كما تولت تربية شقيقتي أيضاً فكانت والدتي تعمل وتنفق علينا حيث أدخلتنا المدرسة والخلاصة أنها تعبت كثيراً من أجلي ومن أجل شقيقتي فكانت هي الأب والأم بالنسبة لي فكيف يمكنني أن أتجاهل كل ذلك وأنفصل عنها؟! والدتي تبلغ حوالي الستين من العمر وهي لا تزال تعمل. تخرج من البيت في السابعة صباحاً لتعود إليه في الخامسة مساءً وهي مرهقة وتعبة حيث تبدأ المشاكل ساعة عودتها إلى البيت. والحقيقة أن والدتي كثيرة التوقعات قليلة التحمّل والصبر ومع احترامي لها فهي حسودة إلى حدٍ ما. فهي ومنذ لحظة عودتها إلى البيت توجه الانتقادات لزوجتي تختلق الذرائع والحجج. فمثلاً: إذا أغلقت زوجتي الباب بقوة فإنها تقول: لماذا تثيرين ضجيجاً في البيت؟! وإذا أغلقت الباب بهدوء تقول لها: ماذا حدث حتى تتصرفي بمثل هذا الهدوء والتأني؟! وإذا ما احتدت زوجتي مع الأطفال ونهرتهم تقول لها: لماذا تتعاملين هكذا مع هؤلاء الأطفال الأبرياء؟! وإذا تركت الأطفال وشأنهم تقول لها: يا لك من امرأة غير مبالية! لماذا تركت الأطفال وشأنهم؟!
... إذا أردت أن أقول كل شيء فإن ذلك يستوعب كتاباً بأكمله.

هل شاهدت أيها الأخ الكريم مريضاً يتلوى من شدة الألم الذي في داخله وأحيانا يصرخ من شدة الألم؟ إن الحسد مرض خطير ومؤلم يسبب لصاحبه الأذى والقلق ويخلق عنده حالة من عدم الرضا ويجعله يعترض دائماً ويختلق الذرائع والحجج وهذا دليل على وجود هذا المرض النفسي ونعني به الحسد الذي ينتشر في داخل الإنسان ويحرقه. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [الحسد شرّ الأمراض][1] وقال علي عليه السلام أيضاً: [الحسد أحدُ العذابين][2] وإذا لم تتمكن أم من إطفاء شعلة الحسد في قلبها فستخلق مشاكل مع زوجة ابنها وأهلها وستحصل

(١) غرر الحكم ودرر الكلم الآمدي، حرف الحاء.
(٢) نهج البلاغة.

مشاجرات لفظية بينها وبينهم، والآن نتابع بقية الرسالة:

الرسالة: ... **الويل لنا إذا جاءت شقيقة زوجتي أو والدتها أو أي أحد من أقاربها لزيارتنا فإن والدتي تغتاظ وتثور وتنزعج إلى درجة تجعل الضيوف يندمون على المجيء إلينا. ولكن عندما يزورنا أحد أقربائي كشقيقتي أو شقيقي فإن والدتي لا يظهر عليها أي انزعاج أو تأثر بل إنها تظهر لهم الكثير من المحبة ويبدو عليها الارتياح... ولهذا السبب فإن أقرباء زوجتي وأهلها قلّما يأتون إلى بيتنا وإذا قرروا المجيء إلينا وزيارتنا فإنهم يأتون عندما لا أكون أنا ووالدتي موجودين في المنزل ولهذا السبب أصبح عندها نوع من الحساسية وسوء الظن وهي تقول: أكيد هناك أمر ما يجعل أهل زوجتك يأتون إلى بيتك سراً. قل لأهل زوجتك وأقربائها أن لا يأتوا إلينا بعد الآن.**
لا أُطيل عليكم الكلام. والدتي تتصور أني لا أهتم بها وأني أُطيع زوجتي في كل ما تقوله. ولعل زوجتي تتصور أيضاً أني أُطيع والدتي طاعة عمياء...
إني أرجو منكم أن تجيبوا على رسالتي هذه وتقولوا لي ماذا عليّ أن أفعل في هذه الحالة؟ هل أستطيع أن أترك والدتي وأغادر بيتها؟... وإذا فعلت ذلك فماذا سيكون موقفي أمام الله يوم القيامة حيث لم أكن وفياً لها؟!
أُقسم بالله لقد دخت أنا وزوجتي ولا ندري ماذا نفعل لكي ترضى والدتي. عندما تخدمها تنتقدها بشكل ما وعندما لا تقوم بخدمتها أيضاً تنتقدها بشكل آخر. عندما نتناول الطعام معها تلومنا وعندما لا نشاركها الطعام تلومنا وتنتقدنا أيضاً... فماذا علينا أن نفعل في هذه الحالة؟

ما هو الحل الذي تقترحونه أيها القراء الأعزاء وما هي التوجيهات التي تقدمونها لهذا الزوج الشاب وزوجته؟ صحيح أن حق الوالدة هو فوق كل الحقوق وصحيح أيضاً أن الأم لها أكثر الحقوق على الأبناء الذين يجب عليهم في جميع الأحوال أن يقدموا الشكر لوالدتهم ويقدموا على خدمتها ولا يسببوا لها أي أذى أو إزعاج ولكن في نفس الوقت فإن الابن يجب أن لا يضيق سبل العيش والحياة على زوجته. ونقول لوالدة هذا الزوج الشاب: عليك أن تطفئي نار الحرقة والألم في قلبك أو تجنبي إظهارها على الأقل وكوني كسائر الأمهات وتعاملي مع زوجة ابنك على أساس المحبة والإخلاص ـ وإذا لم تتمكني من تنقية قلبك تجاهها فعلى الأقل

نزّهي لسانك وهذّبيه وتكلمي معها بكلام طيب وكفّي لفترة من الوقت عن مشاكستها وتوجيه الانتقادات إليها.

سبيل الإصلاح: إن السبيل لإصلاح الباطن هو إصلاح وتهذيب الظاهر ولا سيما تهذيب اللسان عن وعي وإخلاص. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [من هذب لسانه اطمأن قلبه وازداد إيمانه بالله وازداد حباً لخلق الله][1].

ونقول لهذه الزوجة الشابة: إنك امرأة شابة والشباب هم أكثر من غيرهم أهل الكرم والتضحية. فكوني أيتها الأخت الكريمة صبورة حسنة الأخلاق والتعامل وتصرفي مع والدة زوجك كممرضة تحرص على مريضها فالقرآن الكريم يقول: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ لا تفكري أبداً بالدخول في نقاش مع والدة زوجك ورد الصاع صاعين إليها، بل عليك أن تفكري في معالجتها وإصلاحها وتعديل نظرتها إليك من خلال التعامل معها بلطف ومحبة إنك بهذه الطريقة سوف تستطيعين إن شاء الله تعديل تصرفاتها غير الصحيحة وبذلك تكونين قد أنقذت نفساً من العذاب والتألم والمعاناة وأرضيت الباري تبارك وتعالى وأرضيت نفسك وضميرك. تعوذي بالله من قصر النظر ومن شرّ الحاسدين لأن الحسد يحرق جميع الحسنات، فالرسول صلى الله عليه وآله يقول: [الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب][2].

ويقول علي عليه السلام: [الحسدُ داءٌ عياءٌ لا يزول إلاّ بهلكِ الحاسِدِ أو موتِ المحسُود][3] ويقول عليه السلام أيضاً: [الحاسِدُ يُظهرُ وُدَّهُ في أقواله ويُخفي بُغضَهُ في أفعالِهِ فَلَهُ اسمُ الصديق وصِفَةُ العَدُوِّ][4] ويقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: [ثمرةُ الحسدِ شقاءُ الدنيا والآخرة][5] فلنحذر أن تصل نار الحسد إلى قلوبنا وبيوتنا.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص ٢٥٥ باب ١٣١ ح ٢٦.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ج١ ص ٩٧ وص ١١٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) وسائل الشيعة ج١٤ ص ١٢٣ باب ٨٩ ح ١.

الفصل (٦٠)

الوصايا والنصائح الخيرة والجيدة من قبل والدة الزوج

عندما يتزوج الشاب من الفتاة ويخرجان من ظلام الوحدة المرعب ويسكنان إلى بعضهما البعض ويأنس أحدهما بالآخر، يجب أن يقررا منذ البداية العيش معاً على أساس الصداقة والتعاون لكي تكون حياتهما مغمورة بالسعادة والهناء وتبقى مستقرة وثابتة وراسخة. على الشاب والفتاة الحديثي العهد بالزواج أن يعلما بأن البيت هو مركز للصفاء والمحبة ومكان للتعاون بين الزوجين وبين سائر أفراد الأسرة وعلى الزوجين أن يقتسما الأعمال والمسؤوليات على صعيد الحياة الزوجية بالتفاهم والتراضي وعلى أساس هذا التقسيم الوظيفي ليبذل كل واحد منهما ما بوسعه لتقديم المزيد من الخدمات والرعاية للطرف الآخر والقيام بجهد أكبر في إطار الواجبات والمسؤوليات التي تعهد القيام بها وذلك لكي يتحقق مفهوم الشراكة في الحياة الزوجية والإخلاص تجاهها. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام قال: [تقاضى علي وفاطمة عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة فقضى على فاطمة بخدمتها ما دون الباب وقضى على عليّ عليه السلام بما خلفه قال: فقالت فاطمة: «فلا يعلم ما دخلني من السرور إلاّ الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمل أرقاب الرّجال»][1] أي أن الرسول صلى الله عليه وآله وبفضل حكمته وبصيرته الإلهية طلب من ابنته فاطمة عليها السلام أن تقوم بكل ما يتعلق بأعمال المنزل فكانت سلام الله عليها تقوم بطحن القمح وتحضير الخبز وتنظيف البيت. أما عليّ عليه السلام فكان يقوم بالأعمال المرتبطة بخارج البيت فكان يجلب الحطب والماء ويشتري

(١) وسئل الشيعة ج١٤ باب النكاح ص ١٦٤.

مستلزمات الطعام ومتطلبات البيت ويأتي بها إلى المنزل. ولكن عندما لم يكن علي عليه السلام موجوداً في المدينة فإن فاطمة سلام الله عليها كانت تقوم بالأعمال المرتبطة بخارج البيت وعندما يكون علي عليه السلام في المدينة وعنده متّسع من الوقت فإنه كان يساعد فاطمة عليها السلام في أعمال المنزل فكان يكنس البيت ويطحن القمح والشعير ويساعد زوجته العفيفة المخلصة في أعمال البيت الأُخرى. عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز][1].

[ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً إلى منزل فاطمة فرآها تطحن وعلي يساعدها ففرح كثيراً لهذا لأنه هو الذي قال: (لا يخدم عياله إلاّ من كان صدّيقاً أو شهيداً أو رجلاً يريد الله له خير الدنيا والآخرة). فأراد صلى الله عليه وآله أن يشارك في هذه الخدمة فقال: أيكما يشعر بالتعب أكثر من الآخر؟ فأجاب زوج فاطمة المخلص الوفي على العذر قائلاً: يا رسول الله فاطمة أكثر تعباً. فقال النبي صلى الله عليه وآله قومي يا ابنتي! فقامت فاطمة من مكانها امتثالاً لأمر أبيها فجلس النبي مكانها وبدأ يطحن][2].

فآلاف التحية والسلام عليهم فهم قدوة حسنة لكل الأزواج ومثال يحتذى به في هذه الحياة. ولكن بالرغم من وجود مثل هذه الأسرة الإلهية الحسنة ورغم الوصايا العديدة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله فإن البعض يعتقد بأن الرجل (الزوج) يجب أن لا يعمل في البيت ولا يساعد زوجته في أعمال المنزل أبداً بل عليه فقط إصدار الأوامر والطلبات. فهؤلاء البعض يتصورون بأن الأعمال المنزلية هي فقط من واجب الزوجة (المرأة بشكل عام) التي عليها وحدها القيام بجميع أعمال المنزل كما لو كانت عبداً أو عاملاً أو شخصاً أجيراً. إنهم يتصورون بأن الزوجة عليها إطاعة أوامر زوجها حول أعمال المنزل دون أي نقاش أو اعتراض. لعل هؤلاء لا يعلمون بأن الإسلام أعطى المرأة مطلق الحرية على صعيد العمل في البيت فهي حرّة تماماً في إنجاز أعمال البيت بمحض إرادتها ورغبتها أو عدم القيام بأي من أعمال المنزل. فليس من واجب الزوجة العمل في بيت زوجها كطبخ الطعام وغسل الصحون والأواني وتنظيف البيت وخياطة الملابس وو... الخ ليس

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص ٥٠.

(٢) وسائل الشيعة ج١٤ ص ١٢٣.

من حق الزوج أن يأمر زوجته بالقيام بهذه الأعمال. حتى إن الزوجة يحق لها أن تطالب زوجها باستئجار مرضعة لطفله أو أن تتقاضى منه أي مبلغ من المال قي مقابل إرضاعها لولدها. . . ولكن الزوجة وبسبب حبها لزوجها وبسبب عواطفها النبيلة وروح التضحية المتأصلة فيها وبسبب إيمانها بالله تبارك وتعالى ورسوله الأكرم ﷺ الذي يقول: [ما مِن امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلاّ كانَ خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ويبني الله لها بكل شربة تسقي زوجها مدينة في الجنة وغفر لها ستين خطيئة][1] وبسبب حبها لأولادها وتضحيتها من أجلهم فإنها تهتم بشؤون البيت وتقيم دعائم عش الزوجية على أساس التفاهم والمحبة لكي يرتاح زوجها لدى عودته إلى البيت وهو مرهق من العمل والكدّ ويشعر بالهدوء والاستقرار لدى مشاهدته جمال بيته واستقرار كيانه العائلي ووفاء زوجته. والزوج يجب أن يعرف قدر هذه النعمة الإلهية الكبرى ولا يفرط بها من خلال أساليبه المتشدّدة وكثرة توقعاته ومتطلباته وعدم تقديره لجهود وتضحيات زوجته وكفره بالنعم. على الزوج أن يعرف قدر زوجته الوفية الموافقة والمطيعة له ويحترمها ويكرمها ويعاملها برفق ومودة ورحمة ويتغاضى عن أخطائها ويصفح عنها ويعيش معها بإخلاص ومحبة ووفاء وصدق. وعليه أيضاً أن يقوم بين الحين والآخر بتقديم بعض الهدايا الزوجية ـ إضافة إلى ما يقدمه لها من مال لشراء متطلبات البيت ـ وذلك تقديراً لتعبها وخدماتها وإخلاصها له ولكي تظلّ حياته الزوجية مفعمة بالسعادة والهناء. لنقرأ معاً الرسالة التالية:

الرسالة: . . . في الأيام الأولى لزواجنا، عندما كنت أطلب من زوجتي أن تخيط لي زر قميصي مثلاً كانت والدتي تقول لي: لا يحق لك يا بني أن تصدر الأوامر لزوجتك. انتظر حتى تصبحا رفيقين وبعد ذلك تحل جميع الأمور في إطار من التفاهم والمحبة. وبعد ذلك أخذت والدتي القميص من يدي وخاطت الزر بنفسها. . . كلام والدتي هذا ظل يدوي في أذني طوال حياتي وحتى الآن حيث يمر على زواجنا خمسة وعشرون عاماً ولدينا بنات وبنون متزوجون نعيش معاً حياة سعيدة بكل صفاء ووئام والحمد لله.

(١) تحف العقول عن آل الرسول، طبعة الأعلمي بيروت.

لا أقول لم تحدث بيننا أية مشاكل على الاطلاق. لقد كانت خلال هذه الفترة تبرز بيننا بعض الخلافات البسيطة وعلى نطاق محدود جداً حيث كانت تزول تلك الخلافات بسرعة ويعود الوئام والتفاهم فيما بيننا وذلك بعد أن كان أحدنا يظهر نوعاً من المرونة ويغض النظر عن بعض الأمور... وأعتقد بأن السبب في هذه المحبة وهذا التفاهم والوئام الموجود فيما بيننا هو أن زوجتي امرأة عاقلة واعية تتمتع بقدر كبير من الحياء. والسبب الآخر هو وصايا ونصائح والدتي التي كانت تقول لي: لا يحق لك يا ولدي أن تصدر أوامرك إلى زوجتك...

ولكن إذا كان الزوج لا سمح الله رجلاً معتداً بنفسه ومستبداً برأيه ويعتبر زوجته وشريكة حياته مجرد جارية وخادمة له لا تستحق أي أجر أو مرتّب وبالتالي يعاملها بشدة وقسوة بدل أن يعاملها بمودة ورحمة وبدل أن يصفح عنها ويتغاضى عن أخطائها وعيوبها ويتصرف معها بإخلاص وصدق ومحبة فيؤذيها ويتشدد تجاهها ويتجاهل قدرها ولا يشكر جهودها وتعبها، فإن الله تبارك وتعالى يسلب النعم من الذين يكفرون بها ويلقي عليهم الهمّ والغمّ ويجعلهم يتحسرون على تلك النعم التي كانت بأيديهم هذا بالطبع إلى جانب العذاب الأشد والأدهى الذي ينتظر هؤلاء الكافرين بنعم الله يوم القيامة. لنقرأ الرسالة التالية:

الرسالة: **... كانت والدتي تقول لي دائماً: هذا ليس أسلوباً صحيحاً في التعامل مع الزوجة، فالزوجة ليست جارية ولا خادمة إنها شريكة حياتك وبدل أن تنتقدها وتتوقع منها كل هذه الأشياء حاول أن تكسب ودّها وحبها...**
وكنت أقول لها: لقد قالوا منذ القدم بأن الزوجة يجب أن تؤدب وتوقف عند حدّها منذ اليوم الأول للزواج لكي يعيش الزوج مرتاحاً مدى حياته.
وعلى هذا الأساس لم أكن أسمح لزوجتي بالذهاب حتى إلى منزل والديها وأقربائها. كما لم أكن أسمح لها بدعوة أي أحد إلى البيت وكنت أعتقد بأن الزوجة إذا قالت مثلاً الوقت الآن نهاراً فيجب أن يقول لها الزوج كلا إن الوقت الآن مساءً وإذا قالت الزوجة مثلاً اللبن أبيض اللون فيجب أن يقول لها كلا إن اللبن لونه أسود. وسمعت أيضاً بأن على الزوج أن لا

يصغي إلى كلام زوجته ولا يستشيرها. . .

ورغم أني كنت أحب زوجتي إلاّ أنني لم أُظهر لها مشاعر حبي لأني كنت أعتقد بأني إذا أظهرت لها مثل هذه المشاعر وشعرت بحبي لها فستصبح كثيرة التوقعات والطلبات، ولذلك فإن تصرفاتي تجاهها كانت عادية وبعض الأوقات كنت أتجاهلها وأُشعرها بأني لست بحاجة إليها. . .
زوجتي كانت امرأة طيبة وصبورة ومتفهمة تبدي قدراً كبيراً من الصبر والمرونة والتحمّل حيال تصرفاتي. . . وأحياناً كانت تتحدث معي وتنصحني وتعتب عليّ لتصرفي معها بهذا الشكل ولكن ذلك كله لم يترك أي أثر على نفسيتي ولم يجعلني أُغيّر سلوكي وتعاملي معها. . . وشيئاً فشيئاً ازددت تجاهلاً لها وعدم اكتراث بها وكنت منهمكاً في عملي أعود إلى البيت متأخراً وأغادره مبكراً وعندما كنت أعود إلى البيت لم أكن أتكلم مع أحد ولا أمزح ولا أضحك. . .
ولكن واحسرتاه. . . ويا ندمي على ما فعلت. . . فأنا الآن أعيش وحيداً مع كثير من الحسرات والآهات وجبل من الهموم والآلام وطفلي الوحيد يعذبني. . . أتمنى كثيراً أن تثق بتعهدي وتصدقني بأني أريد أن أحترمها وأقدّر مكانتها وجهودها وأريد بالتالي أن أعود إليها وإلى بيتنا لنعيش معاً حياة سعيدة هانئة يسودها الحب والتفاهم والاحترام المتبادل. وأشكركم كثيراً لو أنكم. . .

كيف يمكنها أن تثق بأقوالك أنت الذي استهنت بها وتجاهلتها وتجاهلت حديثها ولم تعر لها أية أهمية! كيف يمكنها أن تنسى تجربة الماضي المرّة؟ كيف يمكنها أن تتصور بأنك صادق في كلامك؟ كيف تقتنع بأنك أصبحت تميل إلى المحبة والودّ والإخلاص وهي التي رأت منك الكثير من عدم المحبة وعدم الإخلاص وعدم الوفاء ولم يؤثر فيك ذلك اللوم وذلك الرجاء الذي كانت ترجوه منك وتلك النصائح التي كانت تقدمها لك!.

أيها الأخ العزيز! إن الحياة الزوجية يجب أن تقوم على أساس التفاهم والاتفاق بين الزوجين وليس على أساس اللجاجة والعناد والمخالفة. فالإمام

الصادق عليه السلام يقول: [لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها].

وإذا كنت أيها الأخ الكريم تتمنى أن تثق زوجتك بكلامك وترغب بأن تعود إلى بيتك فيجب عليك أن تزيل من ذهنها رواسب الماضي وتجعلها تصدقك، كيف؟ من خلال تقديمك إليها هدايا جيدة ومفيدة وثمينة، أو عن طريق إرسالك إليها رسائل تتضمن عبارات المحبة، لتثبت لها بشكل عملي بأنك قد تخليت عن تصرفاتك الخاطئة السابقة وأنك لم تعد ترى النهار مظلماً والبياض سواداً، وأنك لا تريد أن تضحي براحة وسعادة زوجتك من أجل راحتك وسعادتك الوهمية، بل إنك تريد أن تعيشا معاً ويكرّس أحدكما نفسه للآخر. وبالطبع يجب أن تمر فترة طويلة لكي تنسى زوجتك أحداث الماضي وتتوفر لديها الثقة بوعودك وأقوالك. ولكن نظراً لأنك وصفت زوجتك بأنها امرأة طيبة وموافقة لك وصبورة تتمتع باللين والهدوء فمن المؤكد أنها عندما تعود إليك وتشاهد توبتك الحقيقية وندمك على تصرفاتك السابقة فإنها ستعود أيضاً إلى الحياة لتربّي طفلها في ظل رعاية والده. إني أرجو منك ومن الأخت الكريمة زوجتك أن تطلعاني على ما تتخذانه من خطوات وقرارات.

اطلبا العون من الله ليهديكما إلى طريق الخير والصلاح فالله غفور رحيم.

الفصل (٦١)

لماذا الهمس في الكلام؟

هذا التهامس يؤذي الطرف الآخر

يصادف أحياناً أننا نلوم أحد الأشخاص ونشكو من تصرفاته ونتألم ونغتاظ من سلوكه وأخلاقه ولكننا لا نلاحظ بأننا نحن الذين أضرمنا هذه النار، نار سوء الخلق وسوء التصرف ونحن الذين نواصل تأجيج ألسنة لهبها، وبالنتيجة فإن ألسنة اللهب المستعرة هذه ستحرق أيدينا وقلوبنا وستزحف علينا وتؤذينا. وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة واقعية صائبة للاحظنا بأن الكثير من الآلام والمصاعب التي نواجهها ومعظم المشاكل والبلايا التي تحرق بيوتنا وقلوبنا وتحولها إلى رماد كلها ناجمة عن تلك النار التي أضرمناها بأيدينا وهيأنا وقودها وقمنا بصبّ الزيت عليها وإذكائها. لنقرأ الرسالة التالية:

الرسالة: . . . **إني وخلافاً لبعض أمّهات الأزواج كنت ولا أزال على علاقة طيبة مع كنتي ولكن الويل لي إذا شاهدني زوجي أتحدث بهمس مع ابني أو مع كنتي وهو يحدث في أي مكان، فإنه يتدخل فوراً ويتهكم عليّ ويوجّه لي مختلف أنواع الكلام البذيء أمام كنتي وابني وأولادي ويقول لي أنت. . . إنك تتواطئين مع ابنك وكنتك لكي تتخلوا عني وتدمروا حياتي. منذ فترة وزوجي يحقرني كثيراً ويطردني من البيت عدة مرات خلال الأسبوع ويقول لي: اذهبي إلى الجحيم. . . جميع الجيران يسمعون سبابه وكلامه البذيء بحيث إني أخجل أن ألتقي بهم. إن هذا البيت أصبح كجهنم بالنسبة لي. في السابق كانت أخلاقه أفضل مما هي عليه الآن ولم تكن تصرفاته سيئة**

إلى هذا الحدّ فقد تغيرت أخلاقه تماماً. يقول لي باستمرار تعالي لكي أطلقك فأقول له: يا رجل ألا تخجل من هذا الكلام.
فيجيبني قائلاً: إذن أُخرجي من بيتي، فأقول له: إلى أين أذهب، من سيهتم بأولادي ويرعاهم؟...

برأيك أيها القارىء الكريم من هو المذنب في هذه القضية؟ (إذا كان الأمر كما ذكرت هذه الأخت الكريمة) فقبل أن أُبدي رأيي في الموضوع أُشير إلى حديث لرسول الله ﷺ يقول ما مضمونه: [إذا كنتم ثلاثة فلا يتهامس الاثنان ويترك الثالث لوحده لأن هذا يؤذيه ويحزنه].

فعلاً إن زوجته وابنها وكنتها وبقية أولادها... قد اتفقوا فيما بينهم ليتركوه وحده ويبدو أن هذا الإحساس نشأ لديه من ذلك الهمس وتبادل الضحك فيما بينهم وعدم مشاركته في حديثهم وضحكهم الأمر الذي سبب له التألم وعدم الارتياح والحزن حيث انعكس ذلك سلباً على أخلاقه وتصرفاته. أنت تعلمين بأن الإنسان يحتاج إلى الأُنس مع زوجته ومع الآخرين والتحدث معهم كما يحتاج إلى محبتهم وتقبّلهم له. وإذا لاحظ فرد ما بأن الأشخاص الذين يجلسون معه حول مائدة واحدة لا يعيرونه الاهتمام ولا يدعونه لتناول الطعام معهم، حيث يأكلون ويتحدثون ويتمازحون ويضحكون فيما بينهم ويؤذونه برائحة الطعام الشهي والهمس في الكلام وضحكهم بأصوات عالية. عندما يشاهد الزوج كل هذه التصرفات تثور ثائرته ويغضب ويسعى للانتقام ويخطط لفضحهم جميعاً وبالتالي فهو يقدم على طرد الرأس المدبر لهذه التصرفات ـ وهي زوجته ـ من البيت، كما طردته هي بالفعل وعزلته عن أفراد الأسرة ـ من خلال تصرفاتها غير الصحيحة وغير المدروسة ـ وأساءت إلى شخصيته وكرامته وأراقت ماء وجهه.

هناك نقطتان لا بد أن نشير إليهما في هذا المجال وهما:

* أيتها الأخت الكريمة، لعل من المفيد بل ومن الضروري لك وأنت تعطين وقتك الثمين لقراءة ما كتبته في هذه السطور، نقول لعل من المفيد والضروري أن نقدم لك الملاحظة التالية، وهي أنكِ أيضاً قد تكون صدرت عنك مثل هذه

التصرفات وجعلت زوجك يحزن ويتألم. لعلك تسألين متى وأين؟؟! أقول، في يوم الجمعة عندما جاءكم ضيوف فانشغلت باستقبالهم واستضافتهم والتحدث معهم ونسيت أن زوجك موجود في البيت حيث تركته وحده في الغرفة المجاورة وكأن زوجك لا وجود له أصلاً. فكنت تتحدثين وتتمازحين مع الضيوف بكل حرارة واشتياق وتلذذ ومتعة ونسيت أن تقدمي لزوجك مجرد فنجان من الشاي أو القهوة. إن مثل هذه التصرفات ـ قصداً أو عن غير قصد ـ تؤذي زوجك وتؤلمه وتجعله يشعر بالتحقير والإحباط، حيث إن مثل هذه التصرفات لا تليق بك.

* التحدث بالهاتف ـ ولا سيما الحديث المطول ـ يسبب لزوجك مثل هذا الشعور بالتحقير والإحباط والتألم والحزن، لأن زوجك أو هذا الشخص الآخر الموجود معك لا يسمع حديثك مع الطرف الآخر في الهاتف وبالتالي فإن تحدثك بالهاتف مع صديقاتك أو مع أي كان يزعج زوجك ويؤلمه ويغضبه. وهناك أمور أُخرى شبيهة بكلام الهمس بإمكانك أن تكتشفيها وتحاولي تجنبها، لكي لا تقعي كهذه الأخت الكريمة في جحيم قد تكون أوجدته هي لنفسها، ولكي لا تحرقي بأفكارك الخاطئة وتصوراتك غير الصائبة دنياك وآخرتك:

الرسالة: ... **فكرت مرات عديدة بالانتحار ولكني لم أفعل ذلك بسبب أطفالي، وبعدها طلبت من الله العفو والمغفرة... بالله عليكم، انصحوا زوجي قليلاً وأنقذوا حياتي وحياة أولادي من هذا الوضع المأساوي المضطرب الذي أعيشه.**

علينا جميعاً أن نطلب العفو والمغفرة من الله تبارك وتعالى. حسناً! إني وبالاستعانة بالله وبأحاديث الرسول الأكرم ﷺ أنصح زوجك. ولكن عليك أنت أولاً أن تغيري من تصرفاتك وتخففي من معاناته وحزنه عليك أن لا تتركيه وحده وتجنبي فرض العزلة عليه في البيت عليك أن تهتمي به لكي يعود إلى أخلاقه وطباعه السابقة. حاولي أن لا تتحدثي خفية وبهمس مع ابنك وكنتك لفترة من الوقت وحاولي أن لا تكون علاقتك بهم حميمة للغاية بحيث يشعر معها زوجك بالوحدة والتحقير... نواصل الكلام عن هذا الموضوع في فرصة أُخرى.

أتمنى لك التوفيق..

الفصل (٦٢)

التعاون هو روح وأساس الحياة

وصية للجميع:

«وصيتي للجميع هي أن يعتمدوا على الله تبارك وتعالى ويسيروا باتجاه معرفة الذات وتحقيق الاكتفاء الذاتي والاستقلال. إن الله سيكون معكم وسيكون عوناً لكم إذا كنتم في خدمته جلّ وعلا وخدمة عباده واستمريتم في طريق التعاون فيما بينكم من أجل رقيّ وتقدم بلدنا الإسلامي...».

بهذه العبارات القصيرة أوصانا الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه جميعاً وبشكل مؤكد بذكر الله وتربية النفس والسعي من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي والاستقلال وعدم التبعية والاتكال على الله وخدمة عباده والتحلّي بروح التعاون والسعي من أجل رقي البلاد وتقدمها. ومن الواضح أن وصية الإمام هذه هي للجميع وفي كافة مجالات الحياة وهذه الوصية هي مفتاح لحلّ جميع المشاكل ولفتح جميع الأبواب المغلقة ولا سيما تلك المشاكل والصعوبات على صعيد الحياة الزوجية والعائلية إن الاهتمام بهذه الوصايا والتوجيهات ولا سيما تلك التي تؤكد ضرورة التحلي بروح التعاون، يجعل كل المشاكل والصعوبات تهون وتسهل أمام الإنسان ويصبح كل مرّ في هذه الحياة حلواً. كما أن اتباع هذه الوصايا وتنفيذ تلك التوجيهات القيمة يجعل الحياة جميلة وهادئة ومحببة ومستساغة.

فعلى الزوج والزوجة أن يعيشا في ظل التعاون وليس في ظل التوتر والعنف. كما أن على الوالدين أن يتعاملا مع أولادهما في إطار من التعاون. إن كل عمل يقوم به الفرد في داخل الأسرة أو في المجتمع يجب أن يكون هدفه الأول خدمة

الآخرين ومصالحهم وبعد ذلك يأخذ بعين الاعتبار مصلحته الشخصية. على الجميع أن يسعوا ويبذلوا ما باستطاعتهم في سبيل عزة الآخرين وسعادتهم أي عليهم أن يتحملوا الصعوبات والمشاق لإراحة الآخرين وإسعادهم. عليهم أن يتجنبوا الاستبداد والاستفراد بالرأي وأن يعيشوا مع بعضهم البعض ومن أجل بعضهم البعض ويفكروا سوية ويخدموا ويساعدوا بعضهم البعض. عليهم أن لا يعيشوا كالحيوانات التي تعيش سوية أحياناً ولكنها لا تعيش من أجل بعضها البعض ولا تدرك معنى التعاون. إن على كل فرد أن يعتبر نفسه عضواً في جسد أكبر وجزءا من مجتمع أكبر ويسعى لرقي وتقدم ذلك الجسد أو المجتمع.

الرسالة التالية تبين لنا نموذجاً من روح التعاون السائدة بين أفراد الأسرة وفي داخل الحياة العائلية ونحن كلنا أمل بأن نعيش جميعاً - وفي ظل وصايا وتوجيهات إمامنا الفقيد والعزيز - في كل مكان كأسرة واحدة حياة مشرّفة وحرة في ظل روح التعاون هذه:

الرسالة: ... لعلكم تتذكرون بأني التقيت بكم في ليلة من ليالي الجمعة عند المرقد الطاهر للسيدة المعصومة وتحدثت معكم حول التعاون والتكاتف داخل الأسرة وبين الأقارب والمعارف وقلت لكم بأننا في مدينة قم نعقد جلسة مرة كل أسبوعين في منزل أحد الأقرباء حيث نجتمع ونتداول في شؤون بعضنا البعض ونبدأ جلساتنا تلك بتلاوة شيء من القرآن الكريم وبيان الأحكام الشرعية.

وبعد ذلك نتحدث عن القضايا العائلية. وقد أنشأنا صندوقاً للتعاون بين الأقارب حيث يساهم كل واحد منا بمبلغ من المال يودع في هذا الصندوق الذي يقدم قروضاً لأفراد الأسرة والأقرباء عندما يحتاجون إلى مبلغ من المال. كما أن هذا الصندوق يقدم قروضاً لمن يريد الزواج من الأقرباء. ففي هذه الحالة يجتمع أفراد العائلة والأقارب لمساعدة الزوجين الشابين والمساهمة في نفقات الزواج حتى لو كانت عائلة الشاب أو عائلة الفتاة في وضع مادي جيد. كما يقوم الصندوق المذكور بتقديم المساعدات بصورة سرية للأشخاص المتعففين المحتاجين من الأقرباء حيث نقوم ومن خلال صندوق المساعدات هذا بتسهيل أمور الآخرين

وحل الكثير من المشاكل والصعوبات التي يواجهها الأقرباء وذلك من خلال تبادل الرأي والتشاور فيما بيننا في تلك الجلسات والاجتماعات الدورية. إننا نؤمن بأن علينا مساعدة الآخرين والاهتمام بقضاياهم وحل مشاكلهم ولا سيما على صعيد الأسرة وفي نطاق الأقرباء والمعارف والأرحام ما داموا على قيد الحياة. لا أن نحضر فقط مآتمهم عندما يموتون ونواسيهم ونعزّيهم عندما تحل بهم المصائب والنوائب.

تلاحظ أيها القارىء الكريم كيف أن روح التعاون الذي أوصى به الإمام وأمر به الله تبارك وتعالى يمنح الحياة كل هذا النشاط والسعادة والصفاء؟ وكيف أنه يبعد عن الأقرباء والأرحام الخوف من الفقر والفاقة والعوز والمرض؟ وكيف أن هذا التعاون ينقذ الأقارب والأرحام من الوحدة والغربة والتشتّت؟ تلاحظ عزيزي القارىء كيف أن التعاون مع الآخرين ومساعدتهم ولا سيما مساعدة الأقارب والأرحام يمنح الحياة حيوية ونشاطاً خاصاً ويعطي الإنسان الأمل ويجعله يأنس بالحياة ويفتح أمامه آفاق السعادة؟ ألا تشعرون كيف أن روح التعاون والمساعدة تخفف من وطأة الحوادث والمشاكل الصعبة التي يواجهها الآخرون؟ حريّ بنا أن نستلهم من وصية الإمام وننمّي في أنفسنا وفي أنفس الآخرين روح التعاون والمساعدة والعون.

من هو أسعد الناس في هذه الحياة؟

قال عليّ بن شعيب: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: [يا علي من أحسن الناس معاشاً؟] قلت: أنت يا سيدي أعلم به منّي. فقال عليه السلام: [يا عليّ من حَسُن معاش غيره في معاشه].

[يا عليّ من أسوأ الناس معاشاً؟] قلت: أنت أعلم. فقال عليه السلام: [من لم يعش غيره في معاشه، يا علي أحسنوا جوار النعم فإنها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم.

يا عليّ إنَّ شرَّ الناس من منع رفده وأكل وحده وجَلَد

عبده][1]. إذن إذا أردنا أن ننعم بحياة سعيدة هانئة وأن نكون من أحسن الناس معاشاً. فعلينا أن نقوّي وننمّي روح التعاون ومساعدة الآخرين في أنفسنا ونبادر إلى تقديم العون والمساعدة للآخرين وأن نجعلهم يستفيدون وينعمون بعملنا وحياتنا (أي أن نجعل حياتنا ووجودنا وعملنا نافعاً ومفيداً للآخرين) وأن نساهم جميعاً من خلال نشاطنا وعملنا الدؤوب وتعاوننا المشترك في تنمية الثروة الوطنية ونجد ونسعى لاستغلال الأراضي الزراعية في كل أرجاء البلاد وإحيائها وزراعتها، كذلك علينا أن نسعى ونعمل لإدخال الفرح والسرور على الأُسر المختلفة بحيث لا يبقى هناك من بيت يعيش أهله وأصحابه في حزن وغمّ ولا يبقى هناك من يعاني من البطالة والفقر.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، طبعة الأعلمي ـ بيروت، ص ٣٢٩.

الفصل (٦٣)

الهدايا التي يأتي بها المسافر، لماذا؟ وكيف؟

يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿**إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى...**﴾[١].

والسؤال هو على أي أساس يجب أن نقيم دعائم الحياة العائلية ودعائم العلاقات مع الأقرباء والأرحام؟ نقيمها على أساس العدل؟ أم الإحسان؟

والجواب هو أن الالتزام بالعدالة في تعاملنا مع الآخرين هو أمر محبب ومستحسن جداً ولكن على صعيد الحياة العائلية الأسرية فإننا يجب أن نتعامل مع أفراد الأسرة بشكل أجمل وأروع، تعامل ينبعث منه نسيم التراحم والعطف والمحبة، تلك المحبة التي تظهر جلياً وذلك النسيم الذي يجلب النشاط والسعادة والفرح. العدالة هي بمثابة تعامل متكافىء حيث نقدم شيئاً لنأخذ شيئاً آخر. نؤدي عملاً ما لنأخذ في مقابله الأجر المناسب.

أما الإحسان فهو ليس تعاملاً متكافئاً، لأنه يكون دون مقابل. أي خدمة الآخرين دون أن نتوقع منهم أي شكر أو أجر. الإحسان يزيد من التآلف والمحبة والتقارب بين الناس ويعزز ويقوي أواصر المحبة فيما بينهم. ولذلك فإن شجرة المحبة والصداقة يجب أن تزرعها يد الإحسان التي عليها أيضاً أن تروي هذه الشجرة وترعاها وتحافظ عليها لتبقى خضراء يانعة نضرة كثيرة الأوراق متشعبة

---

(١) سورة النحل، آية ٩٠.

الغصون وتعطي فاكهة لذيذة حلوة المذاق. إذن فإن أفراد العائلة الواحدة يجب أن يكونوا محسنين تجاه بعضهم البعض ويسعوا بكل ما في استطاعتهم للإحسان إلى بعضهم البعض وإظهار محبتهم الصادقة ومودتهم العميقة تجاه بعضهم البعض قولاً وعملاً لتصبح قلوبهم بساتين يانعة خضراء. إن تقديم الهدايا للآخرين هو خير نموذج لصفة الإحسان والكرم شرط أن لا يؤدي ذلك إلى الإحراج والتكلّف والتنافس الباطل. فالرسول ﷺ يقول: [تهادوا تحابّوا، تهادوا فإنها تُذهبُ بالضغائن][1]. لاحظ أيها القارىء الكريم التساؤل الذي ورد في الرسالة التالية:

الرسالة: . . . السلام عليكم وبعد، سؤالي هو: هل الهدايا التي يأتي بها المسافر إلى أهله وذويه وأقربائه أمر حسن أم لا؟ لماذا يحصل نقاش بيني وبين زوجتي حول موضوع الهدايا التي أقدمها لأهلي ولأهلها؟

إني أعمل في مدينة «شيراز» وأتوجه مرة أو مرتين في العام إلى مدينة «بوشهر» لزيارة والدي ووالدتي وأيضاً والد ووالدة زوجتي وسائر الأقارب والأرحام في هذه المدينة. إني أرى بأننا علينا أن نشتري بعض الهدايا لذوينا وأهلنا في كل مرة نأتي فيها إلى بوشهر ولكن زوجتي تصرّ على شراء هدايا غالية الثمن وتقول: إما أن نشتري هدايا غالية الثمن أو لا نشتري أية هدايا، لأن شراء هدايا بسيطة أمر لا يليق بنا، وهي تقول لي: بإمكانك أن تشتري ما تريد من هدايا إلى والدك ووالدتك وأهلك ولكني لا أريد أن أشعر بالخجل أمام أهلي وإخوتي وأخواتي . . .

فهل هذا الكلام صحيح برأيكم؟ هل الهدايا التي يقدمها الشخص إلى الآخرين يجب أن تكون غالية الثمن؟ . . .

وشكراً لكم على إجابتكم

بعد التحية والسلام نود أن نشير فيما يلي إلى الملاحظات التالية:

١ ـ إن توزيع الهدايا من قبل المسافر عمل جيد جداً ويدخل في إطار

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص ٤٤. ميزان الحكمة ج١٠ ص ٢٢٦ حديث ٢٠٨٧٢.

الإحسان والمعروف الذي أمر به الله. كما أن تقديم الهدايا من قبل المسافر هو بمثابة إظهار للمحبة حيث لسان حال الشخص المسافر يقول: رغم أني كنت مسافراً وبعيداً عنكم ولكني لم أنسكم وقد اشتريت لكم من هناك هذه الهدية لتكون دليلاً على ذلك. الرسول الأكرم ﷺ أكّد هذه السنة الحسنة حيث قال ما مضمونه: [عندما تعودون من السفر احملوا معكم إلى أهلكم هدية مهما كانت حتى لو كانت قطعة من الحجر][1].

وقال ﷺ: [لو أُهدي إليّ كراع لقبلته][2].

٢ ـ ولكن الملاحظة المهمة في هذا المجال هي عدم التكلّف في شراء الهدايا وتقديمها واستضافة الضيوف وأمور كهذه وقد نهانا الرسول ﷺ عن التكلّف. والتكلف يعني أن يحمّل الشخص نفسه بما لا يطيق جسمياً ومادياً من أجل شراء الهدايا للآخرين ويلقي بنفسه في المتاعب والمشاق ويجعل نفسه ينوء تحت أعباء القروض لهذا الغرض. فالرسول الأكرم ﷺ يقول: [من تكرمة الرجل لأخيه المسلم أن يقبل تحفته ويتحفه بما عنده ولا يتكلّف له شيئاً][3].

٣ ـ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: [لا تخجل من تقديم الهدية وإن كانت بسيطة لأنه أفضل من عدم تقديم شيء][4].

أي أن تقديم هدية بسيطة أفضل من عدم تقديم أية هدية أصلاً وإذا كان تقديم هدية بسيطة أمر يبعث على الخجل والاستحياء فإن زيارة الأهل والأقارب والأصدقاء بيد خالية أكثر بعثاً على الخجل والاستحياء. إذن أقنع زوجتك بشراء هدية مهما كانت بسيطة في ظاهرها وذلك في حدود إمكانياتك المادية ومع الأخذ بعين الاعتبار النفقات الضرورية الأساسية للأسرة وتقديم تلك الهدية بكل شوق ومحبة إلى من تريدان تقديمها له (لأن مشاعر المحبة والتقدير لمن تريدان تقديم

---

(١) سفينة البحار ص ٦٢٨.
(٢) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٣٤١.
(٣) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٣٤٢ باب الهدية حديث ٢٠٩٠٢.
(٤) نهج البلاغة.

الهدية له أهم بكثير وأكثر قيمة من الهدية نفسها). وإذا ما قمتما بعمل الخير والإحسان هذا فإنكما تكونان قد دخلتما في عداد المحسنين وحظيتما بمحبة الله لأن الله يحب المحسنين واعلما بأن الإحسان مهما كان وبأي شكل كان هو مصدر فخر واعتزاز للشخص المحسن. نتمنى أن يستمر عمل الخير والإحسان في حياتكما.

وفقكما الله.

الفصل (٦٤)

تبادل الزيارات واستقبال الضيوف أمر جيد ومحبب شرط أن يتم ذلك بدون تكلّف ومشقة

سلام على شهر رمضان المبارك! أتدرون كيف يمكننا أن نستفيد الاستفادة القصوى والمثلى من البركات الكثيرة لهذا الشهر المبارك؟ يمكننا ذلك من خلال معرفة ما هو الصوم؟ ولماذا فرض الباري تبارك وتعالى الصيام؟... وما هي الحكم الإلهية الكبرى من هذه الفريضة الإلهية؟ الحكم الإلهية من فرض الصيام كثيرة منها أن الصائم يكون أكثر ذكرا لله وأكثر تقرباً إليه وأكثر ذكراً للآخرة وإدراكاً لمتضبات ذلك اليوم العظيم الذي يصفه الباري تبارك وتعالى في القرآن الكريم بالقول: **﴿يا أيّها النّاس اتّقوا ربكم إنَّ زلزلة الساعةِ شيءٌ عظيم * يومَ تَرونها تذهَلُ كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضعت وتضعُ كلُّ ذاتِ حمل حملها وترىٰ النّاس سكارى وما هُم بسكارىٰ...﴾**[1].

والصوم بهذا المفهوم يجعل الإنسان أكثر سعياً لتحصيل الزاد لذلك اليوم وذلك النبأ العظيم. فالرسول الأعظم ﷺ يقول: [تحمّل الجوع والعطش في أيام رمضان يذكر الصائم بجوع وعطش يوم القيامة][2].

كما أن الصيام يوحّد القلوب ويقرّب ما بين الأفراد من حيث المعيشة ومتع الحياة ولهذا السبب فإن إقامة ولائم الإفطار والذهاب إلى دعوات الإفطار هي من

(١) سورة الحج الآيتان ١ و٢.

(٢) وسائل الشيعة ج٧ حديث ١٣٠٤٧.

السنن التي أكّد عليها الرسول الأعظم ﷺ حيث قال: [من أفطر صائماً في شهر رمضان فإن له أجراً عظيماً عند الله كأجر من أعتق رقبة وغفر الله ما تقدم من ذنبه] فقيل يا رسول الله! لسنا جميعاً نقدر على ذلك، لا نقدر حتى على إفطار صائم واحد. فقال ﷺ: [الله أعظم الكرماء فالذي لا يقدر على ذلك فليسق الصائم بشربة لبن أو جرعة ماء أو ليقدم للصائم بضع تمرات فإن الله يعطيه ثواب من أطعم صائماً][1]. ولكن تنفيذ هذه السنة النبوية يجب أن يكون بعيداً عن أي تكلّف وعن أي إحراج أو مشقة أو عناء حيث يقول ﷺ: [تجنبوا التكلّف للضيف][2].

أي أن نقدّم للضيف ما نقدر عليه ونستطيعه.

الرسالة: ... **السلام عليكم، أرجو أن تكونوا في صحة وعافية، أستميحكم عذراً لأني آخذ من وقتكم الثمين... برأيكم هل من الصحيح أن الأم التي لها ستة أولاد تقوم بإعداد الولائم وتدعو الضيوف إلى الإفطار في منزلها طوال شهر رمضان وهي صائمة أيضاً؟ ألا يحق لي وأنا زوجها أن أقول لا إني لا أطيق مثل هذه الدعوات والولائم؟ بمجرد أن أعترض على ذلك تقول لي: أنت إنسان كسول! تريد أن تحرمني من ثواب إطعام الصائمين في هذا الشهر المبارك!.**

... إلى جانب ذلك كله فهي لا تكتفي بتقديم نوع واحدٍ من الطعام وتقول لي عليك أن تهيىء للصائمين الطعام الفلاني والأكلة الفلانية! هل صحيح أن زوجتي تحصل على الثواب من عملها هذا؟ هل يرضى الله بأن تجبرني على إعداد مثل هذه الولائم؟ وجدير بالذكر في هذا المجال أن زوجتي تدعو فقط أصدقاءها وأهلها وأقرباءها لتناول طعام الإفطار في بيتنا...

يجب أن نقول لهذه الأخت الكريمة التي تبحث عن الثواب، بأن عمل الخير الذي يقوم به الفرد من خلال ظلم الآخرين وإكراههم على بعض الأمور وبالتالي عمل الخير الذي تقوم به بطريقة غير شرعية وباطلة، مثل هذا العمل لا يثاب الفرد

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ حديث ١٣٤٩٨.

(٢) كنز العمال، ح ٢٥٨٧٦.

عليه بل يعاقب عليه. وأنت أيتها الأخت الكريمة لا يحق لك أن تجبري زوجك على إعداد وتحضير موائد الإفطار ودعوة الضيوف إلى البيت وبالتالي تجعليه يواجه الضغوط والمشقة والعناء (حيث لا يحق لك أن تحمّلي زوجك ما لا يطيق ولا يقدر عليه). هل سمعت بالشروط التي وضعها أمير المؤمنين عليه السلام لتلبية دعوة ضيافة وجهها إليه أحد أصحابه؟ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الشخص الذي وجه له الدعوة: قد أجبتك على أن تضمن لي ثلاث خصال، قال: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: لا تدخل علي شيئاً من خارج، ولا تدخر عليّ شيئاً في البيت، ولا تجحف بالعيال، قال ذلك لك، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام[1]

حذارِ أن نسبب المضايقات والعناء للأصدقاء والأقرباء وأن تكون زيارتنا لهم وحلولنا ضيوفاً عليهم مصدر تعب وإرهاق وملل لهم. إن زيارة الأقرباء والأرحام يجب أن لا تسبب لهم أي تكلّف وأن لا تحمّلهم ما لا يطيقون ولا يقدرون عليه وبالتالي فإن صلة الأرحام يجب أن لا تكون سبباً في انقطاع أواصر المحبة فيما بينهم.

والآن طالع عزيزي القارىء الرسالة التالية واسأل نفسك السؤال التالي: هل أسبّب لأقربائي وأرحامي وأصدقائي مثل هذه المشاكل والمضايقات؟

الرسالة: ... **سلام وتحية لكم، ولجميع العاملين في برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة» وأرجو من الله لكم مزيداً من التوفيق والنجاح... إني امرأة ربة بيت والمشكلة التي أعاني منها منذ سنوات أذكرها لكم فيما يلي لكي تساعدوني وترشدوني وترشدوا ربات البيوت اللواتي يعانين منها. مشكلتي ليست مادية ولا هي ناجمة عن تصرفات زوجي معي بل هي كثرة تردد الأقرباء والأرحام علينا وتدخلهم في شؤوني وشؤون بيتي وزوجي وأولادي..**

فإني أعيش في مدينة... وأقرباؤنا الذين يعيشون في البلدات القريبة من هذه المدينة يأتون إليها باستمرار إمّا للتسوق وشراء الحاجيات المعيشية وإما للعلاج ومراجعة الطبيب أو الأعمال الأُخرى وبالتالي فهم يأتون إلى

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص ٤٥١ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام.

بيتنا ويبقون عندنا ثلاثة أو أربعة أيام وأحياناً يبقون عندنا لمدة أسبوع كامل . . .

إني لا أُعارض تبادل الزيارات مع الأقرباء فقد أوصى النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام كثيراً بالضيف وضرورة احترامه والقيام بخدمته أعرف هذا وأعرف أيضاً أن الضيف حبيب الله ولكن أي ضيف؟ الضيف الذي يأتي لتفقد أحوالنا ولا يسبب لمضيفه صاحب الدار أي إزعاج وأذى يشهد الله أن بيتنا لا يخلو من الضيوف أبداً، أرجو منكم أن تتطرقوا إلى موضوع الضيوف والضيافة وفقكم الله ورعاكم.

أختكم ك. ع

سلام وتحية لك أيتها الأخت العزيزة. نحن نأمل أن يقرأ أقرباؤك الذين يسببون لك المشاكل والمضايقات من خلال تصرفاتهم غير الصحيحة واللامسؤولة هذه والتي هي تصرفات قبيحة تنم عن الجهل وعدم الوعي، نأمل أن يقرأوا هذه السطور ويعودوا إلى رشدهم ووعيهم ببركة شهر رمضان المبارك ويكفوا بشكل خاص عن توجيه الأذى والإزعاج لأقربائهم وعندما يذهبون لزيارة أقربائهم عليهم أن لا يطيلوا البقاء والمكوث عندهم، فالنبي ﷺ يقول: [ملعون من ألقى كلّهُ على الناس][(١)].

(١) تحف العقول، طبعة الأعلمي ـ بيروت ص ٢٦.

الفصل (٦٥)

هل علاقاتكم طيبة مع الجيران؟ هل هناك تعاون وتفاهم بينكم وبين جيرانكم؟

إن حقوق الجار هي من الحقوق العظيمة التي يجب علينا جميعاً أن نلتزم بها ونراعيها في كل الأحوال. وقد أكّدت الأحاديث النبوية الشريفة والأحاديث المنقولة عن الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، على حقوق الجار إلى أبعد الحدود. فالرسول ﷺ قال: [ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه][(١)].

علينا أن نسأل أنفسنا: كيف نستطيع أن نقوي «روح التعاون» في جميع المجالات مع الآخرين ولا سيما مع الأقرباء والجيران؟ حقاً أيها القارىء الكريم. كيف هي علاقاتك مع جيرانك؟ هل هناك تعاون بينك وبينهم؟ وهل علاقاتك معهم طيبة؟ إن للجار حق عظيم على جاره. فأنت أيها القارىء الكريم عندما تعيش في بيتك بأمن وسلام وأنت مطمئن البال والخاطر فذلك بفضل جيرانك الطيبين وبفضل تعاونهم المباشر وغير المباشر معك. وإذا أردت أن تعيش في بيتك ومع أهلك بصورة أفضل ومزيد من راحة البال فعليك أن تعزز علاقاتك مع الجيران أكثر فأكثر وتتعلم طريقة وأسلوب التعامل معهم ومداراتهم ومسايرتهم وتتجنب إيذاءهم ومضايقتهم فالرسول ﷺ يقول: [من كان مؤذياً لجاره من غير حقٍّ حرمه الله ريح الجنة ومأواهُ النار، ألا وإنّ الله عز وجل يسأل الرجل عن حق جاره ومن ضيّع

(١) سفينة البحار مادة جار.

حقَّ جاره فليس منّا][1].

علينا أن نتجنب إيذاء الجيران وإزعاجهم بل علينا أن نتحمل أذاهم ومضايقاتهم التي يسببونها لنا ولا نغضب ونثور عليهم كما يجب علينا أن نمد لهم يد العون والمساعدة ونقدم لهم بين الحين والآخر ما تيسّر من الهدايا والعطاءات المختلفة[2].

فقد سأل أحدهم رسول الله ﷺ: «هل في أموالنا حقوق غير الحقوق التي أوجبها الله (الخمس والزكاة) فقال رسول الله ﷺ: «نعم، مساعدة الأقرباء وتفقد الجار المسلم. اعلموا أن من نام شبعاناً وجاره المسلم جائع ليس بمسلم»[3].

لا بأس عزيزي القارىء أن تطلع على الرسالة التالية لتعرف الجار الخيّر الحقيقي والصفات والسجايا الجميلة الطيبة التي يتمتع بها وبالتالي تقارنوا أنفسكم به:

الرسالة: . . . سلام وتحية خالصة لأرواح شهداء المسلمين من صدر الإسلام وإلى قيام يوم الدين. لقد تطرقتم إلى موضوع التعاون ومساعدة الآخرين وهنا أريد أن أشير إلى نموذج لهذا التعاون لكي أعرب أولاً عن شكري لجارنا الطيب ولكي تكون تلك الصفات الخلقية السامية التي يتمتع بها جارنا قدوة ومثالاً للآخرين، مثالاً للتعاون مع الجيران ومساعدتهم وتلبية متطلباتهم واحتياجاتهم، ليعلم الجميع، كيف عليهم أن يعززوا روح التعاون فيما بينهم ويطبقوا بذلك ما أوصى به الرسول الأعظم ﷺ

---

(١) سفينة البحار مادة جار.

(٢) لقد كانت هناك في السابق ولا سيما في المدن الصغيرة والقرى عادات وتقاليد جيدة فعندما كانت إحدى الأسر تطبخ طعاماً لذيذاً أو تطبخ نوعاً من الحلوى في مناسبة فرح أو نذر معين فإنها كانت تقوم بتوزيع قسم من ذلك الطعام أو الحلوى على بيوت الجيران وهذه من العادات الجيدة التي يجب أن تستمر وتتواصل بين الجيران في كل المدن الصغيرة والكبيرة لأنها تؤدي إلى تعزيز أواصر المحبة والصداقة والتآلف بين الأسر والجيران كما أن علينا أن نشارك جيراننا أفراحهم وأحزانهم. [المترجم]

(٣) سفينة البحار، مادة جار.

والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام. . .

السيد. . . وزوجته هما نموذج رائع للجار الحقيقي. فجارنا السيد. . . يملك سيارة وهو يضعها دائماً في خدمة جيرانه متى احتاجوا إليها. وعندما سكن جارنا هذا وزوجته في حيّنا قام بزيارة جميع الجيران في هذا الحي وتعرّف عليهم وسألهم عن أوضاعهم وأحوالهم وأعرب لهم عن سروره وسعادته لوجوده بينهم ولكونه جاراً لهم. وقد أوصى جميع الجيران وقال لهم: لا سمح الله إذا حدث لكم أي طارىء أو إذا احتجتم لأية مساعدة حتى لو كان الوقت متأخراً فإني في خدمتكم. . .

الحِلم والصفح ومساعدة الآخرين والتضحية من أجلهم والتعاطف معهم وتحمّل مشاكل الجيران والنشاط والسعادة الدائمة هي من السجايا والصفات الخلقية لجارنا هذا. فهو يقدم أقصى ما بوسعه من عون ومساعدة للجيران دون أن يتوقع منهم شيئاً في مقابل تلك الخدمات. فمنذ أن جاء إلى حيّنا أوجد جواً من الأنس والإلفة والمحبة والتعاون بين سكان هذا الحي. فالجميع هنا يشعرون بأنهم ليسوا وحدهم يواجهون مشاكلهم بمفردهم بل أصبحوا مطمئنين بأن سائر الجيران يساعدونهم عند المشاكل والملمات، الأمر الذي جعلهم لا يشعرون بوطأة الحياة وصعوبتها. . .

إن الدين الإسلامي جاء لتحسين حياة البشر وتعزيز روح التعاون والمساعدة بين الناس ولا سيما بين الجيران وجعل المحبة والتفاهم والصفاء تسود فيما بينهم. وعلى هذا الأساس فإن الإسلام أقرّ بعض الواجبات والوظائف التي يجب أن نلتزم بها ونطبقها تجاه جيراننا، ومن جملتها تلك التي أشار إليها الرسول ﷺ حيث قال في حقوق الجار: [إن استغاثك أغثه وإن استقرضك أقرضه وإن افتقرَ عدت إليه وإن أصابه خير هنأته وإن مرض عُدته وإن أصابته مصيبة عزّيتهُ وإن ماتَ تبعتَ جنازته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلاّ بإذنه وإذا اشتريت فاكهة فأهدها له وإن لم تفعل فأدخلها سرّاً ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده ولا تؤذه بريح قِدرِكَ إلاّ أن تغرف له منها][1].

---

(١) ميزان الحكمة الجزء الثاني، باب ٦٤٤ حق الجار ص ١٩٥ ح ٣٠٢٦.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: [أما حق جارك فحفظهُ غائباً وإكرامه شاهداً ونصرته إذا كان مظلوماً ولا تتبع له عورة فإن علمتَ عليهُ سوءً سترته عليه وإن علمتَ أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ولا تسلمه عند شديدة وتقيل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة][1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول لأصحابه يوماً: [ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع] فقلنا هلكنا يا رسول الله؟! فقال: [من فضل طعامكم ومن فضل تمركم وورقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الرب][2].

نسأله تعالى أن يوفقنا من خلال تطبيق تعاليمه السمحاء والعمل بتوجيهات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لجعل روح التعاون تسود العلاقات فيما بيننا لكي تصبح حياتنا وحياة كل الذين يعيشون معنا وتربطهم بنا روابط سعيدة مليئة بالنشاط والحيوية حيث إن حسن التعامل مع الجيران ومداراتهم يجعلان الحياة سعيدة هانئة وينزلان الرزق والبركة على الإنسان..

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢ باب ٦٤٤ حق الجار حديث ٣٠٢٥ ص ١٩٥.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢ باب ٦٤٢ ص ١٩٤ ح ٣٠٢٤.

الفصل (٦٦)

نستجير بالله من جار السوء

كيف هي علاقاتكم مع الجيران؟ وكيف يتعامل جارك معك؟ أعرف أحد الإخوة يقوم بنفسه بتفقد جيرانه وزيارتهم حيث يقول لهم: إني في خدمتكم في كل الأوقات في الليل والنهار. أنا وسيارتي في خدمتكم. اطرقوا باب بيتي بدون خجل ونادوني وأيقظوني من نومي فإني أسرع لمساعدتكم بكل رغبة وحماس. من المؤكد أن جيران هذا الشخص ينامون ليلهم وهم في مزيد من الاستقرار والراحة والثقة والاطمئنان لأنهم يعرفون بأنه إذا ما حدث لهم أي طارىء أو وقع لهم أي حادث فإن هناك شخصاً يمكن الوثوق به والاعتماد عليه يقف مع سيارته في خدمتهم رغم أنه قد يمر عام كامل ولا يحدث لهم أي طارىء أو حادث يجعلهم يطلبون المساعدة من هذا الجار الطيب. فهل تعرف عزيزي القارىء من بين جيرانك شخصاً كهذا تثق به وتعتمد عليه في الملمات ويكون مستعداً لمساعدتك في أية لحظة وفي كل الظروف والأحوال؟ وهل حاولت أنت أن تقيم مثل هذه العلاقة الطيبة والوثيقة مع جيرانك؟ العلاقة مع الجيران الذين نعيش نحن وأُسرنا بينهم وفي ظلهم. هذه العلاقة قد تكون بإحدى الصور التالية:

أ ـ علاقة لفظية كلامية: أي أن تكون علاقتنا مع الجيران مقتصرة على تبادل السلام والتحية وفي إطار العلاقات الروتينية دون أن يكون هناك تعاون على الصعيد العملي معهم.

ب ـ علاقة تعاون ومساعدة: الجيران بإمكانهم ويستطيعون ذلك بل ومن الواجب عليهم مساعدة بعضهم البعض في مختلف أعمالهم وتقديم العون لهم لحل

مشاكلهم وإقامة علاقات جوار تقوم على أساس التعاون والتكاتف. كما أن عليهم أن يجدّوا ويجهدوا لمساعدة وخدمة بعضهم البعض حيث إن إقامة مثل هذه العلاقات هو واجب إلهي يقع على عاتق كل إنسان مدرك وواع. الإمام أمير المؤمنين قال في وصية أوصى بها أبناءه ـ وهي وصيته لنا جميعاً في كل زمان ومكان ـ [الله الله في جيرانكم فإنّه وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم][1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: [عليكم بحسن الجوار فإن الله عز وجل أمر بذلك][2].

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: [حسن الجوار يزيد في الرزق ويعمر الديار ويزيد في الأعمار][3].

وبالطبع فإن علاقات التعاون والمساعدة مع الجيران هي من أفضل العلاقات التي يمكن أن يقيمها جار مع جاره ولا سيما عندما يكون الجار يعاني من الفقر والحاجة أو المرض.

ج ـ العلاقة التي تقوم على أساس إيذاء الجار ومضايقته: ويحدث أحياناً أن تؤدي علاقة الجار بجيرانه الآخرين إلى التسبب في إيذائهم ومضايقتهم وخلق المشاكل والصعوبات لهم، فبدل أن يكون الجار عوناً لجيرانه الذين يعيشون حوله ويرفع عن كاهلهم الأعباء والمشاكل ويخفف من آلامهم ومعاناتهم نراه يتهكّم عليهم ويصرخ في وجوههم ويسلبهم الراحة والاستقرار أو يؤذي أطفال جيرانه الفقراء بروائح الأطعمة الشهية المتنوعة التي يطبخها في بيته حيث يجعلهم يتحسرون ويتلهفون على هذا الطعام أو يتابع بنظراته الحريصة والحاسدة تحركات جيرانه ويبحث عن عيوبهم وأخطائهم وهفواتهم ويسبب لهم الأذى والإزعاج والعناء والتعب لكثرة طلباته وتوقعاته منهم وهي توقعات ليست في محلها ولا هي مناسبة في توقيتها... وبطبيعة الحال فإن هذا التعامل هو من أقبح أنواع التعامل

(١) بحار الأنوار ج٧٤ ص ١٥٣، شرح نهج البلاغة ج١٧ ص ٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

مع الجيران. فالرسول الأكرم ﷺ يقول: [لا إيمان لِمَن لم يأمن جاره بوائقه][1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: [ليس منّا مَن لم يأمن جاره بوائقه][2].

لعلكم تتساءلون في أنفسكم هل من الممكن أن يؤذي إنسان ولا سيما إذا كان إنساناً مسلماً ـ جاره؟ الجواب على هذا التساؤل تجده عزيزي القارىء في الرسالة التالية:

الرسالة: ... السلام عليكم... لقد أجريتم في إحدى حلقات برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة» مقابلة مع أسرة شريفة ونبيلة ذات أخلاق سامية. أسرة طيبة يتحلّى أفرادها بالكثير من التضحية والإيثار. على العكس تماماً من أخلاق الشخص الذي أريد أن أحدثكم عنه في رسالتي هذه. أتذكّر أنكم قلتم في إحدى حلقات برنامجكم المذكور «لا تمدوا يد الحاجة إلى الآخرين ولا تكونوا عالة وعبئاً عليهم ولا تطلبوا منهم شيئاً إلاّ عند الضرورة القصوى». وأتذكر أنكم قلتم «لا تضحوا بعزتكم وكرامتكم» وضربتم مثالاً على ذلك الشخص الذي يطلب من جاره كمية الأرز أو السمن أو ما شابه ذلك. لقد سررت كثيراً لأنكم تطرقتم إلى هذا الموضوع وقلت في نفسي: «الحمد لله لقد حلّت مشكلتي ولا بد أن صاحب البيت الذي أستأجره منه سوف يقلل غداً من طلباته مني ولا يأتي إلينا ويطرق بابنا بين دقيقة وأُخرى يطلب منا شيئاً ما». ولكن خلافاً لما كنت أتوقعه وأنتظره سمعت صاحب بيتنا في مساء اليوم التالي يناديني بصوت مرتفع ويطلب مني أن أعطيه بعض الأشياء... عندها شعرت وكأن أحداً يضربني بالمطرقة على رأسي. يشهد الله لو كنتم مكاني لتعبتم ومللتم من هذا الوضع الذي أعيشه حيث يطرق بابنا في كل لحظة أو أسمع صوت جارنا وهو ينادي عليّ من شرفة الطابق العلوي في جميع الأوقات سواء في الليل أو في النهار أو وقت النوم والاستراحة حتى في

---

(١) ميزان الحكمة ج٢ باب إيذاء الجار ص ١٩٣.

(٢) ميزان الحكمة ج٢ ص ١٩٣.

منتصف الليل وعندما تتساقط الثلوج وفي الشتاء القارس، ليطلب منّا بعض الأشياء، إن جارنا يطرق علينا الباب أحياناً وأنا أرضع طفلي أو عندما يكون طفلي قد نام بعد طول عناء ومشقة أو عندما أكون منهمكة في غسل الملابس بل وحتى عندما أُطفىء المصابيح استعداداً للنوم وأحياناً أكون نائمة وإذا بجارتي تناديني فتوقظ طفلي من النوم لتأمرني أن أعطيها كذا وكذا وكأنها الآمر الناهي... طبعاً المضايقات التي يسببها لنا هذا الجار عديم الإحساس والشعور بل وعديم الفهم وكثير المطالب هي أكثر بكثير مما ذكرته ولا تستوعبها رسالتي هذه.

بالله عليكم أُعذروني لأني أطلت عليكم الكلام. ولكن لشدة تعبي ومللي فإني اضطررت أن ألجأ إليكم لكي تنصحوا قليلاً مثل هؤلاء الجيران وهؤلاء الأفراد، رغم أني واثقة من أنكم إذا ذهبتم مباشرة إلى بيت جارنا المذكور وقرعتم جرس بيته وطلبتم منه أن يكف عن مضايقة جاره وإزعاجه بكثرة الطلبات منه فإنه سينكر ذلك حيث يواصل بعدها تصرفاته القبيحة السابقة.

أيتها الأخت الكريمة! لا بأس أن تعرفي قبل كل شيء بأن كل جار عليه أن يتحمل إلى حدٍ ما أذى وإزعاج جيرانه الآخرين. ولكن إذا أردت أن تقللي من أذاه ومضايقاته لك وتحدّي من طلباته وتوقعاته منك فعليك اتباع الأساليب التالية:

١ ـ حاولي في أقرب فرصة مناسبة أن تتحدثي مع جارتك وتطرحي معها الموضوع بكل محبة وهدوء وقولي لها: «إني مستعدة لمساعدتك ولكن أنت أيضاً عليك أن تراعي ظروفي ولا تطلبي منّي إلاّ في حدود قدراتي وإمكانياتي...

٢ ـ إذا تكلمت معها بهذه الطريقة عدة مرات ولم يؤثر معها حاولي تكليمها بلهجة أكثر حزماً وجدية ولا تلبّي طلباتها بسرعة استخدمي أسلوب التسويف والمماطلة وإذا ما طرقت باب بيتك لتطلب منك شيئاً تأخري في فتح الباب لها.

٣ ـ عندما تزورك بصورة مفاجئة وغير متوقعة حافظي على هدوئك ولا تجيبي طلبها أو قولي لها: «سأعطيك ما طلبتِه يوم غد في الساعة الثامنة صباحاً». واطلبي منها شيئاً ما لعلها تنتبه إلى خطئها وقبح عملها.

٤ ـ وإذا لم ينفع معها كل هذا الصبر والحلم والصفح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر عليك أن تختاري الحل الأخير وهو أن تغادري هذا البيت وتنتقلي إلى مكان آخر واتركيها تعيش لوحدها مع شياطينها الذين يوسوسون لها ويجرونها نحو طريق الضلال. نعوذ بالله جميعاً من شرّ جار السوء.

فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: [جارح السوء أعظم الضرّاء وأشدُّ البلاء][1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: [من كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره][2].

وقال صلى الله عليه وآله: [أعوذ بالله من جار سوءٍ في دار إقامة، تراك عيناه ويرعاك قلبه، إن رآك بخيرٍ ساءه وإن رآك بشرٍّ سرّه][3].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ميزان الحكمة ج٢ ص ١٩٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ميزان الحكمة، ج٢ ص ١٩٢.

الفصل (٦٧)

كيف تواجهون مشاكل وصعوبات الحياة؟

البحر يكون هادئاً والجو مشمساً أحياناً وعاصفاً وهائجاً والجو ملبداً بالغيوم أحياناً أُخرى. وإن حياة الإنسان في هذه الدنيا هي بمثابة عبور من هذا البحر ويجب أن لا نتوقع أبداً أن يكون البحر هادئاً باستمرار وقليل الأمواج. وعندما نمرّ بفترة هدوء واستقرار ووفور النعم علينا أن نشكر الله وعندما نمر بفترة من الشدة وصعوبة العيش وضنك الحياة يجب أن نتحلّى بالصبر ونقاوم ونثبت ونتصدى للأمواج العاتية والعواصف الهوجاء بعزيمة راسخة ورحابة صدر وطول بال، فالإمام علي عليه السلام يقول: [أحسنُ الناسِ حالاً في النِّعم من استدام حاضرها بالشكر وارتجع فائتها بالصبر][1].

إن إرادة الإنسان قوية إلى درجة أنه يستطيع بها أن يتغلب على أمواج البلاء والمصائب العاتية وأن يحطم تلك الأمواج ويوصل نفسه إلى ساحل الأمان والاستقرار والسعادة. المهم أن يعرف الإنسان ويقتنع بأن بحر الحياة يكون هادئاً وساكناً أحياناً وعاصفاً هائجاً أحياناً أُخرى ومن خلال هذا الصعود والنزول وفي خضم هذا اليسر والعسر تبرز وتنشأ لآلىء الشرف الثمينة ومجوهرات الكرامة والاستقامة والصبر القيّمة. والآن أريد أن أسألك عزيزي القارىء: كيف تتعامل مع مشاكل الحياة وتقلبات الدهر؟ كيف تتصرف إذا ما وقع لك حادث ما في حياتك؟ هل تتصرف كتصرف هذه الأخت الكريمة التي بعثت لنا بالرسالة التالية:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

الرسالة: . . . لقد فقدت أحد عشر شخصاً من أهلي وأفراد عائلتي خلال الحرب بمن فيهم والدي ووالدتي وجدتي وثلاثة من شقيقاتي وأولادهن. كل واحد من هؤلاء الأعزة كان يتمتع بصفات ومميزات كثيرة من حيث الأخلاق والتصرفات والحياة العائلية ولا سيما والدي ووالدتي اللذين عاشا معاً مدة أربعين عاماً في محبة ووئام وتفاهم. شقيقاتي العزيزات عشن مع أزواجهن حياة مثالية مليئة بالعبر والدروس القيمة وكنّ مثالاً في الصبر والقناعة والتضحية والإخلاص والوفاء والمحبة لأزواجهن وأبنائهن. وأعتقد أن التطرق إلى سيرة هؤلاء الأعزاء الذين فقدتهم وسلوكهم الخلقي وأسلوب تعاملهم، يكون مفيداً ونافعاً جداً لسائر الأُسرة الكريمة ولا سيما الأخوات العزيزات في كل مكان. لذلك قررت أن أكتب إليكم هذه الرسالة لتنشروها إذا رأيتم ذلك مناسباً وتذيعوها في برنامجكم. برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة». . .

هل تلاحظ أيها القارىء الكريم أي مظهر من مظاهر الجزع والانكسار في رسالة هذه الأخت الكريمة؟ لقد حلّت بها مصيبة كبيرة ومأساة مؤلمة كأنها عاصفة هوجاء حقيقية ولكن هذه المأساة المروعة وهذه العاصفة القوية لم تؤثر أبداً في عزيمة هذه الأخت الفاضلة ولم تزعزع إرادتها وصمودها ولم تنل من عنفوانها وقوة شخصيتها وإن تلك المصيبة التي حلّت بها لم تجعلها تنهار وتستسلم للأمر الواقع بل على العكس فإنها أوجدت في نفسها شعوراً يفوق الصبر والتحمّل فقد نظرت إلى هذه المصيبة من قمة أعلى بكثير. لنتابع معاً بقية الرسالة التي بعثت بها هذه الأخت الفاضلة:

الرسالة: . . . إني أشكر الله لكوني تربيت ونشأت في حجر والدتي التي لم ترفع يوماً صوتها أمام والدي ولم تتشاجر معه قط وعاشت معه بمنتهى الصبر والقناعة والتقشّف وربّت أولادها بعزة وكرامة. . .

لقد كان والدي عاملاً بسيطاً ورزقه الله بسبع بنات ولكني لا أتذكر أبداً أن والدي فتح يوماً - حتى وإن كان على سبيل المزاح - موضوع البنات والصبيان. فقد كان والدي يقول: كل ما يأتي من عند الله فهو خير

وصلاح للإنسان. البنات والصبيان كلهم أمانات أودعها الله عندنا فالله يعطي لمن يشاء إناثاً ويعطي أيضاً لمن يشاء ذكوراً. . .

وكان والدي دائماً يعد بنفسه مائدة الإفطار في الصباح ويدعو جميع بناته لتناول الفطور أولاً، وبعد ذلك كان يخرج من البيت، وكانت والدتي تودعه كل يوم حتى عتبة البيت وكانت تدعو له بالسلامة والتوفيق وتقرأ وراءه آية الكرسي المباركة.

لقد كانت والدتي امرأة عاقلة ورزينة وهي لم تتدخل أبداً في شؤون بناتها وأصهرتها ولم تكن تسمح لبناتها أن يشتكين من أزواجهن. . .

إني أشكر الله الذي منّ عليّ بمثل تلك الأم الحنونة وبمثل ذلك الأب الطيب وأشكره تعالى لأن والديّ قد نالا أجرهما وثواب أعمالهما والتحقا بالرفيق الأعلى وهما قريرا العين.

أختكم ـ ح. ق.

نتقدم بجزيل الشكر لهذه الأخت الكريمة ونقول: إنه لمن سعادة المرء أن يكون عنده أولاد كهذه الأخت الكريمة وبهذا المستوى من الصبر والوعي والمعرفة ويتمتعون بمثل هذه المشاعر والأحاسيس المثلى والراقية. إن أولاداً يتمتعون بمثل هذه الصفات والسجايا حيث يعتبرون المصيبة نعمة من نعم الله (يمتحن بها عباده الصالحين ويختبر من خلالها قوة إيمانهم) ويستقبلون بلايا الدنيا ومآسيها بسعة صدر وتحمّل وصبر كالجبل الشامخ الذي لا تؤثر فيه الزوابع والأعاصير، هم بمثابة مجوهرات ثمينة وقيمة يحظى بها من أراد الله لهم التوفيق من الآباء والأمهات.

الباب الرابع

واجبات الوالدين تجاه أبنائهم وأسلوب تعاملهم معهم وكيفية تربيتهم لهم

الفصل (٦٨)

الكرامة أساس التربية والسعادة

سلاماً وتحية لروح الله، إمامنا الفقيد السعيد الخميني أعلى الله مقامه. سلام على سيرته ونهجه الإلهي وسلام على وصيته السامية العظيمة التي هي دستور الحياة الحرة الكريمة.

الكرامة في وصية الإمام:

إمامنا الكبير والفقيد رضوان الله ورحمته تعالى عليه كان يؤمن بالكرامة والعزة التي أرادها الله تبارك وتعالى للإنسان. كان الإمام الخميني يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان عزيزاً مكرّماً وبعث الأنبياء ليبينوا للإنسان كرامته ولينموها في داخله ويبرزوا ملامحها. لقد كان الإمام الراحل على ثقة بأن الإنسان هو كائن قيّم ومكرّم وبإمكان هذا الإنسان ومن خلال تنمية هذه الكرامة والاقتناع بوجود هذه القوة والعزة في كيانه، أن يحقق ما يريد تحقيقه ويتخلص ويتحرّر من قيود العبودية وأغلال الذلّ التي يكبله بها الظالمون وبالتالي ينال سعادة الدنيا

والآخرة. ومن منطلق هذا الإيمان الإلهي فقد دعانا رحمة الله عليه في وصيته القيمة لنعرف كرامتنا وعظمتنا الإلهية و«نجد ذاتنا» ونكتشف القيم والكفاءات والطاقات الكامنة في وجودنا وأن تتكون لدينا القناعة بأننا نقدر على تحقيق ما نريد. وكان الإمام الراحل خلال فترة حياته النورانية المباركة يوصي الجميع باستمرار ويقول: «لتتكون عندنا القناعة بأننا نستطيع، المهم أن تتكون هذه القناعة لدينا».

إن الإمام الخميني من خلال ما كان يتمتع به من وعي ودراية قد أدرك بوضوح بأن سلوك الطواغيت ـ وعلى العكس تماماً من سلوك الأنبياء يتمثل في تحقير الأفراد وبث اليأس في نفوسهم وقمعهم وسحق كرامتهم وتحطيم شخصيتهم. حيث يشير الإمام الراحل في وصيته الإلهية القيمة إلى الأساليب الظالمة وغير المشروعة التي ينتهجها هؤلاء الطواغيت فيقول: «ألا ترون كيف أن الغرب المستعمر والشرق المعتدي كانا يقومان من خلال إعلامهما المشؤوم والمسموم بتحقير شعبنا وسائر الشعوب الأُخرى وذلك لكي تتخلى تلك الشعوب عن أصالتها وتتجرد من قيمها وثقافتها بحيث إنها لا تعود تعير أية أهمية لقيمها الثقافية ولا تجرؤ بعد ذلك على القيام بأية خطوة من أجل العودة إلى أصالتها وثقافتها؟ وقد رأينا بعد ذلك كيف أن تلك الشعوب سلّمت زمام أمورها وكل ما تملكه لأولئك المستعمرين الشرقيين والغربيين ولم تعد تعتمد على نفسها في أي أمر من الأمور. ورأينا كذلك ولا زلنا نرى كيف أن هؤلاء المستكبرين والمستعمرين يمارسون من خلال إعلامهم الخبيث اللعين أسلوب تحقير الشعوب الأُخرى وإهانتها وإذلالها والإساءة إلى عزتها وكرامتها وبالتالي بث اليأس فيها وقمعها؟ وبهذه الطريقة فقد أبقى المستعمرون والمستكبرون الشعوب الأُخرى تعيش حالة التخلف ليتسنى لهم نهب «ثرواتها والقضاء على ثقافتها وأصالتها».
نعم، لقد ثار إمامنا المفكر الفذّ والواعي طيّب الله ثراه، على الطواغيت ونهجهم الظالم وأعاد لهذا الشعب ولسائر الشعوب المضطهدة كرامتها المهدورة وبيّن لأبناء البشرية العزة والقوة والكرامة التي خصّهم الله تعالى بها وذلك من خلال تحذيراته وتوجيهاته وكشفه للحقائق وقيادته الحكيمة والأبوية. لقد أوصانا الإمام الراحل أن نجد ذاتنا ونعي أنفسنا وحقيقة وجودنا ونبعد عن أنفسنا اليأس ونكتشف طاقاتنا

وقدراتنا وأن تتكون لدينا القناعة بهذه القدرات وننهض لأداء مسؤولياتنا وواجباتنا الإلهية. وبهذه التوجيهات والإرشادات والتحذيرات جعل الإمام الخميني من شعب مضطهد ومستعمر ومستعبد يعيش ذلّ اليأس والحرمان، شعباً مقتدراً عزيزاً مرفوع الرأس ومضحياً يتحلّى بالصحوة والوعي واليقظة ونفخ بأنفاسه القدسية وكلامه الإلهي المفعم بالعزة والكرامة، في هذا الشعب روح العزة والمقاومة والصمود في طريق الحق وتمكن ببركة توجيهاته الربانية أن يربّي شعباً هو من أكثر الشعوب وعياً وحرية وعزة وكرامة وأن يجعله زعيماً وإماماً للعالم ومثالاً وقدوة لشعوب الدنيا بأسرها. علينا جميعاً، الآباء والأمهات والأساتذة والمعلمين وكل المعنيين بالشؤون التربوية أن نقتدي بهذا المعلم الرباني الكبير وننتهج أسلوبه التربوي والتوجيهي الذي ينمّي روح الأمل والكرامة لدى الأفراد وبالتالي نتجنب أسلوب التحقير والاستهزاء بالآخرين وتوجيه الانتقادات اللاذعة لهم وبث اليأس في نفوسهم ونقوم بدلاً من ذلك بإحياء الشوق والأمل في قلوبهم وننمّي في نفوس أبنائنا القناعة بكفاءاتهم وقدراتهم وأن نصل بهم إلى النمو والكمال من أجل مستقبل مشرق زاهر يبشّر بالعزة والنصر ليعيشوا أحراراً مستقلين. وهذا الأسلوب والنهج الذي سار عليه الإمام الراحل ودعا إليه مستمدّ من السنّة المحمدية الأصيلة. فالرسول الأكرم ﷺ أوصى المؤمنين أن يحترموا بعضهم بعضاً ويكرم أحدهم الآخر حيث قال ﷺ: [من أكرم مؤمناً فقد أكرم الله] هذه الوصية تم التأكيد عليها مراراً على صعيد العلاقات بين أفراد الأسرة ولا سيما في مجال تربية الأبناء. فالرسول الأكرم ﷺ أوصى باتباع أسلوب الإكرام في تربية الأولاد لكي يكتسبوا عن هذا الطريق الآداب والعادات الحسنة ونضمن بذلك وصولهم إلى مرتبة السمو والكمال والسعادة الإنسانية.

الفصل (٦٩)

كيف تتحدثون مع أولادكم؟ وكيف تقومون بتربيتهم؟

إني أتوجه بحديثي إليك وأسألك أنت، أيتها الأم التي قبلت أن تحملي هذا الاسم المقدس وتقبّلت مسؤولية الأمومة التي هي مسؤولية مقدسة أيضاً، كيف تتصرفين وتتعاملين مع أولادك؟ وكيف تتكلمين معهم؟ وكيف تقومين بتربيتهم؟ . . .

الرسالة: . . . ماذا أقول؟! إني أدعو عليهم بالسوء من الصباح وحتى المساء. إني أعرف بأنه لا يجب أن أتفوه بكلام بذيء ويجب أن لا أدعو على أولادي بدعاء سوء ولكني أفقد أعصابي وتخرج هذه الكلمات النابية من فمي بصورة لا إرادية. لقد تعودت على هذا الأسلوب، ماذا أفعل؟!. . . إني أتألم من أجل أولادي وأخشى أن يتحقق دعاء السوء الذي أدعو به عليهم فيشقون وتتدمّر حياتهم ومستقبلهم. وهناك سؤال مهم جداً بالنسبة لي وهو: هل دعاء السوء على شخص ما له أثر على ذلك الشخص؟.

أيتها الأخت الكريمة! إن الدعاء بالسوء والتفوه بالكلام النابي والبذيء لا يليق بك كأم. فالسبّ والكلام البذيء هو ذنب كبير يورث الكراهية ويجعل الأبناء يحقدون على والديهم.

فحذارِ أن يؤدي هذا السبّ والكلام البذيء إلى غضب الرحمن وعندها ستتحول حياتك إلى جحيم ورماد. هل تريدين أيتها الأخت الكريمة أن يكتب ابنك

أو ابنتك عنك مثل هذه الرسالة التي نقرأها معاً فيما يلي والتي بعثت بها إلينا إحدى الأخوات:

الرسالة: ... والداي من ذوي الأخلاق السيئة جداً وهما يسيئان الظنّ بي وهما يوجهان لي ولشقيقتي باستمرار السباب والشتائم والكلام البذيء ويثيران النزاع والشجار لأتفه الأسباب عندما أريد العودة إلى البيت من المدرسة أتصور كأني أريد الدخول إلى جهنم. إن والديّ يحقرانني ويهينانني باستمرار ويدعوان لي بالسوء والشرّ وإني أخشى أن يستجاب دعاؤهما فتصبح حياتي وحياة شقيقتي كلها شقاء وجحيم. فماذا أفعل؟ أرجو أن تقولوا شيئاً لوالدي في برنامجكم «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة» عندما أعود إلى البيت عصراً، أقول في نفسي لعل والديّ قد تغيرا ولكني عندما أعود أرى أن شيئاً لم يتغير حيث أواجه نفس المشاكل والشجار والنزاع والكلام البذيء لا أدري ماذا أفعل؟!...

أيتها الأخت الكريمة! إنني واثق بأنك لا تريدين لأولادك حياة الشقاء والتشتت والضياع ولا تريدين أن يكون أولادك كئيبين ومعنوياتهم محطمة ولا ترغبين بأن يكتبوا عنك مثل هذه الرسالة ويقولوا فيها بأن البيت هو بمثابة جحيم بالنسبة لهم وأنهم يخافون من العودة إليه. حبذا لو أصغيت إلى كلام رسول الله ﷺ في هذا المجال حيث يقول: [لا تدعوا على أنفسكم بالسوء ولا تسبوا أنفسكم ولا أبناءكم ولا أموالكم][1] وقال ﷺ: [عندما تسمع الملائكة صوت المسلم وهو يسبّ فإنها تقول: ما أسوأك! كف عن السبّ!][2].

(١) كنز العمال ٨١٧٢.
(٢) وسائل الشيعة ج٢ باب ٥٣.

الفصل (٧٠)

ابذلوا كل ما في وسعكم لتربية أبنائكم تربية صالحة

إن الشيطان ينصب شباكه ويكمن لكم ويتحيّن الفرص ليوقع بأبنائكم ويخدعهم ويجعلهم يعانون من الضعف والمرض في أجسامهم وفي أنفسهم أيضاً. نعم إن الشيطان يترصّد أبناءكم وينصب لهم شباك مكره وخداعه ليقضي على سعادتهم في الدنيا وفي الآخرة ويضيع بالتالي مستقبلهم ويجرهم نحو البؤس والشقاء وعذاب جهنم. فكيف بإمكانكم أن تساعدوا أبناءكم وتخلصوهم من شَرَك الشيطان ومصائده؟.

إن أبناءكم لا يستطيعون لوحدهم أن يتخلصوا من مصائد وكمائن الشيطان الخفية وينقذوا أنفسهم من مكائده ودسائسه وفي هذه الحالة يجب على الأب والأم أن يساعدا أبناءهما ويراقبا تصرفاتهم ونشاطاتهم بكل دقة ويبذلا كل ما في وسعهما لتأديبهم وتربيتهم وإبعادهم عن أماكن الخطر ومواقع الانزلاق والسقوط. فالله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه العزيز: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾**[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: [ابذلوا ما في وسعكم لتربية أبنائكم][2].

إذا لم يؤدّ الوالدان أهم وظيفة ملقاة على عاتقهما وهي وظيفة تأمين سلامة أبنائهم وتربيتهم وتنميتهم جسمياً وروحياً وتركاهم وشأنهم دون حسيب أو رقيب

---

(١) سورة التحريم آية ٦.

(٢) تحف العقول.

فقد يقعون في مصائد الشيطان.

وسؤالي لكم هو: كم تخصصون من وقتكم يومياً للاهتمام بأبنائكم ومراقبة تصرفاتهم وتوجيههم وتربيتهم؟ هل تبذلون ما في وسعكم لتربية أبنائكم وتنمية قدراتهم الجسدية والروحية والمعنوية؟ أم أن مشاغل الحياة ومشاكلها تلهيكم عن القيام بهذه المهمة؟ ألا يحتاج أبناؤكم إلى الإرشاد والتوجيه والمراقبة والمساعدة من قِبَلكم؟ هل أبناؤكم في مأمن من شباك ومصائد الشيطان هل هم في مأمن من الخطر الذي واجهه هذا الشاب الذي بعث إلينا بالرسالة التالية والمشكلة التي وقع فيها؟ من أجل أن نفهم بشكل أفضل ضرورة مراقبة تصرفات الأبناء لا بأس أن تقرأوا رسالة هذا الشاب المتألم وتفكروا فيها لتجنّبوا أبناءكم مثل هذه الحوادث المؤسفة.

الرسالة: ... هذه سادس رسالة أكتبها إليكم، لعلكم تتعجبون وتقولون في أنفسكم: إذن لماذا لم يرسل الرسائل الخمس السابقة إلينا؟ الجواب هو أني في كل مرة كنت أكتب فيها رسالة وأستعد لإرسالها إليكم، كنت أقول في نفسي: حقاً ستقرأون رسالتي؟ هل ستردون عليها؟ وبعد ذلك كنت أقول في نفسي: لا أعتقد أن رسالتي هذه تجدي نفعاً فكنت أمزق الرسالة وأرمي بها في سلة المهملات... وأخيراً قلت: كلا! سيردون على رسالتي بكل تأكيد، ولهذا قررت أن أكتب إليكم وأطلب منكم العون.

لا تتصوروا بأني أطلب منكم أن تهدئوا من روعي وتخففوا من آلامي بل كل ما أريده منكم أن تساعدوني فكرياً ومعنوياً. اسمحوا لي أن أتحدث أولاً عن والدي: فهو رجل طيب القلب وحازم في نفس الوقت، ويعمل موظفاً بسيطاً في التربية والتعليم. أتذكر عندما كان يعود عند الظهر إلى البيت، لم يكن يرد على سلامنا عليه ولم يكن يطيق أي صوت أو ضوضاء من شدة التعب والإرهاق. كان يجب أن يسود الصمت المطلق في البيت حتى يتمكن من تناول الطعام ويستريح قليلاً ويستعيد نشاطه ليتوجه بعد الظهر إلى المكتب حيث يبدأ عمله الثاني حتى ساعة متأخرة من الليل... ولا يزال والدي رجلاً نشطاً وكادحاً على صعيد تأمين النفقات المعيشية

للبيت والأُسرة ولكنه كان قليل الاهتمام بموضوع تربية أولاده. وفيما يتعلق بوالدتي أقول: إن والدتي تهتم كثيراً بملابسها ومظهرها وتحبّ الخروج من البيت وتبادل الزيارات والدعوات والولائم مع الأهل والأقارب وأتذكر أنها كانت تقول لوالدي دائماً: أريد نقوداً. لدي نفقات كثيرة أريد شراء ملابس ووو.. وهي لا تزال تحتفظ بعاداتها وتصرفاتها تلك. وعندما كنت أعود من المدرسة لم يكن يحدث أن شاهدت والدتي في البيت فهي تكون ذاهبة إمّا إلى دعوة أو وليمة وإما إلى السوق ونكون نحن الأطفال المساكين وحيدين في البيت أو تائهين في بيت الجيران ننتظر مجيئها.

وعلى ضوء ما ذكرته عن والدي ووالدتي فإننا ومنذ الطفولة لم يكن لدينا من يتولى تربيتنا ويتابع دراستنا ويسألنا عن أوضاعنا في المدرسة ولم يكن أمامنا سبيل لطرح مشاكلنا النفسية والفكرية إني لا أريد أن أستهين بوالديّ وأتجرأ عليهما ولكني أتساءل: أليس من واجب الأب والأم أن يراقبا تصرفات أبنائهما ويهتما بدراستهم ويطلعا على وضعهم الدراسي؟... على أية حال رغم كل ذلك وبكثير من العناء والشقاء حصلت على شهادة الثانوية العامة. ولكن نظراً لأنه لم تكن لي أم ترعاني ولا أب يراقب تصرفاتي ويرصد رواحي ومجيئي فقد أقمت علاقات مع أصدقاء السوء ولم يكن هناك من يسألني: إلى أين تذهب؟ ما تفعل؟ لماذا تأخرت في العودة إلى البيت؟...

والآن فإني ابتليت بمرض أتمنى معه أن تنشق الأرض وتبتلعني حتى لا أظل أعاني من العذاب والتألم والخجل. حقاً من هو الذي يجب أن أعتبره مقصراً في هذا الصدد؟... والآن ماذا أفعل لكي أنقذ نفسي؟

من هو المقصّر؟:

هل أقول بأنك أنت المقصر؟ أم أقول أولاً: إن والدك هو المقصّر؟ هذا الوالد الذي تخلّى عن إدارة البيت ورعاية الأسرة والعائلة وترك الزوجة والأبناء

يتصرفون كما يشاؤون ويروحون ويجيئون دون رقيب أو حسيب ولم يهتم إلاّ بعمله وتأمين معاش الأسرة وبالتالي يعود إلى البيت منهك القوى كئيباً ومتوتر الأعصاب إلى درجة أنه لا يطيق حتى الرد على سلام أبنائه وأفراد أسرته. في حين أن الإسلام يؤكد على أن الأب عندما يدخل إلى البيت عليه أن يبدأ بالسلام وحتى لو لم يكن هناك أحد في البيت.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: [إذا دخل الرجل منكم بيته فإن كان فيه أحد يسلم عليهم وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السلام علينا من عند ربنا](١).

لأن السلام هو تحية طاهرة ومبادلة من قبل الله. كيف لا يدري والدك وهو معلم، «بأن السلام إذا كان مستحباً فإن رد السلام واجب»(٢).

وكيف لا يدري بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يسلّم على الأطفال والصبيان لكي تقتدي الأجيال القادمة بهذه السنة المحمدية. وإذا كان والدك يعرف هذه الأمور، فلماذا لم يكن يعمل بها؟ وحبذا لو نعرف بأن «السلام هو تحية أهل الجنة» وإذا ما التزمت الأُسر بهذه السنة المحمدية والفردوسية وجلّلتها وعظّمت مكانتها فسوف تكتسب شيئاً فشيئاً أخلاق وسجايا أهل الجنة.

٢ ـ هل أقول إن والدتك هي المقصرة في مجال تربيتك؟ إن الجميع يعلم بأن التضحية والإيثار هما من أفضل الصفات التي يمكن أن تتمتع بها الأم. وعادة فإن الأم تفضل سعادة وصلاح ونجاح أولادها على سعادتها ومصلحتها. فالأم تقتر وتضيق على نفسها من أجل أن يعيش أولادها في سعادة ورفاه وراحة وهذه التضحية هي من أعظم الصفات الإنسانية. ولكني لا أدري لماذا حرمت والدتك ـ كما ذكرت في رسالتك ـ من هذه الصفة الجميلة.

لو كانت والدتك امرأة عاقلة ومضحية لكانت قد عاشت حياتها بقناعة وتدبير. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [القناعة حياة طيبة يبحث عنها جميع الناس](٣).

---

(١) بحار الأنوار ج٧٦ ص ٣.
(٢) بحار الأنوار ج٧٦ ص ١٠.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩ مضمون حديث أمير المؤمنين عليه السلام.

ويقول عليه السلام أيضاً: [القناعة هي أهنأ حياة][1].

فلو كانت والدتك قد انتهجت سبيل القناعة في الحياة، وبدل أن تشتري ملابس جديدة كل عام اشترت تلك الملابس مرة واحدة كل عامين ولو أنها خصصت وقتها لرعاية أبنائها والاهتمام بهم وبتربيتهم بدل أن تمضي وقتها في التسوق وتبادل الزيارات والاهتمام فقط بنفسها وملابسها، لما كان وضعك بهذا الشكل المأساوي المؤلم. ولو كانت والدتك امرأة قنوعة ومدبرة ومقتصدة في نفقاتها ونفقات البيت والأولاد لما كانت تضغط على والدك وتطلب منه المزيد من المال والنقود ولما اضطر والدك ونتيجة لضغوط والدتك لإرهاق نفسه بالعمل الإضافي وبالتالي كان بإمكانه أن يعود إلى البيت مبكراً حيث كان لديه الوقت الكافي للتحدث مع أبنائه والاهتمام بدروسهم وقضاياهم ومتابعة مشاكلهم ومراقبة تصرفاتهم ورواحهم ومجيئهم. إن كل هذا التأكيد على القناعة في الحياة وعدم الإسراف والتبذير حيث يؤكد القرآن الكريم على هذا الموضوع ويصف في إحدى آياته الكريمة المبذرين بأنهم إخوان الشياطين كما أوصى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بالقناعة. قال علي عليه السلام: [القناعة كنز لا يفنى (مال لا ينفد)] وقال عليه السلام: [عزّ من قنع وذلّ من طمع].

نقول إن الهدف من التأكيد على القناعة هو أن نجنب أنفسنا الأعباء والأعمال غير الضرورية ونخفف عن كاهلنا لنهتم بالأمور التي هي أكثر أهمية في حياتنا اليومية.

نعم، علينا أن نقلل من الاهتمام بجمال المظهر لنتمكن من الاهتمام بجمال الروح والنفس وبتربية الأولاد والمحافظة على جوهرة السلامة والعفة. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [اقنعوا بالقليل من مال الدنيا لكي تحافظوا على دينكم][2].

٣ ـ هل أقول بأنك أنت المقصّر؟

لقد جعل الله تبارك وتعالى الإنسان مخيراً في أعماله وتصرفاته فهو يستطيع

(١) غرر الحكم، مضمون حديث أمير المؤمنين عليه السلام.
(٢) غرر الحكم.

أن يختار طريق الحق القويم أو أن يسير في طريق الباطل وينتهج سبيل الضلال ويضيع سعادته وآخرته، ألم يكن بإمكانك أنت أن تحفظ نفسك وتبتعد عن أصدقاء السوء؟ لم يكن باستطاعتك أن. . .؟ . . .؟

ولكن الفرصة لم تفُتك بعد، لتكن ثقتك بالله قوية راسخة، إقطع علاقتك بأصدقاء السوء وتعرّف على أحد علماء الدين واطلب منه أن يساعدك. إني أعرف عالم دين فاضل في مدينتك وهو إمام جماعة مسجد. . . وهو محطّ ثقة واحترام الجميع وهو الطبيب الذي يعالج أمراض الروح. فاتصل به وتعرف عليه وأقم علاقات معه حيث نأمل من خلال مصارحتك له وطرحك لمشكلتك عليه أن تستفيد من مساعدته وتوجيهاته وبالتالي تنقذ نفسك من الوضع الذي أنت فيه. اطلب العون من الله.

وفقك الله. .

الفصل (٧١)

قوموا بتربية أنفسكم وأبنائكم

يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أدّبوا أنفسكم وخلصوها من العادات والأخلاق السيئة المذمومة ولا تلقوا حبلكم على غاربكم وحثوا أنفسكم على الالتزام بالأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن لأن الإنسان يميل بطبيعته إلى الرذائل»[١].

إن صفة العناد والتهكّم والتمرد والعنف والتشدد وسائر الصفات القبيحة، تكون موجودة ومتأصلة في ذات كل إنسان لم يتلقّ تربية صحيحة ولم يحصل على التزكية اللازمة. وعليه فإن النزعة إلى الشرّ موجودة في ذات كل إنسان ولكن إذا تعرف الفرد على طبائعه وعلى هذه الصفات السيئة الكامنة في داخله وتمكن من كبح جماحها والسيطرة عليها وتحلّى بحسن الأدب والصفات الحسنة فإنه يصل إلى الخير والصلاح، أمّا إذا ترك حبله على غاربه وأهمل تلك الصفات والنوازع السيئة الكامنة فيه وأطلق لها العنان فإنه يصبح-من أسوأ الحيوانات وأخطرها. ولكن هذه النفس المتمردة وهذا الحيوان القوي المتوحش لا يمكن ترويضه ولا تأديبه وتربيته بهذه السهولة. إن العقل يحاول أن يتولى هو كبح جماح النفس الأمارة بالسوء والغرائز الحيوانية ولكن النفس تتمرد ولا تستسلم وبالتالي فإن الصراع والتنازع بين العقل والنفس الإنسانية يبقى قائماً ودائراً طوال الفترة التي يعيش فيها الشخص في هذه الدنيا. ومن أجل أن نتغلب على أهواء النفس علينا أن نجاهد ونكافح ونجدّ ونسعى. وحول ضرورة مجاهدة النفس ومحاربتها يقول النبي المصطفى صلى الله عليه وآله:

(١) غرر الحكم، مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه][1].

وقال ﷺ: [جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم][2].

وقال علي عليه السلام: [جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدو عدوّه، وغالبها مغالبة الضدّ ضدّه، فإن أقوى الناس من قوي على نفسه][3].

وفي خضم هذا الصراع والمجاهدة إذا انتصر عقل الإنسان فإن النفس ستنكفىء وتبقى منعزلة وكامنة في أعماق الإنسان تنتظر الفرصة المناسبة. أما إذا انتصرت النفس الأمّارة بالسوء فإنها تحطّم منارة العقل وتطفىء ضياءه وتزيد الإنسان تمرداً وانحلالاً خلقياً وتعنتاً وحرصاً وجشعاً. وكذلك هو الحال بالنسبة للأب والأم فهما إذا ما بادرا خلال السنوات التي يتقبّل فيها الطفل الإرشادات والتوجيهات التربوية ويستوعبها (أي من سنّ السابعة وحتى الرابعة عشرة) إلى تأديب طفلهما المتمرد والمتعنت ومنعاه من القيام بالتصرفات الشائنة والخشنة والعنيفة ـ وهذه من طبيعة الأطفال خلال سنيهم الأولى ـ وعوّداه وشجعاه على التصرفات الحسنة والجيدة فإن الطفل سيصلح ويسير في طريق الهداية والصلاح. أما إذا تركاه وشأنه فسوف يسير في طريق الضلال والانحراف مما يؤدي به في النهاية إلى السقوط والانحطاط، كما نلاحظ ذلك من خلال الرسالة التالية:

الرسالة: . . . عشت في أسرة كانت تعيش معنا زوجة والدي التي هي زوجته الأولى. زوجة والدي هذه امرأة طيبة إلى أبعد الحدود وكانت تحبني وتعطف عليّ أكثر من والدتي ولكن أحياناً كان يحدث شجار أو نزاع بين والدتي وزوجة أبي وبالطبع فإن والدتي هي المقصّرة وهي السبب في وقوع هذا الشجار. . . ونظراً لأننا كنا (أنا وإخوتي وشقيقاتي) صغار السن فقد كنا نقف إلى جانب والدتي عندما كان يحدث مثل هذا النزاع وكنّا نؤذي زوجة أبي. . . أما والدتي فما كانت تقول لنا شيئاً بل كانت تشجعنا على ذلك وبالتالي فقد كنت حرة لأفعل ما أريد. . . حتى بلغت من العمر أربعة

---

(1) وهج الفصاحة في أدب النبي، ص ٣٣٣.
(2) مستدرك وسائل الشيعة ج٢ ص ٢٧٠.
(3) تنبيه الخواطر ص ٣٦٢.

عشر عاماً فأصبحت فتاة لعوباً مُدلّعة عديمة التربية عنيدة ولجوجة، وبقيت على هذا الحال حتى تزوجت. تصورت بأن بيت الزوجية هو كبيت والدي وأهلي فكل ما كنت أقوله وكل ما كنت أفعله وأقوم به كان ينمّ عن سوء الخلق واللجاجة والعناد والتعنت... فلو كان هناك من يوبّخني ويحذرني من تصرفاتي عندما كنت في بيت والدي لما كان وضعي الآن بهذا الشكل ولو كان هناك من ينهاني عن تصرفاتي تلك ويقول لي هذا العمل قبيح وغير لائق والتصرف الفلاني غير صحيح ويمنعني من القيام بتلك التصرفات الشائنة لما أصبحت هكذا أواجه حياة صعبة وقاسية في بيت زوجي...

ولكن زوجي منذ البداية كان رجلاً وقوراً رزيناً وهادئاً وفي نفس الوقت جاداً ومتشدداً. كان يقول كلمته ويقدم النصح والتوجيه ولكنه لم يستسلم أبداً لعنادي وكثرة طلباتي وبالتالي فإن تصرفه معي بهذا الشكل جعلني أتخلّى شيئاً فشيئاً عن عاداتي السيئة والشائنة والآن أشعر بتحسن في طباعي وأخلاقي عاماً بعد عام...

تلاحظ عزيزي القارىء. كيف أن الشخص الذي يترك وشأنه دون تربية صحيحة ـ ولا سيما في مرحلتي الطفولة والمراهقة ـ يواجه في حياته المستقبلية عواقب وخيمة حيث تتحكم به العادات والصفات السيئة وتحيط بوجوده وكيانه أنواع الحشائش الضارّة وتعترض سبيله الكثير من المشاكل والعقبات ويحتاج الأمر إلى فلاح واع وقدير ليقتلع تلك الطفيليات ويجتث تلك الأغصان غير المثمرة ويزيل تلك العقبات والمشاكل قبل فوات الأوان.

الرسالة: ... **أشكر الله، لأن زوجي قد تحمّل أخلاقي السيئة وعنادي، فنصحني وتشدد تجاهي وبالنتيجة غيّر أخلاقي. وإني أغتنم الفرصة لكي أعرب له عن شكري وتقديري وأرجو منكم من خلال برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة» أن تقولوا لزوجي بأن لا يذكر شيئاً أمام أولادي عن تصرفاتي السابقة وما كان يجري بيني وبينه من حديث ونقاش وقولوا له ثانياً بأنه إذا أراد أن ينصح أبناءه فليذكر لهم عيوبهم وأخطاءهم ولا**

يذكر تلك العيوب أمام الآخرين لأن ذلك يسيء إلى كرامتهم وشخصيتهم. زوجي يقول لي، لا تتدخلي في موضوع تربية الأولاد! فهل عليّ أن لا أتدخل في أمر تربية أولادي؟ هل زوجي على حق أم أنا على حق؟!...

١ ـ إن إعرابك عن شكرك وتقديرك لزوجك، هو في محله، لأن زوجك لو كان شخصاً قليل الصبر والتحمّل لكانت حياتك ـ على ضوء ما ذكرته في رسالتك ـ قد تحولت إلى جحيم وكان من الممكن أن يطلقك زوجك خلال الأشهر الأولى من الزواج. فحري بك أن تقدمي المزيد من الشكر لله ولزوجك. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [بالشكر تدوم النعم][1].

٢ ـ إن التحدث عن عيوب الآخرين والكشف عن مساوئهم في الماضي هو من الصفات التي لا تليق بزوجك العاقل الرزين. الآية الشريفة تقول ما مضمونه: «تجاوزوا عن أخطاء وعيوب الآخرين، ألا تريدون أن يتجاوز الله عن سيئاتكم؟» لذلك فإن على زوجك أن يتجاوز عن ماضيك وينساه وكأن شيئاً لم يحدث. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: [استر عيوب الناس ليستر الله عيوبك][2].

٣ ـ إن زوجك بما يتمتع به من رزانة وجديّة وحزم بإمكانه أن يكون مربياً جيداً لأبنائك شريطة أن يخفف من شدته ويستخدم أسلوباً أكثر مرونة وودية في تربيتهم. كما أن نصائح وتوجيهات الوالدين للأبناء تعتبر ضرورية وهي أفضل وأثمن هدية يمكن أن يقدمها الوالدان لأبنائهما ويجب على الأبناء ـ الذين هم في طبيعتهم مشاكسون متمردون قليلو الفهم والإدراك لحقائق الأمور ـ أن يحيوا وينتعشوا بهذه النصائح والمواعظ وأن يعوا ويهتدوا بها. ولكن رغم أن النصيحة والموعظة هي كالماء مفيدة تؤدي إلى النمو والتكامل وتبعث على الحياة، لكن يجب أن لا ننصح الشخص أمام الآخرين لأن مثل هذه النصيحة ستكون بمثابة تحقير للشخص وتشويه لسمعته. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [توجيه

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

النصح لشخص أمام الآخرين هو بمثابة إهانة وتحقير له][1] والشخص الذي يحقّر بهذه الطريقة يساء إلى كرامته وتتحطم شخصيته وتحدث لديه ردود فعل تجعله يرفض التوجيهات التربوية وبالتالي لا يتجه نحو التكامل والإصلاح.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

الفصل (٧٢)

عندما تريدون تربية أبنائكم فعليكم أن تنمُّوا فيهم العادات الجميلة والمحببة

كيف تتصرفون مع أبنائكم الصغار؟ أنتم الذين تحرصون على تقدم أبنائكم وتشعرون بالمسؤولية حيال مستقبلهم وتعربون عن قلقكم إزاء ذلك، كيف تقومون بتربيتهم؟ وكيف تعاملونهم لكي يصبحوا قادرين ومستعدين للدخول في خضمّ الحياة المستقبلية بعزة وشموخ؟... هل تعلمون بأن أفضل فترة يكون فيها الشخص مستعداً لتقبل واستيعاب التوجيهات التربوية هي فترة سني الطفولة، حتى سنّ السابعة؟ هل تعرفون أن نجاح أبنائكم والنجاحات التي يحققونها في حياتهم المستقبلية هي رهن بالصفات والعادات التي يكتسبونها ولا سيما خلال فترة الطفولة؟ إذا أرادت زوجتك أن تصف أسلوبك وطريقتك في تربية أبنائك فماذا يمكن أن تكتب حول ذلك؟ هل ما ستكتبه سيكون مختلفاً عما جاء في رسالتك هذه؟ ما هي أوجه الاختلاف بين الرسالتين؟

الرسالة: ... ماذا أقول؟ زوجتي تتمتع بالكثير من الصفات والخصال الجيدة فهي ربة بيت ونظيفة ونشطة وواعية وعاقلة وتحب الضيوف وتكرمهم... لها ذوق جيد ولكن فيها عيب واحد وهو عيب كبير جداً لأنها عصبية المزاج إلى أبعد الحدود فهي تثور وتفقد أعصابها لأدنى تصرف من قبل الأطفال وبالتالي فهي تنهال عليهم بالضرب... وعندما أنبهها إلى ذلك وأمنعها من ضربهم تقول لي: إذا لم نقف بوجه الأطفال الآن وهم في سن الثالثة

والرابعة فإنهم سوف يتعودون على التصرفات السيئة وعندها سأفقد السيطرة عليهم... فزوجتي تعتقد بأن الضرب والتهديد والعنف هو السبيل الوحيد لتربية الأطفال وتقول: «إن الضرب منشؤه من الجنة، فهي ترى بأن الطفل يجب دائماً أن نقول له إفعل كذا ولا تفعل كذا ويجب حسب رأيها استخدام العنف والشدة مع الأطفال لجعلهم يلتزمون الصمت والهدوء ويجب منعهم من اللعب والحركة وممارسة نشاطاتهم الجسمية...

توضيح ورد: أيها الأخ الكريم! استنتجت من رسالتك بأنك أيضاً إنسان منصف وعاقل وواع، لأنك أشرت إلى الصفات الجيدة في زوجتك قبل أن تنتقد تصرفاتها حيال الأطفال والأسلوب الذي تتبعه في تربيتهم وهذا دليل على إنصافك وسلامة تفكيرك.

ليتنا كنا جميعاً مثلك نذكر الجوانب والتصرفات والصفات الإيجابية في الشخص الذي ننتقده ونقدّر فيه تلك الصفات الحسنة والجيدة. أما فيما يتعلق بوجهات نظر زوجتك وأسلوبها في تربية أطفالها فيجب أن أقول:

أ ـ إن زوجتك على حق عندما تقول: يجب أن لا نجعل الطفل يتعوّد على التصرفات الشائنة غير الصحيحة وبالتالي يجب أن يمنع من هذه التصرفات. لأن الطفل إذا قام بعمل ما مرة ومرتين ولم يمنع من القيام به فإنه يكرره وتكون النتيجة أن هذا العمل أو التصرف يترسخ في وجوده ويتأصل في كيانه ويتعوّد عليه ويصبح هو الأساس في تصرفاته وخلقه ومستقبله. فالإنسان ـ صغيراً كان أم كبير السن ـ يسير في إطار التصرفات والممارسات التي تعود عليها بسهولة أكثر ورغبة أكثر أيضاً. حيث إن أعضاء جسمه وذهنه وروحه وفكره تبدي كلها مرونة أكثر واستجابة أكبر للتصرفات التي كررها في حياته وهذا هو معنى التعوُّد. لذلك يجب على كلٍّ منا أن يراقب نفسه ويجب على الأم أن تراقب التصرفات والممارسات الأولى التي يقوم بها طفلها وعليها أن تمنعه من تكرار التصرفات غير الصحيحة والخاطئة، لكي لا تتأصل في وجوده عادة الشرّ والسوء. وعلى العكس من ذلك عليها أن تشجعه على أعمال وصفات الخير لكي يتعود على الخير والصلاح. فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصية لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إنما قلب

الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته»[1].

حيث إن قلب الطفل تربة خصبة للصفات الحسنة الجيدة أي يتعود على الأعمال والتصرفات الحسنة ومن الممكن أيضاً أن تجعل قلب هذا الطفل منبتاً للحشائش الضارة والأشواك الجارحة المؤذية، أي تجعله يتعود على أعمال السوء والشرّ، والمهم هنا هو دور المربّي، وما إذا كان يسمح للطفل باكتساب الصفات الحسنة أو يجعله يكتسب الصفات السيئة ويتعود على الممارسات والتصرفات القبيحة. التصرفات والعادات الجميلة تجعل خلق الإنسان وطباعه جميلة، أما التصرفات والعادات السيئة فإنها تجعل وجود الإنسان كله في نهاية الأمر سيئاً. فالإسلام يأمرنا على لسان النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام أن نعوّد أنفسنا على الأعمال والتصرفات الحسنة والجميلة ومكارم الأخلاق وتحمّل الصعوبات ومشاكل الحياة والسعي والعمل والإيثار والحِلم عند الغضب، يقول عليّ عليه السلام: «عوّدوا أنفسكم على التصرفات الحسنة ومكارم الأخلاق وتحمّل المشاق والسعي والعمل والإيثار والحِلم»[2]. وعلينا أن نتجنب القيام بأي تصرف أو عمل لا نرغب به أو لا نستطيع الاستمرار فيه حتى لو كان قيامنا بذلك التصرف قد تم للمرة الأولى. لأن الإنسان يتعوّد على تصرفٍ ما بمجرد أن يقوم به ويمارسه للمرة الأولى.

عن حبّة العرني قال: أُتي أمير المؤمنين عليه السلام بخوان فالوذجٍ فوضع بين يديه ونظر إلى صفائه وحسنه فوجى بإصبعه فيه حتى بلغ أسفله ثم سلّها ولم يأخذ منه شيئاً وتلمظ اصبعه وقال: إن الحلال طيب وما هو بحرام ولكني أكره أن أعوّد نفسي ما لم أعودها، ارفعوه عني فرفعوه[3].

إذن علينا قبل كل شيء أن نمنع أنفسنا وأبناءنا عن الممارسات والتصرفات الشائنة حتى لو كنا نريد القيام بذلك التصرف أو العمل الشائن للمرة الأولى. فالإمام عليٍ بن أبي طالب عليه السلام يقول: [العادة عدو تملّك][4].

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٢٩ خطبة رقم ٢٦٩، ط. الأعلمي - بيروت.

(٢) ميزان الحكمة ج٧، مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) وسائل الشيعة ج١٦ باب ١٠ ح ٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

أي أن العادة هي كالعدو الذي يأسر الإنسان إلى الأبد.

ب ـ إنه صحيح القول بأننا يجب أن نمنع الطفل من التعود على الأعمال والتصرفات الخاطئة وغير السليمة، ولكن يجب أن لا يتم ذلك عن طريق العنف والشدة والكلام البذيء والصراخ. يجب على والدة أطفالك وعلى جميع الأمهات والمعنيات والمعنيين بتربية الأطفال أن يعلموا بأن الطفل يولد جاهلاً وضعيفاً وهو يزداد فهماً وقوة شيئاً فشيئاً ولهذا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مستوى قوته وفهمه ودرايته وأن نقوم بتدريبه في نفس هذا المستوى وأن نطلب منه (القيام بالأعمال والتصرفات الجيدة الحسنة والامتناع عن تلك التصرفات السيئة) وذلك بكل رفق ومودة ورحمة ومداراة حيث إن فترة الاكتساب عند الطفل تمتد حتى سن السابعة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لكل دين خلقه وخلق المؤمن الرفق»[1].

ج ـ أيتها الأخت الكريمة! إن استخدام أسلوب الشدة والعنف مع الأطفال قد تكون نتائجه الفورية مشهودة أكثر تجعل طفلك يهدأ ويصمت بصورة مؤقتة ولكن كوني على ثقة بأن هذا الأسلوب يترك آثاراً نفسية سيئة عليك وعلى طفلك وعلى جميع أطفالك وهذا ما لا تريدينه بالتأكيد. وقد أشار زوجك إلى نموذج من هذه الحالة في رسالته التالية:

الرسالة: ... ومع الأسف فإن ابنتي الكبيرة البالغة من العمر أربعة عشر عاماً قد تربّت ونشأت بهذا الأسلوب. فهي فتاة عنيدة لجوجة قليلة الأدب، تردّ على والدتها الصاع صاعين وقد أثر هذا الأسلوب الخاطىء في التربية، أسلوب العنف والشدّة والتنازع، على أعصاب ابنتي بحيث باتت عصبية المزاج لا تطيق شيئاً وقليلة النشاط والحيوية...

أما أنا فقد كنت شخصاً هادئاً صبوراً أحاول أن أهدئها بالنصيحة ولكني الآن تعبت وبت أفقد أعصابي أحياناً مما يزيد الطين بلّة وتتفاقم المشاكل ويزداد التوتر في داخل البيت... فكيف أتخلّص من هذه المشكلة وهذا

---

(١) المصدر نفسه.

القلق والاضطراب؟ هل بإمكانكم أن تبعثوا برسالة نصح وتوجيه إلى زوجتي؟ وهل يمكنكم إرشادها من خلال برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة»؟ بإمكانكم أن تذكروا اسمي لعلها تنتبه أكثر...

أيها الأخ الكريم! يجب أن يكون دورك دور الطبيب الصبور والرؤوف الحاذق الذي يحتفظ بأسرار مرضاه، لتعالج أخلاق وتصرفات زوجتك السيئة أسلوب تربوي يقوم على أساس الرفق والمودة وكن على ثقة بأن الذي يعرف كيفية ستخدام هذا الأسلوب بطريقة صحيحة ويستطيع أن يستخدمه بشكل فعلي وعملي إن التوفيق والنجاح سيكون حليفه شرط أن يحافظ الطبيب على هدوئه بشكل كامل فليس صحيحاً أن يواجه الطبيب، مريضه الذي يتلوى ويصرخ من شدة الألم الصراخ والعصبية والحدة، فالسبيل لإنقاذ المريض من هذا النوع هو أن نزيد من وعيه التربوي ونصحح مفاهيمه ومعتقداته الخاطئة وغير الصحيحة وعندما يفهم بأن السبيل الوحيد لتربية الأطفال ليس ذاك الذي يؤمن به وعندما يزداد اطلاعاً على الأساليب التربوية الصحيحة ويبدأ بتطبيقها فسوف يستعيد نجاحاته ونشاطه السابق على الصعيد التربوي. إن شاء الله.

على أمل أن نستطيع جميعاً أن نكون أشداء على الكفار رحماء فيما بيننا نعطف على الصغار ونحترم الكبار ونكرمهم ونقدّر شأنهم ونطبق هذه الأساليب التربوية الصحيحة ونرافق أبناءنا في السير في طريق الصلاح والسداد، ونطلب من الله تعالى التوفيق والعون فهو خير ناصر وخير معين.

الفصل (٧٣)

الرفق أفضل أسلوب في التربية

هل صادف أن شاهدتم مدربي تسلق الجبال؟ وكيف يقودون الشباب إلى قمة الجبل؟ أتدرون ماذا يفعلون وكيف يتصرفون مع الذين يتخلفون عن ركب المتسلقين؟ هل يأخذون بأيديهم ويجرونهم بقوة وعنف باتجاه القمة إلى درجة أنهم لا يقوون على مواصلة التسلّق وبالتالي يتخلفون عن سائر زملائهم ومن ثم يعودون إلى مركز الانطلاق نادمين؟ إن المشرفين على مجموعة المتسلقين يأخذون بعين الاعتبار قوة كل واحد من المتسلقين ونشاطه ومن ثم يحددون الفترة التي يجب أن تستغرقها عملية الصعود إلى القمة كما أنهم يقومون خلال عملية التسلق بتشجيع المتسلقين وزيادة هممهم. ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لمتسلقي قمم الحياة فهؤلاء يتمتعون بمعنويات وقدرات نفسية وروحية متفاوتة ومختلفة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وبالتالي يجب التعامل معهم برفق ومودة وتوجيههم للصعود إلى قمم الأخلاق السامية والكرامة الإنسانية والآداب العالية. لأننا إذا أردنا منذ البداية أن نتعامل مع متسلقي قمم الحياة الإنسانية بشدة وعنف ولم نستخدم أسلوب الرفق والمداراة في نصيحتهم وتربيتهم فلن يتمكنوا من الصعود وسيصابون بالإحباط وخيبة الأمل وسيفقدون القدرة على السعي لمواصلة طريق الصعود في مدارج الحياة. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [خير الأعمال ما زانه الرفق] ويقول عليه السلام أيضاً: [أقبح شيء الخُرق][1] ويقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً في هذا المجال: [الرّفق مفتاح الجنة] ويقول عليه السلام: [كم

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

من رفيع وضعه قبح خُرقه] ويقول علي عليه السلام: [من كثر خُرقه استرذل][1].

عزيزي القارىء نلاحظ من خلال الرسالة التالية الأسلوب العنيف والشديد الذي تستخدمه هذه الأم في التعامل مع أولادها والذي ينمّ عن جهلها وعدم معرفتها بأصول ومبادىء التربية:

الرسالة: . . . المشكلة الأُخرى التي أعاني منها هي أنني إذا ما ارتكبت أي خطأ فإن والدتي لا تتعامل معي كسائر الأمهات برفق ومودة بل تقيم الدنيا عليّ وتقعدها وتجعلني أرتعد خوفاً. وبالطبع أعرف بأنها كأم حريصة على تربيتي. ولكن ماذا أفعل؟ إن صراخها المرعب يخيفني جداً. وهذا الأمر قد أثّر على نفسيتي إلى درجة أني أشعر بقلق مستمر وأخاف حتى من بيان وجهة نظري أمام الآخرين لأن وجهة نظري إذا كانت مخالفة لوجهة نظرها تنهرني بشدة وتستهزىء وتستهين بي أمام الحاضرين. إنها تنتقدني حتى على أخطائي التي ارتكبتها قبل عدة سنوات فهي تذكرني دائماً بتلك الأخطاء وتفضحني أمام الآخرين. أقول لها يا والدتي العزيزة! حسناً! نبهيني إلى خطئي، والآن قولي لي ماذا عليّ أن أفعل حتى ترضي عني؟ فتقول لي: لا أدري، ماذا عليك أنت أن تفعلي! افعلي ما شئت. . . لا تدرون كم يؤلمني كلامها هذا ويعذبني. . . لقد ذكرت لكم ذلك لأنه لا يوجد في أسرتنا وبين أقربائنا من يفهم كلامي وأستطيع أن أثق به، أنتم بالنسبة لي كالوالد الحنون. ذكرت لكم مشكلتي لعلكم تستطيعون مساعدتي.

فتاة في الثامنة عشرة من ثانوية. . .

ابنتي العزيزة: **إن هذه الشدّة وهذا العنف منشؤهما الجهل والضعف** وإذا استطعت توفير سبل المعرفة والاطلاع على الأصول والمبادىء التربوية لوالدتك فإنها بالتأكيد ستغير من تصرفاتها الخاطئة وحبذا لو استطعت تزويد والدتك بالكتب الأخلاقية والتربوية. قد تستطيعين أن تبعثي رسالة إلى جمعية الآباء والمدرسين في

---

(١) المصدر السابق، والخُرق هنا بمعنى الشدة.

مدرستك دون أن تذكري اسمك وعنوانك وتطلبي منهم أن يقدموا المزيد من النصائح والتوجيهات إلى الآباء والأمهات خلال الاجتماعات العامة التي تعقدها هذه الجمعية. ونحن من جانبنا نأمل أن تكون تلك النصائح مفيدة ومثمرة.

شكراً لك يا ابنتي على ثقتك بي وطرح مشكلتك عليَّ. حاولي أن تكوني أُماً لوالدتك، عرّفيها أكثر وأكثر على الأخلاق والتصرفات الحسنة.

وفقك الله

الفصل (٧٤)

عليكم أن تنظموا لدى أبنائكم صفة الطلب

أتدرون كيف يزرع الفلّاح الزهور؟ فكما أن الفلاحة لها أصولها وقواعدها، فإن تربية وتنشئة الفرد أيضاً لها أصولها وقواعدها. فالمربّون (الأب أو الأم أو المعلم والأستاذ) يجب أن يعرفوا أصول وقواعد تربية وتنشئة أبنائهم وجميع الأطفال الذين يتولون تربيتهم وعلى ضوء ذلك يضعوا في كل فصل من الفصول برنامجاً معيناً لهؤلاء الأطفال. ولكن التقصير من جانب المربّي وعدم تمتعه ببعد النظر يجعل الطفل يواجه الخمول والذبول وينمي في نفسه وأعماقه الأشواك بدل الأزهار والرياحين.

الرسالة التالية تتضمن نموذجاً لهذه الحالة:

الرسالة: . . . المشكلة التي أواجهها هي ابنتي التي تدرس في الجامعة وهي فتاة رائعة الجمال وذكية ولكنها سيئة الأخلاق كثيرة الطلبات مغرورة ومعتدّة بنفسها وكلما تتقدم في دراستها وتزداد معلوماتها تزداد أخلاقها سوءاً. إنها مغرورة إلى درجة أني أنا والدتها لا أجرؤ أن أتكلم معها أي كلام، لأنها تنزعج وتتأثر بسرعة وتقاطعني ولا تتكلم معي لعدة أسابيع. إني أسألكم إذا كنت لا أرشدها إلى التصرف الصحيح والتصرف غير الصحيح فمن سيرشدها ويوجهها إذاً؟ وعندما تعود إلى البيت بعد الظهر لا تسلّم عليّ ولا تبدي أي احترام لوالدها ولا تتصرف بشكل لائق مع إخوتها وأخواتها الأصغر منها. . .

يشهد الله أن والدها لم يقصر في حقها أبداً ولم يتوانَ عن تلبية كل ما تطلبه وتريده منذ أن كانت طفلة وحتى الآن ولكنها بدل أن تعرب عن شكرها تذكرنا دائماً بالملابس الغالية الثمن التي ترتديها صديقاتها وتقول لنا دائماً: صديقتي الفلانية اشترت ثوباً (فستاناً) قيمته... البنت الفلانية اشترت أساور ذهبية قيمتها... والفتاة الفلانية تلبس العقد الفلاني والخواتم الذهبية الفلانية... إنها لا ترى ما لديها بل تنظر إلى ما عند الآخرين. إنها لا تقوم بأي عمل داخل البيت وبالطبع فأنا لا أطلب منها أن تقوم بشيء لأني أعلم أنها مشغولة بالدراسة.

توضيح ورد: أيتها الأخت الكريمة يبدو أن لديك مشكلة وهي ابنتك ولكن ابنتك هذه التي تصفينها بأنها جميلة وقبيحة في نفس الوقت لديها مشلكة أيضاً. أتدرين ما هي مشكلتها؟ أتدرين لماذا لا تتحسن أخلاقها وتصرفاتها رغم تطورها وتقدمها في الدراسة؟ إن مشكلتها هي والدتها، التي كانت تعتبرها البنت الوحيدة وبالتالي لم تسمح لها بالقيام بأي عمل. كما أن مشكلتها هي والدها الذي وفّر لها كل ما طلبته منذ صغرها وحتى الآن ولم يتوانَ عن تقديم أية خدمة لها (ولكن ما قام به هذا الوالد من أجل ابنته لا يمكن أن نسميه خدمة لها بل هو ظلم لها).

١ ـ أيتها الأخت الكريمة: ليس من أصول التربية أن يسمح الفلاح لأية حشائش ضارة بأن تنمو وتكبر ويقوم بسقيها والاعتناء بها. إن طلبات الأبناء مثلها كمثل تلك الطفيليات التي تنمو داخل قلوبهم ويجب أن يقصها الفلاح بمقصّه ويجتثها من جذورها حتى بعض الأعشاب التي هي غير ضارة ولكنها غير ضرورية يجب على الفلاح أن يقتلعها من جذورها لكي يصبح قلب الابن نظيفاً من كل القبائح والشرور.

لقد كنت أنت وزوجك (والدها) السبب في زرع بذور السوء والشرّ في وجود ابنتك بعد أن سمحتما لتلك الأعشاب الضارة بالنمو والتكاثر من خلال الاستجابة لجميع طلباتها والآن فإنك تشتكين من أن ابنتك سيئة الأخلاق كثيرة الطلبات عصبية المزاج حساسة سيئة التصرفات عديمة الرضا.

٢ ـ إن طفلك إذا أعطيته كل ما يريد من طعام وشراب يمرض لأن تماديه في

الأكل والشرب يجعله سيىء الحال أبلهاً كثير الطلبات لا يشبع. وعندما يصبح الطفل حريصاً على الأكل ويطلب المزيد من الطعام فيجب في هذه الحالة أن نعلمه آداب وأصول تناول الطعام وهي أن يبدأ تناوله بترديد عبارة بسم الله الرحمن الرحيم وأن تكون اللقمة الأولى التي يتناولها صغيرة مهما أمكن. ويتناول الطعام بيده اليمنى ويمضغه جيداً ولا يتناول لقمة أُخرى إلا بعد أن يبتلع الأولى. وعليه لا ينظر إلى الآخرين وهم يأكلون وأن يكف عن تناول الطعام قبل أن يشبع تماماً ويشكر الله ولا يجلس إلى المائدة إلاّ وهو جائع.

فعندما تنشأ لدى الطفل الرغبة الجامحة في الطلب والحصول على ما يريد فإننا إذا قمنا بتلبية جميع طلباته ورغباته يصبح مريض النفس حريصاً وولعاً يتصف بالشراهة وطلب المزيد كما أنه يصبح كثير الطلبات يشعر باستمرار بالجوع النفسي ويعاني من حالة عدم الرضا. إذاً علينا في هذه الحالة أن نقوم بتوجيه صفة الطلب عند أولادنا مثلما نقوم بتوجيه غريزة الأكل لديهم وعلينا أن نعلّمهم آداب الطلب ـ التي هي كآداب الأكل ـ وهم في مرحلة الطفولة ومرحلة المراهقة ـ لنضمن سلامتهم النفسية لكي لا تلحق الأمراض الخلقية والنفسية الأذى بهم وبأسرتهم.

٣ ـ لا بأس أن تعلم ابنتك الذكية بأن الإنسان خلق هلوعاً فهو كائن محتاج ومتطلب وأن متطلباته واحتياجاته ليس لها حدود ولا يشبعها إلاّ مصدر الفيض الإلهي وثروة ولطف الباري تعالى اللذين لا نهاية لهما. فذلك الينبوع الإلهي هو الذي يروي ظمأ القلوب البشرية ويمنحها الهدوء والاستقرار. وإذا لم يتجه القلب إلى ذلك الينبوع الفياض فإنه يبقى ظمآناً حيث ما توجه ويبقى معذباً بنار العطش وحرقة الظمأ ونراه يلجأ إلى هذا السراب وذلك سعياً إلى الماء ولكن هذا الإنسان حتى لو امتلك الكثير من الملابس والبدلات الغالية الثمن فإنه مع ذلك يرى نفسه عرياناً ومحتاجاً وحتى لو امتلك مئات القطع من المجوهرات والذهب مع ذلك يرى نفسه أنه لا يملك شيئاً، ومجرداً من أية جوانب جمالية وينظر إلى ما عند الآخرين من مال وثروة وهو من شدة العطش ينظر إلى الكؤوس التي يشرب منها الآخرون ويتحسر على ذلك.

* * *

حبذا لو نعلم جميعاً بأن قصة أخلاق وطباع هذه الفتاة الذكية الجميلة هي كقصة نفسنا. لأن نفسنا أيضاً مغرورة ومتكبّرة وكثيرة الطلبات وطمّاعة ومتمردة وغير شاكرة. إذا أطلقنا للنفس عنان ملذاتها ومتطلباتها فإننا نواجه الشقاء والبؤس وإذا تجاهلنا تمنياتها ولم نكترث لغضبها وسخطها ووقفنا بكل قوة وحزم أمام صفاتنا وسجايانا السيئة القبيحة فإن هذه النفس تتروض وتستسلم شيئاً فشيئاً وتصبح أخلاقها جميلة حسنة. وإذا كبحنا جماح النفس (هذه الفتاة) ومنعناها من التمرد والهياج من خلال تحميلها مشقة الجوع والصيام ومشقة الخدمة والعبادة، فإنها تهدأ وتستسلم شيئاً فشيئاً وتتصالح وتسلّم على الجميع وتشارك سائر أفراد الأسرة أفراحهم وأتراحهم وتصبح ودية ومسايرة ذات أخلاق طيبة وسامية. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [اقمعوا هذه الأنفس الحريصة لأنها تكمن لكم وإذا أطعتم النفس فإنها تجعلكم تواجهون أسوأ العواقب...][1].

بقية الرسالة: ... ورغم أنها تتصرف معي ومع سائر أفراد الأسرة بشكل سيء فإني أستقبل صديقاتها اللواتي تأتي بهنّ وتدعوهنّ إلى البيت ولا أدع زميلاتها يعرفن بأن ابنتي قطعت علاقاتها معي ومع جميع أفراد الأسرة. وإذا جاء إلينا من يريد طلب يدها والزواج منها فإنها ترفضه بمختلف الحجج والأعذار وتقول: إنه لا يليق بي.
أرجو منكم أن تقدموا النصح لها وتقولوا لها بأن تتزوج بأسرع ما يمكن لعلّ أخلاقها تتحسن وأرتاح أنا من كبريائها وغرورها وأخلاقها السيئة ومشاكلها...

توضيح ورد: أيتها الأخت العزيزة! إذا كان الرفق والمداراة والمساعدة والمحبة قد أعطت مثل هذه النتيجة فإنك مهما تصرفت معها برفق ومودّة ومحبة فسوف تزداد تمرداً وعصياناً وغروراً. ورغم أن: [الشدة من أقبح أساليب التربية] كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فعندما لا ينفع الرفق ولا تنفع النصائح المتكررة فمن المفيد استخدام أسلوب الحزم والشدة. والنقطة الأُخرى التي أريد أن أشير إليها في هذا المجال هي أنك ليتك أقدمت على تزويج ابنتك في وقت

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

مبكر ولم تتأخري في موضوع زواجها حتى بلغت هذه السن، فقد يكون سبب سوء خلق ابنتك وحساسيتها الزائدة وتصرفاتها الحادة هذه، هو حاجتها إلى الزواج. ولكن أي زوج يستطيع أن يعيش مع ابنتك حياة هادئة موفقة وهي بهذه الخلق والصفات السيئة التي ذكرتها؟! نسأله تعالى أن يوفقنا ويعيننا على تربية أنفسنا ويمنحنا السيطرة على أهواء النفس.

وفقك الله.

الفصل (٧٥)

دور العدالة في تربية الأبناء

العدالة من أعذب وأطيب المشروبات

الماء البارد يكون عذباً ولذيذاً بالنسبة للشخص الظمآن، ينعشه ويبعث فيه الحياة. ولكن هل هناك مشروب أعذب من الماء؟ العسل حلو جداً ومطلوب، ولكن هل هناك شيء أحلى وأطيب من العسل؟ نعم، العدالة هي أعذب وأحلى المشروبات والمآكل. فهي أحلى من العسل وأكثر عذوبة من الماء بالنسبة للأشخاص العطاشى والذين يحترقون بنار الظلم. لقد بعث الله الأنبياء ليطفئوا نار الظلم ويصبّوا من شراب العدل الإلهي في أفواه العطاش ويُبلسموا جروح المحترقين بنار الظلم. إذن فإن إرساء دعائم العدل وترسيخ جذور شجرة العدالة المثمرة واليانعة هو أحد أهم الأهداف السامية التي يسعى الأنبياء لتحقيقها. كما أن الرسول الأكرم ﷺ أمر بإقامة القسط والعدل بين الناس لقد أمرنا الرسول ﷺ أن نقيم علاقاتنا الاجتماعية والأُسرية أولاً على أساس العدالة والقسط وأن نتجنب أي ظلم. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: [أبصر رسول الله ﷺ رجلاً له ولدان فقبّل أحدهما وترك الآخر فقال ﷺ: «فهلاّ واسيت بينهما؟!»][1].

إن من أكثر الأساليب عدالة هو أن نعامل الناس ونعامل أبناءنا ونعامل الجميع بالأسلوب الذي نحبّ أن يعاملونا به، أي أن لا نرضى للآخرين بما لا نرضاه لأنفسنا وأن نحب ونرضى للآخرين ما نحبه ونرضاه لأنفسنا. وإذا ما تعاملنا مع الآخرين على هذا الأساس وجعلنا تعاملنا قائماً على أساس العدل والمساواة

---

(١) بحار الأنوار ج٧٤ ص ٨٤. ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٦.

والإنصاف عندها نكون قد حظينا بمحبة ورضا الله ومحبة ملائكته وجميع الناس في هذه الدنيا. إذن فإن الالتزام بالعدالة وتجنب الظلم والتمييز ـ الذي هو تصرف غير مشروع ومؤذٍ ـ في محيط البيت والأسرة وعلى صعيد العلاقات العائلية والاجتماعية يعتبر من أهم الواجبات التي تقع على عاتق الجميع ولا سيما الكبار. فالآباء والأمهات عليهم أن لا يمارسوا الظلم والتمييز فيسببوا الانزعاج والأذى لأبنائهم وذلك لكي يحافظوا على مكانتهم بين أبنائهم ويحظوا باحترام الأبناء ومحبتهم بشكل دائم ولكي يوفقوا في جهودهم لتربية الأبناء وإرشادهم وتوجيههم. ومن أجل أن يعرف الآباء والأمهات ما هي التصرفات التي تعتبر ظلماً بحق الأبناء وما هي الأعمال التي تعتبر تمييزاً فيما بينهم، يجب عليهم أن يجعلوا أنفسهم ـ ولا سيما أحاسيسهم ومشاعرهم خلال فترة الطفولة وفترة المراهقة التي مروا بها ـ ميزاناً ومعياراً فلا يرضوا لأبنائهم بما لم يكونوا هم يرضوه لأنفسهم عندما مروا بنفس المرحلة من العمر.

عزيزي القارىء الرسالة التالية تبين لنا الآثار المؤذية والضارة التي تنجم عن التمييز بين الأطفال والأبناء داخل محيط الأسرة:

الرسالة: . . . **إني فتاة في السابعة عشرة من العمر أعيش في أسرة تسودها المحبة والوئام والتفاهم، والدي ووالدتي يتمتعان بدرجة عالية من الأدب والفهم والوعي والخلاصة فإن حياتي سعيدة بكل معنى الكلمة ولكن ما يؤذيني ويعذبني جداً هو التمييز الذي أعاني منه وأواجهه من قبل جدتي (والدة أبي) التي لديها ثلاثة أولاد أحدهم والدي. إن جدتي هذه تحب أولادها وأحفادها الآخرين أكثر بكثير من حبّها لي ولوالدتي، فهي عندما تعود من السفر تجلب معها الهدايا لهم وفي الأعياد تقدم الهدايا لأحفادها ولكنها عندما تأتي إلى بيتنا لا تقدم لنا أية هدايا. . . والحقيقة أننا منزعجون جداً لهذا التمييز ولا سيما والدتي.**

هذا على صعيد البيت، أمّا على صعيد المدرسة نجد مع الأسف مديرة المدرسة تمارس أقصى درجات التمييز بين الطالبات. . : مما أفقد هؤلاء الطالبات أي شعور بالمحبة والصداقة تجاهها حيث بتن ينفرن منها وهي

التي من المفترض أن تكون موضع احترام وثقة الطالبات ومستودع أسرارهن.

١ ـ يا ابنتي العزيزة! كم كان جميلاً ورائعاً أن تعربي أولاً عن شكرك لجدتك التي ربّت لك في حجرها مثل هذا الأب الطيب ومن هذه الناحية فإن جدتك لها حق كبير جداً عليك وعلى والدتك.

٢ ـ لعل سبب هذا الجفاء بينك وبين جدتك يكمن في هذه النقطة بالذات وهي عدم شكرك أنت ووالدتك لها وقد يكمن أيضاً في تعامل والدتك الجاف معها وعدم إظهارها للمحبة تجاهها. وعليك أنت أن تنبهي والدتك إلى هذه الناحية المهمة جداً. ونحن نسأل لو أن والدتك كانت تعامل جدتك بمحبة وتبتسم في وجهها وتعرب لها عن شكرها وامتنانها وتستقبلها في بيتها بكل صدق وإخلاص، فهل كانت جدتك تتصرف معكم بهذا الشكل؟

٣ ـ على أية حال إننا نوصي الكبار ـ ولا سيما جدتك ـ بأن يظهروا محبتهم لأبنائهم وأحفادهم ويأخذوا بعين الاعتبار مشاعرهم الرقيقة وأحاسيسهم المرهفة. ووصيتي لك يا ابنتي العزيزية ولكل المراهقين والشباب هي أن تجعلي نفسك أسمى وأنبل من أن تقارنيها مع الآخرين وأن تنظري إلى شؤون الحياة من قمة الكرامة والحِلم، وحبذا لو قلت في نفسك: ما هو الواجب الملقى على عاتقي؟ هل قمت بهذا الواجب؟

سوف أتطرق إن شاء الله فيما بعد إلى موضوع التمييز بين الطلبة في المدارس وآثاره الضارة وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية القيام بهذا الواجب.

شكراً لك مرة أُخرى على رسالتك وأرجو أن تقيمي دعائم حياتك المستقبلية على أساس العدل والكرامة والإحسان.

الفصل (٧٦)

حقوق الطفل

عاملوا أبناءكم على أساس العدالة والمساواة

الطفل هو برعم الحياة الطاهر وربيع الخلقة الجميل وقد أمرت الأديان الإلهية بحماية الأطفال والاعتناء بهم وإظهار المحبة لهم وتربيتهم تربية صالحة وقررت لهم حقوقاً معينة. والدين الإسلامي الحنيف أوصى بدوره بإكرام الأطفال كما أوصى الآباء والأمهات وأولياء الأطفال بتربية أطفالهم وتعليمهم والسعي الحثيث لتأديبهم.

وقال رسول الله ﷺ: [أكرموا أولادكم وأحسنوا تربيتهم ليغفر الله لكم][١].

وقال النبي الأكرم ﷺ أيضاً: [أحسنوا تسمية أبنائكم وادعوهم بالاسم الحسن وأحسنوا تربيتهم[٢] وأرشدوهم إلى الله تعالى والصفات الإلهية][٣].

وقال ﷺ أيضاً: «رحم الله والداً أعان ولده على طريق الخير» فقيل وكيف ذلك يا رسول الله. قال: «أن لا يكلفه بما لا يطيق ويتجاوز عما لا يقدر عليه ويتجنب الشدة في تربيته»[٤].

---

(١) ميزان الحكمة عن كنز العمال.
(٢) بحار الأنوار ج٧٤.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق عن علي بن الحسين عليه السلام.
(٤) الإسلام وحقوق الإنسان.

كما أوصى الرسول ﷺ بتطبيق العدالة والمساواة بين الأبناء وأكّد على ذلك حيث قال: [اعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف][1].

نعم، لقد أوصى النبي ﷺ كثيراً بالتعامل بين الأبناء جميعاً (الذكور والإناث) على حدٍ سواء وفقاً لمبادىء العدالة والمساواة لا سيما في فترة الجاهلية المظلمة حيث لم يكونوا يعترفون بأية حقوق لا لصغير ولا لكبير وكانوا يعتبرون وجود البنت خزياً وعاراً عليهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى نمط التفكير الجاهلي هذا فقال تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: **﴿وإذا بُشّرَ أحدُهُم بالأنثىٰ ظَلَّ وَجهُهُ مُسودّاً وهو كظيمٌ * يتوارىٰ من القوم من سُوءِ ما بُشِّرَ به، أيُمسِكُهُ علىٰ هُونٍ أم يدُسُّهُ في التراب ألا ساءَ ما يَحْكُمُون﴾**[2].

في تلك الفترة المظلمة انبرى الرسول ﷺ للدفاع عن حقوق هذا الطفل البريء، فأعلن بكل صراحة بأن هذا التصرف الجاهلي الذي تحكمون به وتنتهجونه هو تصرف قبيح وأسلوب شائن ومذموم. وقد خاطب النبي ﷺ عرب الجاهلية بالقول: [اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم][3].

وقال ﷺ: [ساووا بين أولادكم في العطيّة، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضّلت النساء][4].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: [نعم الولد البنات المخدّرات من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً من النار][5].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ [من دخل السّوق فاشترىٰ تحفة فحملها إلى عياله. كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور

---

(١) سفينة البحار ج٢. بحار الأنوار ج١٠٤ ص ٩٣.
(٢) سورة النحل الآيتان ٥٧ و٥٨.
(٣) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٦ ح ٢٢٣٥٩.
(٤) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٦ ح ٢٢٣٦٤.
(٥) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٦ ح ٢٢٣٥٧.

فإنَّ من فرّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ومن أقرّ عين ابنه فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله أدخله الله جنات النعيم][1].

والآن لاحظوا هذه الرسالة التي تحكي بقايا تلك الجاهلية المظلمة التي كانت سائدة في عهد الرسول ﷺ :

الرسالة: . . . إني بمثابة أختكم الصغيرة. أريد أن أشكو لكم همّي إذا سمحتم. لقد تزوجت قبل عدة سنوات وبدأت حياتي مع زوجي بأمل وشوق وسعادة ولكن شيئاً فشيئاً بدأت تظهر عليه بعض الصفات القبيحة والانحرافات الخلقية مما جعلني أفقد الأمل وأُصاب بالحزن واليأس: إن زوجي ومع كل الأسف لا يصلّي ولا يصوم ولا يؤدي الواجبات الدينية ويستهزىء بكل شيء حتى إنه ينكر وجود الله تماماً في بعض الأحيان ويتفوه بكلام بذيء وسخيف. إنه شخص مغرور ومعتد بنفسه كثيراً بحيث إني لا أجرؤ أن أتحدث معه بكلمة واحدة وهو يحاول أحياناً أن يبرز ويثير الجوانب اللاإيمانية في شخصيته أمامي لكي يؤذيني ويجرح مشاعري. إني لا أجرؤ حتى على أداء واجباتي الدينية كالصلاة والدعاء عندما يكون زوجي موجوداً في البيت وعندما يراني أصلي يستهزىء بي ويسبب لي الكثير من المضايقات والإزعاج.

وقد تحسنت أخلاقه قليلاً عندما أنجبت له طفلي الأول وكان صبياً حيث أخذ يصلّي لفترة من الوقت وصار يسمح لي بين الحين والآخر بالذهاب إلى بيت والدي ولكن بعد سنوات من إنجابي لهذا الصبي رزقنا الله بطفلة أخرى هذا الحدث جعل حياتي تنقلب رأساً على عقب. ذلك أن زوجي ووالدته وأخته وجميع معارفه وأقربائه يكرهون البنات أشدّ الكره. . . وأثر ذلك ترك زوجي الصلاة وظل فترة على مدى ثلاثة إلى أربعة أشهر متواصلة لا ينظر إليّ وإلى طفلتي وكان طوال هذه الفترة ينهرني ويصرخ في وجهي. كما أن والدته وأخواته كن يستهزئن بي ويوجهن لي الانتقادات اللاذعة والجارحة وكان أهله يقولون له: عليك أن تدسّ طفلتك في

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق ووسائل الشيعة جزء ٢١.

التراب وتطلق زوجتك.

نقول لهذه الأم وتلك الأخت: أنتما تقولان بأن البنت (الأنثى) يجب أن توأد أي تدفن وهي حية وهذا الكلام يسيء إليكما بالدرجة الأولى وأنتما تستهينان بطفلة هي أنثى مثلكما وبالتالي فإنكما عندما تحقّران وتستهينان بهذه الطفلة إنما تحقران نفسيكما في الحقيقة وتستهينان بهما باعتباركما أُنثيين. وإذا كان لا بد من وأد هذه الطفلة والتخلص منها فالأولى أن يتم وأدكما أنتما والتخلص منكما. وفي نفس الوقت علينا أن ننصح والد هذه الطفلة ونذكره بقول الرسول ﷺ في هذا المجال: عن حمزة بن حمران يرفعه قال: أتى رجل وهو عند النبي ﷺ فأخبر بمولودٍ أصابه فتغيّر وجهُ الرجلِ فقال له النبي: ما لك؟ فقال: خير، فقال: قُل قال: خرجتُ والمرأة تمخض فأُخبرت أنها ولدت جارية، فقال له النبي: الأرض تقلّها، والسماء تظلّها والله يرزقها وهي ريحانة تشمّها...[1].

عن الجارود بن المنذر قال لي أبو عبد الله عليه السلام: بلغني أنه ولد لكَ ابنة فتسخطها! وما عليك منها، ريحانة تشمها وقد كُفيت رزقها و[قد] كان رسول الله ﷺ أبا بنات[2].

لقد كان للنبي ﷺ أربع بنات وكان يكنّى بـ«أبي بنات» وهذه هي إرادة الله سبحانه وتعالى حيث يعطي للبعض ذكوراً وللبعض الآخر إناثاً وذلك لكي تتواصل عملية التناسل ويستمر بقاء البشرية الذي يقوم على أساس رابطة الزواج بين الذكر والأنثى وتستمر بالتالي الحياة بسعادة وهناء في ظل وجود الرجل بما يمثله من قوة وصلابة ووجود المرأة بما تمثله وتجسّده من لطافة الروح والعطف والحنان. يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿للهِ مُلكُ السَّمٰواتِ والأرضِ يَخلُقُ ما يشاءُ يَهَبُ لِمَن يشاءُ إناثاً ويَهَبُ لِمَن يشاءُ الذكور أو يزوّجُهُم ذُكراناً وإناثاً ويَجعلُ من يشاءُ عَقيماً إنَّهُ عليمٌ قديرٌ﴾**[3].

والآن نتابع بقية ما جاء في رسالة هذه الأخت الكريمة:

---

(١) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٠٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٧٠٥.

(٣) سورة الشورى، الآيتان ٤٨ و٤٩.

رسالة: . . . واستمر زوجي في إيذائي والاستهزاء بي وتحقيري. . . ولم يمض وقت طويل حتى شاءت إرادة الله أن أصبح حاملاً مرة أخرى وبعد ذلك أنجبت بنتاً أخرى. . . وعندما علم زوجي بذلك تفجّر غضباً وترك المنزل لمدة شهر تقريباً حيث مرّت عليّ فترة لم يكن عندنا قطعة خبز نأكلها. . . وخلال هذه الفترة واجهت الكثير من الآلام والصعوبات وسمعت الكثير من اللوم والانتقادات اللاذعة والكلام الجارح ولكني تحمّلت كل ذلك من أجل بناتي ولكي لا يعشن من دون أم. لقد ذكرتم في إحدى حلقات برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة» بأن المرأة التي تترك بيت زوجها ليست وفية لزوجها وأولادها، ولكن يعلم الله بأني لست عديمة الوفاء ولا أريد أن أترك بيتي. إنني الآن حامل في شهري الرابع وأخاف من الولادة خوفاً شديداً ويعلم الله أني أُصاب بأرق شديد في الليل. أفكر في مصيري ومستقبلي ومستقبل الطفل الذي في بطني. زوجي منذ الآن يقول لي: الويل لك إذا أنجبت لي بنتاً. إذا كان المولود أنثى لا يحق لك العودة إلى البيت، عليك أن تغادري المستشفى إلى بيت أمك. . . ولذلك فإني قررت إذا أنجبت بنتاً هذه المرة أيضاً بأن لا أعود إلى بيتي رغم علمي بأن ذلك سيجعل بناتي يعشن حياة مأساوية وإني أرى في وجوههن البؤس والشقاء منذ الآن. . .

حقاً ما تقولين أيتها الأخت الكريمة، إنك لست عديمة الوفاء بل زوجك هو الذي لا وفاء له (وهو إلى جانب ذلك عديم المروءة وعديم الكرامة والغيرة) لأنه يقول لك: «لا يحق لك بعد الآن العودة إلى بيتك». الله تبارك وتعالى لم يكلفك أكثر من طاقتك ووسعك. ولكن عليك أن تصبري وتتحملي ما استطعت ذلك حتى تربّي أطفالك وبناتك في حجر طاهر نظيف ويكبروا ويترعرعوا في ظل إيمانك ومحبتك وعطفك ويسيروا باتجاه مستقبل مشرق وضّاء. ليكن أملك بالله كبيراً وكوني على ثقة بأن الباري سبحانه وتعالى لن يتركك وحدك. فالله تبارك وتعالى أشاد في القرآن الكريم بامرأة فرعون ـ آسية بنت مزاحم ـ (هذه المرأة الصالحة التي عاشت في منزل فرعون الكافر الذي ادّعى الألوهية وأنكر وجود

الله)[1] يقول عز من قائل في محكم كتابه العزيز: **﴿وضربَ الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رَبِّ ابن لي عندكَ بيتاً في الجنةِ ونجّني من فرعونَ وعَمَلِه ونجّني من القومِ الظالمين﴾**[2].

نعم، لقد حافظت امرأة فرعون على إيمانها بالله وهي التي قامت بتربية موسى عليه السلام وهو طفل صغير في بيتها حتى كبر ونما وترعرع (وهو العدو اللدود لفرعون). وهنا يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿وقالت امرأة فرعونَ قُرّتُ عينٍ لي ولكَ لا تقتلوهُ عسىٰ أن ينفعنا أو نتّخذَهُ ولداً وهم لا يشعرون﴾**[3].

وأنت أيتها الأخت الكريمة، يا من لديك مثل هذا الهدف النبيل وهذه النية السامية وتريدين تربية أطفالك تربية صالحة ليصبحوا أفراداً مؤمنين مصلّين. إن أجرك سيكون كأجر «آسية» زوجة فرعون ولعل فرعون لم يتصرف مع أبنائه بمثل هذا التصرف القبيح والظالم الذي قام به زوجك تجاه أطفاله وبناته كما تذكرين في رسالتك:

الرسالة: ... **أقول حتى الأشخاص الغرباء عن بعضهم البعض لا يتصرفون كتصرف هذا الأب مع بناته، فهو يطعم ابنه اللحم المشوي أمام أعين بناته وعندما يطلبن منه أن يعطيهن قليلاً من ذلك اللحم المشوي فإنه ينهرهن ويصرخ في وجوههن ويضربهن على أيديهن ويستمر في تناول اللحم المشوي هو وابنه أمام أعين بناتي المغرورقة بدموع الحسرة والتأثر. المحبة التي يظهرها لابنه أمام أنظار بناته تجعلني أتألم كثيراً وأتمنى لو أن أمي لم تلدني لأرى ما أراه.**

---

(١) المترجم.

(٢) سورة التحريم، آية ١٠.

(٣) سورة القصص، الآية ٩. (إن قصة موسى عليه السلام مذكورة بالتفصيل في القرآن الكريم وفي كتب التفسير حيث إن فرعون أُنبِيء بولادة موسى(ع) وأنه نبي وسيقضي على عرشه فأمر فرعون بقتل كل مولود ذكر وقد ولد موسى(ع) في نفس ذلك العام فخافت عليه أمه من القتل فوضعته في صندوق وألقت به في النهر فجاءت أمواج النهر بذلك الصندوق قريباً من قصر فرعون فالتقطته زوجة فرعون وفتحته فوجدت فيه موسى(ع) وهو طفل رضيع فأخذته وأقنعت فرعون بالاحتفاظ بالطفل وعدم قتله)..

صدقوني إذا قلت، إن زوجي لم يشتر أية ملابس لبناته منذ ولادتهن وحتى الآن. ولكنه يأخذ ابنه بين الحين والآخر إلى السوق ويشتري له ما يريد من الملابس... إن ابنتي الكبيرة لها الآن من العمر... عاماً وهي باتت تدرك هذه الأمور جيداً وتقول لي أحياناً: يا أمّي لماذا والدي لا يحبني أنا وشقيقتي الصغرى؟! لماذا يحتضن شقيقي ويقبله ويلاعبه ولا يفعل معنا نفس الشيء؟! ألسنا أصغر سناً من شقيقنا!... بالله عليكم قبل أن يأتي طفلي إلى الدنيا انصحوا زوجي. أجيبوا على سؤالي. أرشدوني وقولوا لي ماذا أفعل؟ أقولها مرة أُخرى: إني لست أمّاً عديمة الوفاء والمحبة، ولكن جميع الطرق باتت مسدودة أمامي، ماذا أفعل؟!... أرجوكم أن لا تذكروا اسمي ولا اسم مدينتي ولا تنشروا رسالتي كما هي، أجروا عليها بعض التغييرات حتى لا يعرف زوجي بذلك فيقيم الدنيا عليّ ولا يقعدها.

وفقكم الله، والسلام عليكم

أيتها الأخت العزيزة! إن القلب الذي يمتلىء بالغرور والغفلة تغادره الرحمة والشفقة ونور المودة والصفاء. إن الغفلة عن ذكر الله تجعل القلب قاسياً لا رحمة فيه، كما أن الابتعاد عن نبع التفكّر وذكر الله يجعل القلب ظمآناً ميتاً ويصبح مثل هذا الشخص كالحيوان بل أسوأ من الحيوان. يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لَهُم قلوب لا يفقهون بها ولَهُم أعينٌ لا يبصرون بها ولَهُم آذانٌ لا يسمعونَ بها أولئكَ هم الغافلون﴾**[1].

ماذا نستطيع أن نقول لزوجك الذي يستهزىء بكل شيء ويؤلم قلوب أطفاله الأبرياء ويؤذيهم بهذا الشكل؟! إنه يظلم ابنه كما يظلم بناته. ماذا بإمكاننا أن نقول لشخص لا يعترف بأي حق من حقوق الآخرين ولا يعيرهم أي احترام؟ حبذا لو أن أحد أقرباء زوجك أو أحد أصدقائه ومعارفه يقرأ هذه الرسالة وينصح من هم على شاكلته ويحذره من عواقب هذه التصرفات وهذا الظلم الذي يمارسه بحق زوجته وأطفاله وبالتالي ينقذه من هذا الظلام. إننا نذكّر هذا الزوج بقول رسول

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٨.

الله ﷺ: [اتّقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة][1] ونحذره من العذاب الأليم الذي ينتظره يوم القيامة إلى جانب الذلّ والعار الذي سيلحق به في الدنيا من جراء تصرفاته الشائنة هذه. حبذا لو كان هناك شخص مفكر واعٍ يعيد هذا الزوج إلى رشده ويضيء مصباح عقله ووجدانه الذي هو على وشك أن ينطفىء.

كان يجب على والدك ووالدتك وقبل أن يوافقا عل تزويجك من هذا الرجل، أن يحققا ويسألا عنه كثيراً، عن أخلاقه ودينه ومدى التزامه بواجباته الدينية وكان المفروض بوالديك أن لا يصدقا كلام والدة زوجك هذه المرأة المحتالة التي جاءت إليكم لتخطبك إلى ابنها. وليتهما لم يزوجاك من شخص تارك للصلاة ومستهزىء بالعبادات والواجبات الدينية.

الرسول ﷺ يقول: [ملعون من زوج ابنته إلى تارك الصلاة][2].

ماذا نتوقع من شخص لا يراعي حق الله؟! رغم كل ذلك لا بأس أن تستشيري إمام جماعة المسجد القريب من بيتك فهو رجل روحاني وعالم ديني ورع ومفكّر وتطلبي مساعدته فهو رجل قدير على حل الكثير من المشاكل. وإني على ثقة بأن الله سيساعدك في هذا الأمر نظراً لصدق نواياك وأن توجيهات إمام جماعة هذا المسجد ستكون مفيدة لك ولزوجك.

لعلك أيها القارىء الكريم قد اطلعت خلال حياتك على بعض حالات الظلم والتمييز بين الأطفال ولعلك أنت أيضاً عانيت منهما في طفولتك وذقت طعمهما المرّ، ولكنك ماذا فعلت الآن للدفاع عن حقوق الأطفال وإقامة العدالة؟ ألسنا كلنا مسؤولين؟؟

---

(١) أصول الكافي ج٢.

(٢) مكارم الأخلاق.

الفصل (٧٧)

حقوق الطفل

إكرام الأطفال وتربيتهم تربية صالحة وحسنة من الواجبات الإلهية

لقد أوصى رسول الإسلام محمد المصطفى ﷺ بإكرام الأطفال وتربيتهم تربية صالحة حيث إن سعادة البشرية ومستقبلها مرتبطان بهذا الأمر الإلهي. فالنبي ﷺ نفسه كان يحترم الأطفال ويكرمهم ويسلّم عليهم حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: [خمس لا أدعهن حتى الممات.. وخامسها التسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي][(١)].

ولكي تدرك عزيزي القارىء نورانية وعظمة هذا الأمر الإلهي الذي أكده وأوصى به الرسول الأكرم ﷺ بخصوص احترام الأطفال اقرأوا الرسالة التالية ثم قارنوا تصرفات هذا الأب مع ما أمر به النبي ﷺ:

الرسالة: ... والدي رغم أن معه مفتاح البيت ولكنه عندما يعود من عمله يطرق باب البيت باستعجال، وعندما أنادي من الطارق؟ يجيبني من خلف الباب: إفتح الباب أيها الأحمق! لماذا لا تفتح الباب؟ ألا تعلم بأني أنا الطارق؟! إني أسأل، هل أرى خلف الباب لكي أعرف بأن والدي هو الذي يطرق الباب؟ وأحياناً لا أقول: من الطارق؟ وأقوم بفتح باب البيت.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٦ ص ١٠.

وعندما يدخل والدي إلى البيت، أسلّم عليه فيرد على سلامي بضجر وانزعاج ويقول لي: أيها الأبله! لماذا فتحت الباب دون أن تسأل من الطارق؟ لعل الطارق كان شخصاً غريباً لا تعرفه...!

وأحياناً يفتح الباب بمفتاحه ويدخل البيت بكل هدوء بحيث إن والدتي تفزع أحياناً لمشاهدته وسط البيت وعند ذلك يبدأ الشجار والنزاع والقيل والقال. حيث يصرخ والدي قائلاً: ماذا حدث؟! لماذا فزعتم لمشاهدتي؟! هل ملامحي مرعبة ومخيفة إلى هذا الحدّ؟...

الإمام الصادق عليه السلام مبيّن السنة المحمدية الأصيلة يقول: [يسلم الرجل إذا دخل على أهله وإذا دخل يضرب بنعليه ويتنحنح يصنع ذلك حتى يؤذنهم أنه قد جاء حتى لا يرى شيئاً يكرهه][1].

السلام هو تصرف حسن وترحيب مبارك أمر به الله تبارك وتعالى ولا سيما ردّ السلام فإنه واجب. يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: **﴿وإذا حُيّيتم بتحيّةٍ فحيّوا بأحسن منها أو رُدُّوها إنَّ الله كانَ علىٰ كل شيءٍ حسيباً﴾**[2].

علينا أن نسأل هذا الأب: أليس نبيك هو رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله؟ إذا كنت تؤمن به، فلماذا لا ترد على سلام ابنك بمثله أو ترد عليه بتحية أجمل وأكثر وقعاً؟ لماذا لا ترد السلام؟ وليتك اكتفيت بعدم رد السلام ولم ترد على سلام ابنك بكلام بذيء وعبارات نابية؟ إن الكلام البذيء يا أخي الكريم ليس من أخلاق الشخص المسلم. والآن عزيزي القارىء اقرأ ما جاء في الرسالة التالية التي بعثت بها إلينا أخت كريمة وقارن تصرفات هذا الأب مع تصرفات الأب الذي أشرنا إليه من قبل:

الرسالة: ... عندما يطرق زوجي باب البيت وأنادي: من الطارق؟ أسمعه يسلّم وهو خلف الباب وبصوت ملؤه العطف والمحبة والاحترام. عند ذلك أفتح الباب وأستقبله بنفسي وإذا كنت مشغولة في أعمال البيت، فإنه

---

(١) بحار الأنوار ج٧٦ ص ١١.

(٢) سورة النساء آية ٨٦.

وبمجرد أن يدخل البيت يسأل الأولاد، أين أمكم؟ ثم يسلّم على أولاده ويسأل عن أحوالهم ويفرحهم بشيء ما. ورغم أن راتب زوجي محدود ولكن حياتنا ومعيشتنا تسير على ما يرام والحمد لله وذلك بفضل قناعتنا.

وهذا أيضاً أسلوب آخر في العيش حيث يعيش هذا الزوج مع أفراد عائلته حياة سعيدة جميلة هانئة وذلك باتباع السنة المحمدية الكريمة، فالوالد يدخل بيته وبيده باقة ورد من الفرح والسرور وهي تفوح بعطر المحبة والإكرام فيقدمها هدية لزوجته وأطفاله ويزرع بذلك في قلوبهم الفرح وفي عيونهم الأمل ويجعل الحياة حلوة وجميلة في أذهانهم وذلك من خلال ابتسامته الأبوية وسلامه الدافيء.

كونوا على ثقة بأن أي شخص ـ أو أية أسرة ـ تبني تصرفاتها وأعمالها على أساس الإيمان بالله والالتزام بسنة رسول الله فإن الحياة تصبح بالنسبة لذلك الشخص أو تلك الأسرة حلوة وجميلة وممتعة. ونحن كلنا أمل في أن توجدوا في داخلنا ذلك الحافز وتلك الهمّة والنشاط لكي نطهر قلوبنا ونفوسنا من التصرفات والممارسات الجاهلية ونضيئها بأنوار تعاليم وتوجيهات رسول الله ﷺ تلك التعاليم الإلهية السامية ونجعل حياتنا نظيفة ونزيهة وحياة أبنائنا وأفراد أسرتنا وحياة جميع الناس الآخرين جميلة وسعيدة وهانئة.

الفصل (٧٨)

نمّوا في أبنائكم الشعور بالكرامة والقدرة والاستطاعة

كيف تتصرفون مع أبنائكم؟ كيف تنمون فيهم القناعة والإيمان بقوتهم واقتدارهم وكرامتهم؟

إن «المحبة والرحمة والوفاء» هي المبادىء والأصول الثلاثة التي يجب أن تقوم عليها تصرفاتنا وأساليبنا التربوية. يقول معلم البشرية نبي الرحمة محمد المصطفى ﷺ : [أحبوا الأطفال وعاملوهم برفق وأوفوا بوعودكم لهم][(١)].

ومن أجل أن تتكون عند أبنائكم الثقة الكاملة بأنفسهم وبقدراتهم وكفاءاتهم وتتجذر هذه الثقة في نفوسهم وفي أعماق وجودهم يجب أن تتعاملوا معهم خلال السنوات السبع الأولى من أعمارهم على أساس الرحمة والرأفة والتسامح والمحبة وأن تتجنبوا تماماً استخدام أسلوب الشدّة والعنف معهم وأن تتحلّوا بالصبر والتأني لما يصدر عنهم من أخطاء وهفوات وتقصير وفي نفس الوقت الذي تقومون فيه بمراقبة أخطائهم وزلاّتهم بكل متانة ولطف يجب أن لا تقولوا شيئاً يشعر معه أبنكم بالحقارة والإهانة عليكم أن لا تصرخوا في وجهه وتتصرفوا معه بطريقة تجعله يرتعد خوفاً وتنهار معنوياته. بل عليكم أن تمنحوه القدرة والاستطاعة لارتقاء سلّم المجد والرقي في هذه الحياة من خلال قبولكم بما يستطيع القيام به وتقديركم واستحسانكم لتصرفاته ومن خلال تشجيعه المستمر والتحدث معه بكلام يبعث فيه النشاط والحيوية وعليكم أيضاً بالقول والعمل أن تجعلوا أبناءكم يشعرون بعظم

(١) مكارم الأخلاق.

شخصيتهم وكرامتهم والقدرات والطاقات الكامنة فيهم وتعملوا على تنمية وتربية هذا الشعور فيهم. لنقرأ معاً هذه الرسالة التي تعكس التصرف الصحيح والمثالي من قبل هذه الأم الواعية مع ابنها المعوق:

الرسالة: ... عندما كنت طفلاً أُصبت بشلل في إحدى ساقيّ وذلك نتيجة حادث تعرضت له. وهذا الحادث لم يكن نتيجة تقصير أو إهمال من والديّ، لا أبداً، فهما يهتمان بي كثيراً وقدما الكثير من التضحيات من أجلي... إن هذا الحادث لم يحُل دون ممارستي للعمل ولم يمنع نشاطاتي وتقدمي على هذا الصعيد، لأن أسلوب تعامل والدتي معي قد عوّض لي هذا النقص. إن المساعدة التي قدمتها وتشجيعها لي أوجد في نفسي اعتقاداً قوياً وقناعة راسخة بأني قادر على القيام بأي عمل. صدقوني لا أُبالغ إذا قلت: إن تعامل والدتي جعلني أتقدم في جميع المجالات على كل الذين هم في سنّي.

... إن والدتي لم توجه لي اللوم ولم يحدث أن انتقدتني أو دعت عليّ دعاء سوء أبداً - كما تفعل بعض الأمهات - فهي دائماً تسلّي خاطري وتهدىء من روعي وتشجعني... إلى درجة أني لا أشعر الآن بالكآبة والتألم بسبب ذلك الحادث الذي أصاب رجلي بالشلل وأنا أسعى بهذه الرجل الواحدة لكي أعمل وأبني حياتي ومستقبلي بيدي...

بارك الله فيك أيها الأخ الكريم وبارك الله بهذه الأم الكفؤة المضحية إنه حقاً ما تقول بأن المعنويات القوية تمنح الجسم قوة واقتداراً وأن الثقة بالنفس وما تتمتع به من قدرات، تجعل الشخص قوياً. المهم وجود هذه الثقة بالنفس. ويجب على جميع الآباء والأمهات وسائر المهتمين والمعنيين بالشؤون التربوية وعلى ضوء تجاربهم الناجحة والموفقة أن ينمّوا هذه الثقة وهذه القناعة في نفوس أبنائهم - القناعة والثقة بطاقاتهم وقدراتهم - وعندها سوف تتفتح في أعماقهم براعم الكمال وتنمو في نفوسهم ثمار السعادة والنجاح والنصر. فالإمام الصادق عليه السلام يقول في حديث مضمونه: ليس هناك من جسم يعجز عن القيام بعمل تقوىٰ عليه الروح.

وعلى العكس من ذلك فإن النفس الضعيفة تمرض الجسم وتجعله خاوياً وعاجزاً، الإيحاءات والتلقينات السلبية تسلب الأمل من القلب وتمنعه من أن يخفق وينبض، إنها تجعل اليدين ترتجفان واللسان يتلكأ.

والآن لنقرأ هذه الرسالة التي بعث بها شاب كريم:

الرسالة: . . . **الجروح التي أصابت جسمي وروحي باتت تنخرهما كمرض الجذام وصار جسمي ينحف شيئاً فشيئاً. ولكن هذه الجروح لا يراها أحد وإذا حدثت أحداً بها لا يصدقني ويستهزىء بي.**

. . . إنني ومع الأسف لا أستطيع أن أكون واثقاً من نفسي وأتكلم دون أن يرتعش جسمي ويتلكأ لساني . . . أصبحت كالمجانين ولكني لست بمجنون، أفهم ولكني لا أدري ماذا أفعل. كلمات التأنيب والتحقير والإهانة التي توجهها لي والدتي باستمرار «يا مسكين يا بائس يا قليل الفهم أيها الغبي و . . .» هذه العبارات والكلمات تدوّي في أذني دائماً وتجعلني أشعر بأني إنسان تافه وفارغ وضعيف إلى درجة أنني أخجل من النظر إلى الآخرين. وأتصور بأنني خلقت للشقاء والبؤس. ورغم أنني بلغت الآن العشرين من العمر فإن والدتي لا تزال تتصرف معي بأسلوب الكلام البذيء والتهكم والسبّ وتحطّ من كرامتي وتشوّه سمعتي أمام الصديق والعدو . . .

لا أدري ماذا أفعل؟ وكيف أتخلص من كلامها الجارح وتحقيرها لي؟ . . .

إن المسلم ليس بفحّاش ولا بسبّاب. وهو لا يشتم ولا يتهكم على الآخرين ولا سيما على ابنه وفلذة كبده، بل يتحدث معه بأجمل الكلام وأروع التعبير. يتكلم معه بنفس الأسلوب الذي يحب أن يكلمه الآخرون به ويرغب هو أن يسمعه من الآخرين ويشعر بالفرح والارتياح لدى سماعه.

إن الكلام اللطيف الذي يبعث على الأمل والسرور هو مصدر سلامة وقوة للأفراد ويجعل من الشخص المعوق المشلول إنساناً قوياً وسباقاً في معترك الحياة وعلى العكس من ذلك فإن التهكم والسبّ والكلام البذيء والدعاء بالشر وعبارات التحقير والإهانة تجعل من طفل سليم ونشط شاباً يائساً بهذا الشكل وفارغاً وضعيفاً

لا قيمة له ولا اعتبار. يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿قولوا للناس حسناً﴾[1].

وحول تفسير هذه الآية يقول الإمام الباقر عليه السلام: «قولوا للناس حسناً أحسن ما تحبون أن يقال لكم»[2].

وبطبيعة الحال كلما كان الأفراد أقرب إلى بعضهم البعض وتربط بينهم صلة القرابة كلما كان عليهم أن يتحدثوا إلى بعضهم البعض بطريقة أفضل وأجمل وبعبارات تحمل في طياتها المزيد من الاحترام والخلق السامي. وعلى هذا الأساس فإن الأبناء هم أقرب الناس إلى الوالدين وبالتالي يجب أن يحظوا باحترام وتكريم الوالدين على كافة الأصعدة لكي يتمتعوا بسلامة الروح واطمئنان وهدوء النفس.

وصيتان:

أ ـ وصية لوالدتك، إنني واثق بأنك أيتها الأم الفاضلة! كسائر الأمهات تحبين ابنك وتريدين له السعادة والتوفيق، أوصيك بأن تنتبهي إلى كلامك وتراقبي لسانك وتذكري قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي مضمونه: «إن التجريح والكلام اللاّذع يجرح أكثر من السكين الحادّة والجرح الذي ينجم عن الكلام البذيء واللاّذع أكثر خطراً من الجرح الذي يسببه السيف البتار»[3].

أيتها الأم الفاضلة! هل حدث مرة أن تناولت سكين المطبخ وجرحت بها ابنك؟! إن كلامك البذيء ودعاءك بالشرّ على ابنك وتهكمك عليه يجرح مشاعره ونفسيته وهي جروح بليغة تؤذيه بشدة وتقضي عليه. ليكن معلوماً لديك بأن أية كلمة بذيئة تنطقين بها وكل عبارة فحش لاذعة توجهينها له وكل دعاء بالشر تدعين به عليه إنما يزيدك عذاباً يوم القيامة. قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: أوصني؟ فقال صلى الله عليه وآله: «احفظ لسانك»، ثم قال له: يا رسول الله أوصني؟ قال صلى الله عليه وآله:

(١) سورة البقرة، آية ٨٣.

(٢) تفسير الصافي ج١ ص ١٥٢.

(٣) . غرر الحكم ودرر الكلم، مضمون كلام أمير المؤمنين(ع).

«احفظ لسانك»، ثم قال يا رسول الله أوصني فقال ﷺ : «ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم؟»[1].

وقال ﷺ : «يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح»[2] أي معظم العذاب الذي يلقاه الشخص يوم القيامة هو بسبب لسانه. إذا أردت أيتها الأخت الكريمة أن يسلم بيتك ويسلم أولادك ويعيشوا في هدوء واستقرار فما عليك إلاّ أن تحفظي لسانك وتعوّديه على الخير والمحبة والإحسان والدعاء بالخير لأولادك.

ب ـ ووصيتي لك يا ولدي، أنت الذي تتألم من تحقير والدتك لك! إن الله قد جعل في وجود كل إنسان مجموعة من القدرات والطاقات وهو يستطيع من خلال اكتشاف تلك الطاقات والقدرات الكامنة فيه أن يسيّر شؤون حياته بأفضل وجه ممكن وأن يحافظ على كرامته ويتمتع بشخصية سامية. وكن واثقاً بأن مثل هذه الطاقات والقدرات موجودة فيك أيضاً، وبالتالي فأنت لست أبداً إنساناً تافهاً وضعيفاً لا تقدر على شيء ولا بائساً سيىء الحظ ولست أبداً أبلهاً عديم الفهم والإدراك. فلو كنت عديم الفهم وأبلهاً لما استطعت أن تكتب مثل هذه الرسالة الجيدة. قد يكون دعاء والدتك عليك ألقى غشاوة على قلبك ولكنك تستطيع أن تزيلها وأن تكتشف وتشاهد في مرآة باطنك الصافية كفاءاتك ولكن ذلك يحتاج إلى الصبر والمثابرة. بإمكانك أن تستخدم كفاءاتك وقدراتك لتسير في طريق الخير والسعادة. اطلب العون من الله فسوف يساعدك. سامح والدتك واصفح عنها فلو كانت والدتك تعلم أن كلامها جارح ومؤذٍ بهذا الشكل لما تفوهت به ولما قالت ما قالت.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول ص ٣٩.

(٢) الكافي ج٢ ص ١٢٢ باب ٥٦ ح ١٦ وللحديث صلة.

الفصل (٧٩)

كيف تتعاملون مع أبنائكم المراهقين؟

هل تعاملكم مع أبنائكم المراهقين صحيح ولائق؟ إنكم لا تستطيعون الإجابة على هذا السؤال إلاّ إذا عرفتم في أية مرحلة من مراحل التربية يمرّ ابنكم؟ أتدرون ماذا قال معلم الإنسانية الكبير محمد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حول تربية الأبناء وأساليب هذه التربية ومراحلها؟ قال رسول الله ﷺ: [الولدُ سيّد سبع سنين وخادم سبع سنين ووزير سبع سنين فإن رضيت مكانفته لإحدى وعشرين وإلاّ فاضرب على كتفه قد أعذرت إلى الله فيه][١].

وعلى ضوء هذا الحديث الشريف والأحاديث الأُخرى المنقولة عن رسول الله ﷺ يمكن تقسيم مراحل تربية الطفل إلى ثلاث مراحل أساسية: فالسنوات السبع الأولى من عمر الطفل تسمّى مرحلة السيادة والهيمنة والسنوات السبع الثانية من عمر الطفل تسمّى مرحلة الطاعة والقبول والسنوات السبع الثالثة من عمر الطفل أي من الخامسة عشرة وحتى الحادية والعشرين والتي يطلق عليها فترة المراهقة والشباب فهي المرحلة التي يصبح فيها الابن بمثابة وزير في داخل الأسرة تتم استشارته في مختلف قضاياها كما يبدي هو رأيه في تلك القضايا ويتعاون مع والده ومع سائر أفراد الأسرة ويتبادل وجهات النظر معهم بما يخدم مصالح الأسرة وقضاياها. وهنا يجب على جميع الأولياء والمربين والمعنيين بالقضايا التربوية أن يستلهموا من حديث رسول الله ويسترشدوا به لتعيين الأسلوب والطريقة التي يجب عليهم أن يتعاملوا بها مع الطفل في كل مرحلة من تلك المراحل الثلاث الآنفة

(١) ميزان الحكمة ج١٠ ص ٧٢٢.

الذكر. وإني أريد هنا أن أتطرق إلى بعض الأمور المهمة التي يجب أن يأخذها الآباء والأمهات وكل المعنيين بالقضايا التربوية في عين الاعتبار أثناء تعاملهم مع الأولاد الذين هم في سني البلوغ والمراهقة. عليكم أن تنتبهوا بأن طفلكم بالأمس قد كبر الآن وأصبح شاباً وخرج بذلك من مرحلة الطفولة والضعف وأصبح شخصاً لائقا وكفؤاً وقادراً ومكلفاً من قبل الله تبارك وتعالى فالباري سبحانه وتعالى جعل هذا الشاب إنساناً مكلفاً ومستقلاً وطلب منه العمل بأحكامه وواجباته. كما أن على أعضاء الأسرة وأفراد المجتمع أن يتقبلوا شخصية هذا الشاب ويعترفوا بقدرته وكفاءته وبدوره الوزاري والاستشاري في الأسرة وفي المجتمع. الوزير هو الشخص الذي يستشار ويكون موضع ثقة ويتكفّل بعمل معيّن نظراً لما يتمتع به من كفاءة ولياقة حيث يسعى لإنجاز ذلك العمل بشكل جيد ويعرض نتيجة عمله على مسؤول أعلى. وكذلك الحال بالنسبة للشاب الذي هو في سن المراهقة فيجب باعتباره وزيراً في الأسرة أن يستشار وعليه أن يساعد والديه وباقي أفراد الأسرة من خلال مناقشة القضايا المختلفة وتبادل وجهات النظر معهم وأن يكون عوناً لهم في تدبير شؤون الحياة اليومية. كما يجب على الأب والأم وسائر أفراد الأسرة أن يحترموا فكره وإرادته وعمله.

* احترام فكر الشاب ورأيه: أي التشاور معه في القضايا التي تخصه وتخص الأسرة ككل. فالرسول ﷺ يقول: [لا تعاون أنفع من التشاور][1].

يجب على الوالدين وسائر أفراد الأسرة أن يفسحوا المجال أمام أبنائهم الشباب لكي يبدوا رأيهم في القضايا التي تخص الأسرة ومستقبلها وعلى الآباء والأمهات أن يستشيروا أبناءهم في تلك القضايا ويستفيدوا من أفكارهم وعقولهم هذا من جهة ومن جهة أُخرى فإن هذا التشاور يجعل الأبناء أيضاً يستفيدون ويزدادون فهماً ودراية بالقضايا المختلفة. على الوالدين أن يطلعا على وجهات نظر أبنائهما بخصوص قضايا العائلة والمشاكل التي تواجهها ووضع الخطط والبرامج المستقبلية للأسرة. وعليهما أيضاً أن يستمعا إلى ما يقوله أولادهما الشباب بكل صبر وتأنٍ وبهذه الطريقة فإن الشاب يفهم بأن آراءه وأفكاره تحظى بالاحترام

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص ١٠٠.

والأهمية وأن الأسرة بحاجة إلى مساعدته من أجل المضي قدماً بأهدافها وبرامجها وبذلك يصبح الشاب شريكاً في حياة أسرته ووزيراً بكل معنى الكلمة وعوناً لوالديه ولسائر أعضاء أسرته.

* احترام إرادة الشاب ورغباته: لأن إرادة الإنسان هي تجسيد كامل لشخصيته واحترام إرادة الشاب ورغباته هو في الحقيقة احترام لكرامته وتقدير لدوره كوزير في الأسرة. وهذا يعني أننا يجب أن نتجنب فرض بعض الأمور على الشاب وإجباره على قبول بعض الأمور التي لم يقتنع بها وإرغامه على القيام بها كما علينا أن نتجنب تحقير الشاب وإهانته وتوجيه الانتقادات اللاذعة والجارحة إليه وعلينا أن نقلل من الأوامر والنواهي التي تحطم شخصيته ونساعده بالتالي على تحقيق إرادته ورغبته وبرنامجه بشكل صحيح وعندما لا يكون ذلك ممكناً أو عندما لا يكون تحقيق تلك الرغبة أو تنفيذ ذلك البرنامج في صالح الشاب نفسه أو أسرته فيجب أن لا نحاول أبداً تحطيم إرادته ولا نطلب منه أبداً إلغاء برنامجه وبالتالي نسحق كرامته وشخصيته، إلاّ بعد أن نذكر له الدليل المقنع والمنطقي لموقفنا هذا. يجب أن لا يطلب الوالدان والأسرة من ابنهما الشاب أن يكون كالشمع مرناً وخاضعاً ومستسلماً بين أنامل الآخرين الفولاذية يوجهونه كيفما شاءوا وأرادوا ويصوغون شخصيته كما يرغبون.

إنه من الواضح أن الشاب والمراهق الذي يشارك في اتخاذ القرارات من خلال التشاور بين أفراد الأسرة يتعلم تدريجياً أسلوب التفكير الصحيح الذي يخدم مصالحه ومصالح أسرته ويزداد وعياً ودراية ورجاحة عقل ولذلك نراه لا يتخذ أي قرار لا مصلحة له فيه ولا يعود عليه وعلى أسرته بأية منفعة أو فائدة ولا يطلب شيئاً لا تقدر عليه أسرته.

* احترام أعماله وتصرفاته: أي أن نتقبل أعماله وتصرفاته قبولاً حسناً حتى لو لم تكن أعماله جميلة وممتازة بذلك الشكل، لأنه حديث العهد بالعمل ويعتبر مبتدئاً على صعيد الاستقلالية والمهارة والخبرة العملية وبالتالي فهو بحاجة إلى المساعدة الفكرية والاستحسان والتقدير والتشجيع من قبل الكبار.

ولكن هذه المساعدة الفكرية وهذا التوجيه يجب أن يكون دقيقاً وفي إطار من الرفق واللطف وذلك حتى لا يجد الشاب نفسه تابعاً ومرتبطاً بالغير وبالتالي

يشعر بالعجز والضعف، بل على العكس من ذلك يجد نفسه واقفاً على قدميه قوياً وثابتاً معتمداً على نفسه وعمله ويشعر باللذة والارتياح من هذا الشعور بالقدرة والاستطاعة وهذا الاستقلال النسبي الذي بات يتمتع به. وخلاصة القول إنه يجب أن لا نتعامل مع الشاب المراهق كخادم أو عبدٍ مطيع وخاضع لا يملك من أمره شيئاً ويشعر بأن عليه أن يكون خاضعاً مطلق الخضوع ومطيعاً لأفراد أسرته طاعة عمياء. بل يجب أن يتقبل أفراد الأسرة فكره ويحترموا إرادته وأعماله ويجب أن نستفيد من مشاركته الفعالة والحيوية والمخلصة في حياة الأسرة وقضاياها وذلك من خلال التشاور والتخطيط الصحيح وتقسيم الأعمال والمهام والمسؤوليات بشكل عادل بين أفراد الأسرة. أي بعبارة أدق علينا أن نعترف رسمياً بالدور الاستشاري والفكري والعملي للشباب والمراهقين في داخل الأسرة ومساعدتهم ومسايرتهم بهدف الوصول إلى مستقبل مشرق ومشرّف. وإذا كان تصرف الأهل والمربين مع الشاب بهذا الشكل اللائق فإنهم بذلك يساعدونه في الوصول إلى قمة الكرامة والسعادة ويمنحونه المزيد من الأمل والقدرة للوصول إلى هذا الهدف. أما إذا لم تكن تصرفات الوالدين والأهل مع الشاب بهذا الشكل ولم يعطوا أي اهتمام لمشاعر الشاب وأحاسيسه ومتطلباته وبرامجه فإن ذلك يجعله يتألم في أعماقه ويشعر بالإحباط والقلق والاضطراب. وهذا ما نلاحظه في الرسالة التالية التي بعث بها شاب مراهق يصف فيها حالته بأنها شبيهة بحالة الطير المذبوح.

الرسالة: ... إنني شاب في الصف الثاني ثانوي لقد كبرت الآن إلى حدٍ ما وأريد أن أتابع دراستي بشكل جيد وأصبح طالباً ممتازاً ولكن والدتي وشقيقتي التي تزوجت حديثاً تضعان العراقيل أمامي. فهما تتوقعان منّي الكثير ولكني لا أظهر انزعاجي وأقوم بما أستطيع من أعمال البيت لأني أرى أن من واجبي القيام بعمل ما حتى آكل لقمة الخبز. فمنذ لحظة دخولي إلى البيت أسمع شقيقتي تناديني من الطابق العلوي للبيت وتقول لي: أسرع! أسرع! اشتر لي الشيء الفلاني، بارك الله فيك يا شقيقي العزيز!... وعندما أشتري ذلك الشيء وأعود إلى المنزل، أسمع والدتي تقول لي: لماذا لم تخبرني لدى خروجك من البيت؟! والآن اذهب كالبرق الخاطف وافعل كذا وكذا وعد إلى البيت سريعاً. أحسنت يا ولدي!...

وعندما أنجز جميع الأعمال، أفتح كتابي وكرّاسي لكي أراجع دروسي، ولكني أسمع مرة أُخرى صوت شقيقتي وهي تناديني وتقول: إذهب إلى بيت فلان على وجه السرعة وأخبرهم بكذا وكذا... سلمت يداك يا شقيقي العزيز!...

والخلاصة أنه حتى يحين وقت النوم عليَّ أن أذهب حوالي عشرين مرة إلى هنا وهناك بالضبط كالدجاجة المذبوحة... الويل لي إذا كنت يوماً مرهقاً ولم أنفذ ما تأمرني به شقيقتي، عندها تنسى كل ما قمت به من أجلها وتبدأ بتوجيه اللوم والانتقاد لي وتتبجح أمامي بما يقوم به ابن الجيران وتقول لي: الآن أطلب من ابن الجيران القيام بهذا العمل وسترى كيف ينجزه بسرعة، تتصور أني محتاجة إليك؟!

وخلاصة القول أنهم لا يعيرون أية أهمية أو قيمة لوقتي ودراستي وبرامجي وعندما يصبح معدلي في المدرسة رديئاً في نهاية العام فإنهم يلومونني ويستهزئون بي بحيث أشعر أن عظامي تتهشم تحت وطأة تلك الانتقادات اللاذعة، فهل يمكنكم أن تنصحوا شقيقتي لكي تغير تصرفاتها تجاهي؟

١ ـ نعم! ولكن كلامي أوجهه لك بالدرجة الأولى، فأنت شاب طيب عاقل ومؤدّب وتعلم بأن عليك أن تساهم ويكون لك دور في شؤون ومحيط الأسرة. وتعلم بأن عليك أن تتولى مسؤولية عمل ما داخل الأسرة إلى جانب مواصلة نشاطك الدراسي. إني أُقدر وأُحيّي فيك هذا الفهم والإدراك والأدب سيما وأنت طلبت في نهاية رسالتك أن أنصح شقيقتك فقط ولم تذكر شيئاً عن والدتك ويبدو أنك تعرف جيداً مقام الأم ومنزلتها الرفيعة السامية ولذلك فأنت تقف أمامها موقف الخاضع المطيع والشاكر الممتن لها على ما قدمته وضحّت به من أجلك.

٢ ـ يبدو أن أفراد أسرتك ليس عندهم تخطيط ولا تنسيق صحيح على صعيد الأعمال التي يريدون القيام بها وينوون إنجازها، مما أربك حياتهم وحياتك أيضاً. وفي حين أن الرسول ﷺ أوصانا بتدبير معيشتنا وجعل حسن التدبير أحد الوسائل والطرق للوصول إلى الكمال والسعادة الإنسانية. كما اعتبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن حسن التدبير والتقدير في المعيشة ـ أي التخطيط الصحيح

والمناسب للحياة اليومية ـ هما الأساس في ثبات واستقرار الحياة واستمرارها. كما اعتبر عليه السلام حسن التدبير سبب النجاح في خططنا وبرامجنا.

٣ ـ من الأفضل أن تمسك شقيقتك ووالدتك قلماً وورقة وتسجلان فيها احتياجات البيت المتوقعة وأن يطلبا منك في وقت معين تلبية تلك الاحتياجات وإنجاز الأعمال الخاصة بالبيت وذلك لكي تتمكن أنت أيضاً بهدوء وراحة بال من إنجاز وظائفك المدرسية والانصراف إلى المطالعة ومراجعة الدروس وبهذا تستطيعون جميعاً الاستفادة من وقتكم وأعماركم ومالكم بصورة أفضل.

٤ ـ إذا ما أُتيحت لك الفرصة المناسبة اقرأ هذه السطور لأفراد أسرتك وابحث معهم الموضوعات التي تتضمنها.

تابع دراستك بكل جدّ ونشاط واخدم أهلك بكل محبة وإخلاص. دمت موفقاً لكسب مرضاة الله والتمتع بحياة ملؤها النشاط والمودة.

الفصل (٨٠)

الأصدقاء ودورهم في التربية

أبناؤكم يتأثرون تدريجياً بأصدقائهم

هل نقوم بواجبنا كاملاً في مجال تربية أبنائنا؟ أنتم تعلمون بأن القيام بهذا الواجب وهذه المسؤولية الكبيرة يحتاج إلى خبرة وتدريب ورعاية ومراقبة: فواجب تربية الأبناء يحتاج إلى خبرة ودراية لكي يميزوا بين الصالح والطالح من الأعمال والتصرفات. كما يحتاج الأبناء في تربيتهم إلى الرعاية والمراقبة لكي يتعودوا على عمل الخير والتصرفات الحسنة والجيدة ويتربّوا تربية حسنة وصالحة ويصبحوا من أهل الخير والصلاح والرشاد والكفاءة وينشأوا أحراراً مقتدرين. ومن بين كل العوامل المؤثرة في التربية فإن عامل «الصداقة والأصدقاء» يحتل أهمية خاصة في هذا المجال لأن الشخص يتأثر تدريجياً بأصدقائه ويكتسب صفاتهم وخصائصهم. وهذا يعتبر مبدأً تربوياً مهماً. وإذا كنا نريد ولداً صالحاً وصادقاً فعلينا أن نحثه ونشجعه على مخالطة ومصادقة الأفراد الصالحين والصادقين وحول تأثير الصديق على حياة الإنسان ونهجه في الحياة يقول النبي ﷺ: [أسعد الناس من خالط كرام الناس][1] وقال ﷺ: [من لم تنتفع بدينه ودنياه فلا خير لك في مجالسته، ومن لم يوجب لك فلا توجب له ولا كرامة][2] لذلك علينا أن نتوخى الدقة والحذر في اختيار الأصدقاء.

كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دستوره التربوي العظيم في وصيته

(١) بحار الأنوار ج٧٤ ص ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار ج٧٧ ص ٤٧.

المطوّلة إلى ابنه الحسن عليه السلام ما مضمونه، «يا بني عاشر أهل المعروف لتصبح منهم وتجنب مجالسة الأشرار لكي لا تتأثر بهم وتصبح منهم». نفهم بوضوح من هذين الحديثين الشريفين والقيّمين بأن أفضل وأنجح أسلوب في التربية هو أن نرشد أبناءنا ونوجههم إلى طرق كسب الأصدقاء ومساعدتهم ومراقبتهم في هذا المجال. علينا أن نوصيهم ونؤكد عليهم بأن يتوخوا الدقة الكاملة في اختيار أصدقائهم ويختاروا أفضل الأصدقاء وأكثرهم حياءً وفهماً وإدراكاً وأن يتجنبوا معاشرة ومصادقة الأشخاص المستهترين غير المؤدبين الذين لا حياء لهم ولا فضيلة. إياكم أن تغفلوا وتتهاونوا بشأن أصدقاء أبنائكم وإياكم أن تتركوا أبناءكم دون توجيه ورعاية ودون أن تساعدوهم وتراقبوهم. أليست مجالسة ابنكم للشخص المصاب بمرض عضال خطرة على سلامته؟ هل تسمحون لابنكم أن يصادق شخصاً مصاباً بمرض خطير ومعدٍ؟ إذا تركتم أبناءكم وشأنهم ولم تتحدثوا معهم حول الشروط التي يجب أن تتوفر في الصديق الجيد فقد يغفلون ويصادقون أفراداً شريرين غير صالحين ويتخالطون معهم مما يجعلهم يواجهون الشقاء والانحراف والضلال. وعلى ضوء أهمية الأصدقاء ودورهم في صلاح وخير الأبناء، فكروا واسألوا أنفسكم: هل نبهتم وأطلعتم أبناءكم المراهقين على هذا الأمر المهم؟ وهل تحدثتم معهم بشأن الشروط التي يجب أن تتوفر في الصديق الجيد والمخلص الأمين؟ وهل تكلمتم مع أبنائكم حول ضرورة اختيار الأصدقاء الجيدين الصالحين؟ وهل تعرفون أصدقاء أبنائكم؟... وهل كانت لديكم خطط وبرامج لتعزيز العلاقات بينهم وبين أبنائكم؟... الرد على كل هذه التساؤلات نجده في الرسالة القيمة التي وجهها الأستاذ والأب والمعلم والمربي الكبير المرحوم الشهيد مرتضى المطهري لنجله الكريم. وتتضمن هذه الرسالة القيمة نموذجاً للرعاية والتوجيه والمساعدة التي يجب أن يقدمها كل أب لأبنائه:

الرسالة: ... ولدي العزيز وقرة عيني

أرجو لك من الله السلامة والتوفيق وحسن العاقبة. إن أوضاعنا جيدة عموماً ولله الحمد. حيث نذكرك في أغلب الأوقات. أتمنى لك التوفيق التام في الامتحانات.

ولدي العزيز: بلّغ سلامي إلى رفاقك وأصدقائك ولا سيما الموجودين

معك في غرفتك. إذا جئت إلى طهران فائت بهم إلى بيتنا فإن ذلك سوف يسرّني ويفرحني. توخَّ الدقة الفائقة في اختَيار أصدقائك لأنها كثيرة تلك الحيّات والأفاعي الجميلة الشكل والظاهر وكن يا ولدي دقيقاً للغاية لدى اختيارك الكتب التي تريد قراءتها. ضاعف معلوماتك في مجال العلوم الإسلامية والإنسانية. شارك في الجلسات والمحاضرات الدينية المفيدة. إذا احتجت إلى أي كتاب في هذا المجال أخبرني بذلك حتى أُرسله إليك. حاول قدر إمكانك أن تقرأ في كل يوم جزءاً واحداً من القرآن الكريم حيث لا يستغرق ذلك أكثر من خمس دقائق واهد ثواب ذلك إلى روح النبي الأكرم ﷺ فذلك يبارك في العمر ويجلب التوفيق إن شاء الله تعالى. أنا أوصيك مرة أُخرى أن تثابر على أداء الفرائض الدينية بكل دقة. قد تواجه أحياناً بعض الأسئلة يطرحها عليك بعض الطلبة العلمانيين، ولا يكون لديك رد جاهز عليها فاكتب إليّ في هذا المجال.

بعثت لك مبلغ ألف وخمسمائة ريال على يد حامل هذه الرسالة. . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته   مرتضى المطهري ١٩/ ٤/ ١٩٧٧

١ ـ إن هذا الأستاذ الشهيد رضوان الله تعالى عليه أشار في رسالته المليئة بالإرشادات والنصائح التربوية ثلاث أو أربع مرات إلى موضوع الصداقة والأصدقاء. فهو أبلغ سلامه لأصدقاء ابنه وأكرمهم وذكرهم باحترام ثم دعاهم إلى منزله في طهران وبعد ذلك حذّر ابنه من أصدقاء السوء وأهل الشرّ وطلب منه أن يتجنبهم وأن يكون دقيقاً للغاية في اختيار الأصدقاء. وبعد أن أشار الشهيد المطهري إلى هاتين النقطتين، تطرق إلى أمور بإمكانكم أن تفهموها بمجرد التأمل.

٢ ـ إن هذه الرسالة مليئة بمشاعر الاحترام والإكرام والتقدير لشخصية الابن (نقصد هنا الأبناء والبنات على حدٍ سواء) وهذا الأسلوب في التعامل مع الأبناء هو أسلوب تربوي متين يجب أن يأخذ به ويتعلمه جميع الآباء والأمهات والمعنيين بتربية جيل الشباب والمراهقين في المجتمع في المدارس والجامعات. فعلى هؤلاء أن يحترموا ويكرموا أبناءهم وتلاميذهم وطلابهم ويحترموا شخصيتهم ويقيموا صرح التربية العالي على قاعدة الإكرام وكرامة الفرد ليبقى هذا البناء سليماً وشامخاً.

الفصل (٨١)

اشكروا والديكم

هل تستطيعون مراجعة تصرفاتكم خلال الأسبوع الماضي؟ هل عندكم الوقت الكافي لذلك؟. . . إن أفضل طريقة لتنمية الأخلاق الإنسانية السامية للفرد هي أن يقوم في أية فرصة هادئة تتاح على مدى اليوم، بإلقاء نظرة أُخرى على أقواله وأعماله وتصرفاته التي صدرت عنه خلال ذلك اليوم ليتعرف على القبيح والحسن من أقواله وأفعاله. قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: [ما أحقّ الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل، يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها][١].

إن ثمرة محاسبة النفس هي صلاح الفرد وسعادته. فمن حاسب نفسه يكن سعيداً ومن يغفل عن محاسبة نفسه يكن خاسراً يوم القيامة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: [من حاسبَ نفسهُ سعد][٢].

وقال عليه السلام أيضاً: [حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الرّهب وتدركوا عنده الرّغب][٣].

وقال عليه السلام أيضاً: [من حاسب نفسهُ ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن. .][٤].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، مستدرك وسائل الشيعة ج٢ ص ٣٥٣.
(٢) مستدرك وسائل الشيعة ج٢ ص ٣٥٣.
(٣) غرر الحكم.
(٤) بحار الأنوار ج٧٠ ص ٧٢.

لا أريد في الوقت الحاضر أن أتحدث أكثر عن الأهمية الكبرى لمحاسبة النفس ولكن ما أرجوه وأتمناه هو أن تلقوا نظرة أُخرى على أقوالكم وتصرفاتكم خلال الأسبوع المنصرم وتبيّنوا: كم انتقدتم الآخرين خلال الأسبوع الفائت؟ كم عدد المرات التي اغتبتم فيها الآخرين؟ بكم عبارة أو جملة انتقدتموهم؟ هل تفوهتم بكلمة شكر واحدة؟ هل حالات الغيبة والانتقاد كانت أكثر أم حالات الشكر والتقدير؟ هل كتبتم رسالة شكر خلال الأسبوع الفائت؟ . . . إن الوصول إلى قمة الشكر والتحلّي بهذه الصفة الجميلة وتقديم الشكر للخالق تبارك وتعالى والمخلوق يجعل الحياة جميلة ويبدي للإنسان ويُظهر أمامه الكثير من المناظر الجميلة والحسنة ولهذا علينا أن نخطو من الآن في هذا الطريق ونتسلق أعلى وأروع قمم هذه الصفة الحسنة، صفة الإعراب عن الشكر والتقدير للآخرين. إنكم بالتأكيد ستفرحون مثلي لدى قراءتكم الرسالة التالية التي تحمل في طياتها نسيم تلك القمم الشامخة المجللة:

الرسالة: **السلام عليكم،**

. . . منذ سنوات ونحن نعيش في مدينة أُخرى حيث يعمل والدنا، نحن شقيقتان وندرس حالياً في الجامعة. لعلكم تسألون عن السبب الذي دعانا لكتابة هذه الرسالة وإرسالها إليكم؟ علماً بأننا لم نتزوج حتى الآن لكي نكتب لكم عن قضايا حياتنا الزوجية والعائلية ونستشيركم بشأنها. إننا لا نتوي من خلال هذه الرسالة طرح مشكلة معينة بل هدفنا الإعراب عن شكرنا وتقديرنا لوالدينا. . .

إن الإعراب عن الشكر والتقدير للجميع هو واجب. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق][1] على أن الوالدين يستحقان الشكر والتقدير أكثر من جميع الناس. إن الله تبارك وتعالى الذي أعطانا كل شيء وكل ما نملكه هو من عنده، يوصينا باحترام الوالدين وتقديم الشكر والامتنان لهما، حيث يقول جل وعلا في القرآن الكريم: ﴿**ووصّينا الإنسان**

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

بوالديه حملتهُ أمّه وهناً على وَهنٍ وفِصالُهُ في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصيرُ﴾[١].

وقال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو المطلع على الأسرار الإلهية والعارف: [إنّ الله عز وجل أمر... بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله][٢].

فهنيئاً لكما أيتها الأختان الكريمتان على هذا الشكر والتقدير لوالديكما. لتكونا واثقتين بأن الله تبارك وتعالى سينزل عليكما من رحمته ويهبكما السعادة والهناء وسيوفقكما لما فيه خيركما في الدنيا والآخرة. يقول جلّ وعلا في كتابه العزيز: **﴿وإذ تأذّنَ ربكُم لئن شكرتم لأزيدنّكم ولَئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾[٣].**

والآن نتابع بقية ما جاء في رسالة هاتين الأختين الكريمتين:

الرسالة: **نريد في هذه الرسالة أن نذكر جوانب من حياة والدينا العزيزين:**

١ ـ رغم أن والدي ووالدتي تزوجا منذ حوالي خمسة وعشرين عاماً ولديهما صهرين وحفيدين فإننا لم نلاحظ يوماً أنهما تشاجرا في ما بينهما أو مع أولادهما.

٢ ـ والدي رجل كادح يؤمن لنا لقمة العيش ومتطلبات الحياة بكثير من العناء والتعب وبالتالي لم نعش تلك الحياة المرفهة ولكن بوجود هذين الوالدين الطيبين لم نكن نعاني أو نشعر بأي نقص في حياتنا ونشكر الله الذي أنعم علينا بالصحة والسلامة والقناعة حيث نعيش بعزة وكرامة وسعادة.

٣ ـ خلافاً لما هو شائع بين الناس من وجود تنافر وكراهية بين والدة الزوج وكنتها (زوجة ابنها) فإن علاقة والدتي بكنّتها هي على أفضل ما يرام فهما تعيشان معاً منذ البداية وهما تحترمان بعضهما البعض إلى أبعد الحدود.

---

(١) سورة لقمان، آية ١٣.

(٢) بحار الأنوار ج٧٤.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٦.

٤ ـ هناك موضوع يجب أن نضعه نصب أعيننا وهو أن الحياة ليست مستقرة في كل الحالات بل إن فيها صعوداً ونزولاً وفيها فترات راحة وهناء وسعادة وفترات عصيبة تتخللها المشاكل والمآسي. وكما تقول والدتي: حياة الزوج والزوجة كمناخ الربيع تارة يكون صحواً ومشمساً ومستقراً وتارة أُخرى يكون عاصفاً هائجاً تتخلله الزوابع والرعد والبرق والأمطار الغزيرة. وحتى في مثل هذه الحالة ـ وهي نادراً ما تحدث في حياتنا بالطبع ـ فإن والدي كان يبدي الكثير من المرونة والتنازل. ونحن قررنا أن نتبع نفس النهج الذي يسير عليه والدانا العزيزان لكي نتمتع بحياة سعيدة هانئة.

٥ ـ النقطة المهمة التي نريد أن نشير إليها هنا، هي أنّ والدينا العزيزين كانا يشجعاننا على الدراسة ويقدمان لنا التوجيه والمساعدة وهذا ما جعلنا نتفوق في دراستنا ونواصل دراستنا الجامعية.

٦ ـ إن والدينا ساويا دائماً بين أولادهما الثمانية وتصرفا معهم على أساس العدالة والمساواة. وهما بالنسبة لنا كصديقين مخلصين، عندما نتحدث معهما نشعر بالهدوء والارتياح ونرى أنفسنا من أسعد الناس. رجاؤنا منكم أن تبلغوا والدينا بمشاعرنا هذه وشكرنا وتقديرنا لهما عن طريق برنامجكم هذا برنامج «أسس التعامل الأخلاقي بين أفراد الأسرة» ولكم منا جزيل الشكر وتمنياتنا لكم بالسلامة والسعادة والعزة والسؤدد.

لقد شعرت بالكثير من السعادة والفرح لهذا الشكر والتقدير من قبل هاتين الأختين الكريمتين لوالديهما، أملنا أن نستطيع جميعا ـ من خلال قراءة هذه السطور ـ أن ننظر إلى الجوانب الحسنة والصالحة من على قمة الشرف والكرامة وأن نقدم الشكر والامتنان لعباد الله ولا سيما لوالدينا. تمنياتنا بالعزة والسعادة لكما ولجميع أفراد عائلتكما ودعاؤنا لكما أن تعيشا حياة سعيدة هانئة في كنف زوجين كريمين كفؤين شاكرين ونتمنى أن تبقى جوهرة الشكر الثمينة متلألئة في وجودكما إلى الأبد.

الفصل (٨٢)

هل أدلكم على بيت الأبرار؟

عند الغضب وفي أوقات المحنة وعندما تجتاح حياتنا أعاصير المشاكل والصعوبات ينزاح ستار الأخلاق وتظهر أخلاق الفرد وصفاته وطبائعه على حقيقتها. فهناك أفراد يتصفون بالكرم والطيبة وحسن الخلق في أوقات اليسر والنعمة والفرح ووفرة المال والثروة ولكنهم في أوقات العسر وضيق ذات اليد والفقر تسوء أخلاقهم ويصبحون حريصين سريعي الغضب. إذن فإن متانة الفرد وتحمّله وحسن خلقه وصفاته يجب أن تقاس عند الشدائد وفي أوقات الملمات والمصائب والفقر والجوع. فإذا استطاع الفرد أن يضحي برغيف خبزه ويتنازل عنه في وقت هو في أمسّ الحاجة إليه، في وقت الجوع، وإذا استطاع أن يشبع جائعاً ويبقى هو يعاني الجوع لكي يسدّ رمق إنسان ويزرع الفرح في قلبه والبسمة على شفته، فإنه يكون فرداً صالحاً وخيّراً بكل معنى الكلمة ومثل هؤلاء الأفراد يستأهلون أن يطلق عليهم اسم «الأبرار» وهم جديرون بهذه التسمية. سيدة الإسلام النموذجية فاطمة الزهراء سلام الله عليها هي من جملة هؤلاء الأبرار: ... فبعد صيام يوم بأكمله ـ وكما فعل زوجها أمير المؤمنين سلام الله عليه ـ أعطت رغيف خبزها إلى شخص مسكين جاء يطرق باب بيتها وقت الإفطار وفطرت هي بجرعة من الماء وكذلك فعل طفلاها العزيزان الحسن والحسين وجاريتهما الوفية.

وفي اليوم التالي صامت فاطمة عليها السلام وبعلها وبنوها، إيفاءً لنذر نذروه. صاموا اليوم التالي وهم لم يتناولوا شيئاً في اليوم السابق وأمضت فاطمة عليها السلام نهارها في العمل والقيام بأعمال البيت حيث قامت بطحن كمية من الشعير وخبزت

بها خمسة أرغفة من الخبز وجاءت بها إلى مائدة الإفطار وعندما همّوا بتناول الإفطار إذا بيتيم يطرق الباب ويطلب العون ومرة أُخرى يفضل أولئك الأبرار العظام، هذا اليتيم على أنفسهم ويقدمون له طعامهم ويفطرون جميعاً بالماء. يومان من الجوع، إنه أمر صعب ومرهق، كان عليهم أن يصوموا يومهم الثالث أيضاً، في سبيل الله وإيفاءً لنذر نذروه، عقدوا نية الصيام، والتعب والإرهاق والجوع قد ألمّت بهم وأثقلت كاهلهم، أعينهم أصبحت غائرة وبطونهم التصقت بظهورهم من شدة الجوع والإرهاق. ذلك النهار الطويل بكل ما تخلله من عناء ومشقة ومصاعب كان يقترب من نهايته. فاطمة سلام الله عليها تخرج بيديها المتورمتين خمسة أرغفة من الخبز وتضعها على مائدة الإفطار، كان الجوع قد ألمّ بهم إلى درجة أنهم كانوا يتلذذون من مجرد النظر إلى الخبز وشمّ رائحته الزكية...

ولكن عجيب ما حدث! فبعد ثلاثة أيام من الجوع، مرة أُخرى اقتدت فاطمة عليها السلام بزوجها وقدموا جميعاً خبزهم إلى السائل الأسير دون أن ينظروا إلى وجهه لكي لا يشعر هذا السائل بالخجل كما أنهم لم ينتظروا عند باب البيت حتى يسمعوا منه كلمة شكر، وبهذا فقد أفطروا في ذلك اليوم على الماء أيضاً. وقد أسمى الله تبارك وتعالى هؤلاء الكرماء الصابرين بـ«الأبرار» الذين يسقيهم ربهم يوم القيامة شراباً طهوراً جزاءً بما صبروا وبما ضحّوا وجزاءً لهم على إيثارهم. يقول الله في محكم كتابه العزيز: ﴿**وجزاهُم بما صبروا جَنّة وحريراً**﴾[1].

ويقول عز من قائل: ﴿**عليهم ثيابُ سُندُسٍ خُضرٌ وإستبرقٌ وحُلّوا أساورَ من فضّةٍ وسقاهُم ربُّهُم شراباً طهوراً * إنَّ هذا كانَ لكُم جزاءً وكان سَعيُكُمْ مشكوراً**﴾[2].

ولكن لماذا ذكرت قصة الأبرار؟ لقد أشرت إلى هذه القصة وما تتضمنه من تضحية وإيثار لكي أرشد هذه الأخت الكريمة الطيبة والمعذبة المتألمة إلى طريقها، إليكم رسالة هذه الأخت الكريمة:

---

(١) سورة الإنسان، آية ١١.
(٢) سورة الإنسان، الآيتان ٢٠ و٢١.

الرسالة: . . . إنني فتاة في الثامنة عشرة من العمر، لدي رغبة شديدة في الدراسة ولكن وضعنا المادي سيىء جداً. . . الجيران لا يفكرون إلاّ في أنفسهم وليس مهماً بالنسبة لهم كيف يعيش جارهم. إنهم لا يساعدون أي إنسان بائس محتاج. جيراننا يعيشون في رفاهية كاملة، رائحة أطعمتهم الشهية واللذيذة تصل إلى داخل غرفتنا الصغيرة. شقيقي الصغير يبكي من الجوع ويطلب من والدتي طعاماً ولكنّ والدتي ليس بوسعها أن تفعل شيئاً. إني أتأسف لأن والدتي المسكينة لا تستطيع أن تهيىء لنا وجبة طعام جيدة.

لقد مرضت والدتي من شدة الحزن والألم وقال لنا الأطباء بأنها مصابة بمرض عضال وقد تموت أثناء العملية الجراحية التي يحتاج إجراؤها إلى مبلغ من المال لا نقدر على تأمينه. إني أتساءل، كيف نستطيع أن ندفع هذا المبلغ ونحن لا نملك نقوداً لشراء مجرد الخبز فقط وتأمين أبسط متطلبات الحياة المعيشية؟! هل والدتي حقاً يجب أن تموت؟.

إني أحب والدتي. ونحن جميعاً نحتاج إلى أمّ. . . إنني خجولة إلى أبعد الحدود ولا أحب أن أطرح مشاكلي وهمومي أمام أحد حتى لو كنت غارقة فيها إلى أذنيّ. ولكنني أثق بكم. . . وأكون سعيدة جداً لو أجبتم على رسالتي هذه. . .

لعل هناك صاحب عين كريمة يقرأ هذه الرسالة ويذرف الدموع ولعل هناك صاحب قلب واعٍ وضمير حيّ ينبض بالهمّة والإنسانية لما تعانيه هذه الأم من تألم وجوع ومرض فيمد يد الكرم والسخاء إلى هذه الأخت المتألمة ويسجل اسمه في سجل الأبرار ولعل هناك من يعرف عنوان بيت الأبرار فيرشد المحتاجين والمعوزين إليه. . .

انتهى الكتاب والحمد لله

الفهرس

الباب الأول

اختيار الزوجة والخطوبة والزواج

الباب الثاني
العلاقة بين الزوج والزوجة وأسلوب تعامل كل منهما مع الآخر

الباب الثالث

واجبات الزوج والزوجة وأسلوب تعامل كل منهما مع والديه ووالدي الطرف الآخر

الباب الرابع

واجبات الوالدين تجاه أبنائهم وأسلوب تعاملهم معهم وكيفية تربيتهم لهم